وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر2

كلية اللغة العربية و آدابها و اللغات الشرقية

قسم اللغة العربية و آدابها

# صورة المرأة الغربية في الرواية العربية
# نماذج مختارة

اطروحة مقدمة لنيل دكتوراه الطور الثالث

تخصص: الأدب المقارن

**إعداد الطالبة:**

**تيسمبال شهيناز**

**اشراف الاستاذ :**

**د.علاوي حميد**

**السنة الجامعية: 2018-2019**

# اهداء

إلى اللذين قال الله تعالى فيهما:

***{ و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا }***

إلى من علماني معنى الحياة و الكفاح

إلى عنواني المحبة و الحنان

إلى بسمة الحياة و سر الوجود

إلى أغلى الأحبة ***« أمي»*** الغالية

إلى من أحبه و أفتقده كثيرا ***« والدي»*** الحبيب رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه

إلى أختي العزيزة الحبيبة ***« حسينة»***

إلى أخواي العزيزين***« فؤاد و رمزي»***

إلى أستاذي المشرف الذي كان نعم الموجه ***« د.حميد علاوي »***

الى استاذتي العزيزة القديرة " ***د.مليكة بن بوزة***"

إلى كل من أعانني على إنجاز هذا البحث

أهدي هذا الجهد وفاء و تقديرا

**شهيناز تيسمبال**

# شكر و عرفان

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله المنان، الملك القدوس السلام، مدبر الليالي و الأيام، مصرف الشهور و الأعوام، قدر الأعوام فأجراها على أحسن نظام، ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن، الحمد لله على ما أنعم به علي من فضله الخير الكثير، و العلم الوفير، و أعانني على إنجاز هذا العمل الذي أحتسبه عبادة من العبادات جعلتها لله خالصة لوجهه الكريم .

و بعد حمد الله تعالى و شكره على إنهاء هذه الرسالة، أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف د. حميد علاوي الذي سار معي إلى آخر المطاف، و لم يبخل علي بنصائحه القيمة، و أقدم شكري و إمتناني إلى الأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة الذين تكبدوا عناء تصحيح ما ورد في هذا البحث من قضايا مختلفة، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم و مد بيد العون و لم يبخل بكلمة طيبة في إتمام هذه الرسالة . ولكم مني جميعا فائق الإحترام و التقدير .

# مقدمة

في عصر أصبح فيه الإنفتاح على الأمم ضروريا، سعت الدراسات الأدبية المقارنة

المعاصرة لإستكناه طبيعة العلاقات التي تجمع بين الشعوب، و توضيح الرؤى و الأفكار الفاسدة التي أطلقتها بعض المؤسسات العنصرية عن بعضها البعض بغية تشويه صورة الآخر و إلغاء وجوده. و لعل الرواية العربية كانت أفضل مجسد لطبيعة هذه الأحداث والعلاقات التي جمعت بين الشعوب.

لطالما عبرت الرواية العربية عن هموم الفرد العربي و اهتمت بانشغلاته، و حاولت دائما إيجاد الحلول المناسبة له و لوضع الشعب كله، ذلك أن الروائي العربي همه الوحيد هو الإصلاح و التغيير و مساندة شعبه في مواجهة الآخر الذي يريد أن يلغي الذات العربية، مستغلا ضعفنا و تشتتنا و حاجتنا إلى علمه و إنتاجاته. لذلك أثارت هذه المسألة مسألة، مواجهة الآخر جدلا و نقاشا كبيرين بين الأدباء قديما و حديثا.

إن مواجهة الآخر تتطلب منا معرفته، و هذه المعرفة لن تكون عن بعد بل بالإحتكاك به عن قرب، لذلك فضل الروائي العربي أن يخوض المغامرة و يشد رحاله إلى الغرب حتى يكون تصوير العلاقة بيننا و بين الآخر قريبا من الحقيقة و الواقع و ليس مجرد صورة وليدة للمخيال فقط.

يسعى هذا البحث إلى تتبع طبيعة حضور المرأة الغربية في الرواية العربية، هذه المرأة الشقراء التي كانت صورة للغرب و رمزا لطبيعة اللقاء الحضاري بين الشرق و الغرب، و لطالما عرف هذا اللقاء بأنه لقاء عدائي، و هنا سنرى كيف ستتحرك المشاعر العدائية للروائي العربي، و كيف سيستغل حقده الدفين الذي يكنه للغرب الذي استعمره قديما و مازال يستعمره الآن لكن بأساليب حديثة مختلفة، فيسعى للإنتقام منه في عقر داره و تكون المرأة الغربية وسيلته في هذا الإنتقام.

و لعل الغاية من إقتراح هذا الموضوع ترجع لعدة مبررات منها :

* المبرر الأول : يتناول الموضوع قضية المرأة الغربية، و هي قضية حساسة نظرا للدور المهم و الخطير الذي تؤديه المرأة في المجتمع الغربي.

* المبرر الثاني : إن الغزو الذي عرفناه سابقا من قبل الغرب كان على مستوى جغرافية الوطن فحسب، لكن اليوم قد تعدى ذلك و أصبح غزوا من نوع آخر، فقد تجاوز غزو الوطن إلى غزو عقول و أفكار الشرق، حتى أصبح الشرق يتنفس بالغرب و يموت بالغرب، فهو يتراءى له في كل شيء من حوله، و لعل هذا ما أثار فضولي في البحث عن سبب هذه التبعية و الإنقياد للغرب.

* المبرر الثالث: و هذا يعود لذاتية الباحث و رغبته الملحة لتقصي منظور الذات العربية من خلال هذه المتون الروائية التي تصور "الآخر" و هنا ستكتشف الذات العربية نفسها من خلال خروجها إلى الآخر، و ستجد نقائصها في مرآته.

* المبرر الرابع :قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت صورة المرأة الغربية في الرواية العربية فقد تطرق معظم الباحثين في دراساتهم إلى موضوع صورة الغرب فقط، متجاهلين موضوع المرأة الغربية،و من بين تلك الدراسات (صورة اليهودي في الرواية الفلسطينية )لحسين أبو النجا، و دراسة عبد المجيد حنون في (صورة الفرنسي في الرواية المغربية)، و دراسة (صورة الجزائر في الأدب الفرنسي لأمينة سوفلان)، و (صورة الغرب في الأدب العربي) لغسان السيد .

**اشكالية البحث:** يثير هذا البحث مجموعة من التساؤلات منها :

كيف تتجلى صورة المرأة الغربية في السرد الروائي العربي؟ و ينبثق عن هذا السؤال المحوري مجموعة من التساؤلات هي كالآتي:

* لماذا استعمل الكتاب المرأة كرمز للتعبير عن الغرب؟ هل لأن المرأة الغربية قادرة على تمثيل كل القيم الموجودة في المجتمع الغربي؟ أم أنها وضعت آداة للثأر من الغرب ؟

* ما هو سر هجرة معظم الأدباء إلى الغرب، هل هو الإنبهار بالغرب و حضارته، أم للإنتقام منه؟ .

كيف تصور العرب الغرب؟ و ما هي ظروف إحتكاك الشرق بالغرب ؟ .

* إن الغرب أصبح هاجس و حلم كل شاب عربي فما سر ذلك، هل السر هو في الفتاة الشقراء التي يمتلكها الغرب، فصارت تستخدم كطعم لصيد الشرقي من أجل إفراغ مكبوتاته الجنسية، أم هناك سر و سبب آخر سنكتشفه في هذا البحث، و لعل هذا ما فتح لنا بابا آخر لمعالجة مشكلة من نوع آخر صارت تشكل أزمة عند الرجل الشرقي و هي أزمة الجنس، و سبب هروبه من المرأة العربية ليرتمي في أحضان المرأة الغربية و بالتالي صار الغرب مركزا للجنس.

* و في الآخير هل يمكن الخروج بصورة واحدة للمرأة الغربية، يشترك فيها جميع الروائيين العرب على مستوى نصوصهم الروائية....؟.

كل هذه الأسئلة المطروحة سنجيب عنها في هذا البحث المكون من ثلاثة فصول، يتقدمها تمهيد و مذيلة بخاتمة ، ثم قائمة للمصادر و المراجع.

**التمهيد** : تطرقت فيه إلى تحديد مفهوم علم الصورة و أنواعها، و أهم مكوناتها و في الآخير الهدف من دراسة الصورة، و المشاكل المنهجية التي يجدها الباحث في دراسته لعلم الصورة .

**الفصل الأول** : إختص هذا الفصل بتناول الجوانب النظرية و يندرج ضمنه مبحثين، كل مبحث مقسم إلى عدد من المطالب. إهتم المبحث الأول بتحديد بعض المفاهيم كمصطلحي الشرق و الغرب، ومن ثم مفهوم الحروب الصليبية، ثم حاولت بعدها أن أتتبع طبيعة العلاقة بين الشرق و الغرب، و الظروف التي جمعت بينهما خلال سنوات طويلة مضت، فلاحظت أن هذه العلاقة يغلب عليها العداء و تصادم عنيف بين الحضارتين الشرقية و الغربية وقد اتضح ذلك أكثر من خلال الحروب الصليبية بين المسلمين و الغرب المسيحي الذي كان سببه طمع و جشع الصليبيين في أرض المسلمين، فالشرق كان جنة بالنسبة لهم لما يتمتع به من خيرات، و القوي كان يريد أن يأكل و ينهب و يستولي على ممتلكاته، ثم أشرت بعد ذلك إشارة خفيفة إلى دور المرأة الأوروبية في الحروب الصليبية لأن المرأة الغربية هي مظهر من مظاهر هذا الصراع، وقد كان حضورها فعالا في كل مجالات الحياة اليومية.

أما المبحث الثاني: فقد عرف تواصلا و تبادلا ثقافيا بين الشرق و الغرب، هذا التواصل حقيقته كانت تخفي إستعمار من نوع آخر عرف بإسم "الإستشراق" الذي ظاهره طلب العلم بالشرق و جوهره السيطرة على الشرق بطريقة جديدة غير مباشرة. و هنا يمكن أن نقول أن الحرب لم تنته بينهما، بل اتخذت مجرى آخر تحت عنوان الإستشراق، فبعدما كان السلاح السيف وسيلة للحرب صار اليوم العلم وسيلة أخرى فريدة من نوعها تناسب العصر الحالي .

إن الغرب يبحث عن أي سبب بسيط و هين حتى يغزو و ينهب الأراضي العربية، ولعل هذا ما قامت به فرنسا في حملة نابليون بونابرت على مصر عام 1798م عندما إستغلت تخلف الشعب المصري و تدهور أوضاعه، فهبت بجيوشها مسارعة لإحتلال مصر، مدعية أن غايتها تحسين أوضاع الشعب المصري و تثقيفه، لكن الحقيقة هي عكس ذلك، ومع ذلك نحن لاننكر أن هذه الحملة الفرنسية وضعت البذور الأولى للنهضة العربية، ونورت عقول الكثير من المصريين بالوسائل العلمية التكنولوجية التي جلبتها معها، فاستيقظت هذه الأنا الشرقية و أحست بضعفها و نقصها عندما تصادمت مع الآخر القوي، فعزمت على مجاراته و مواكبة هذا التطور، الذي كنا نحن قادرين على تحقيقه من دون إستعمار، لأن الإستعمار لا تهمه ثقافتنا و تطورنا، بل غايته الخفية الحقيقية هو كسرنا واستعبادنا و إلغاء هويتنا الشرقية بكل مقوماتها.

**الفصل الثاني:** تم تخصيصه للجانب التطبيقي و دراسة صورة المرأة الغربية في الرواية العربية، وقد جاء مقسما إلى مبحثين، كل مبحث يحتوي عددا من المطالب.

أما المبحث الأول: فقد تطرقت فيه إلى إختلاف القيم بين الحضارتين الشرقية والغربية إزاء الجنس و حرية المرأة الغربية، و سبب إقبال الرجل العربي إلى أروبا، و سر بحثه الدائم عن المرأة الغربية.

و في المبحث الثاني: درست الصورة التي رسمها الأدباء للمرأة الغربية عبر نصوصهم الروائية، من خلال نماذج نسائية متباينة، بين الجرأة و التحرر، التسلط والتعالي، الخداع و المكر و الأنانية، العاملة و المثقفة، ولكل شخصية تحليل لسماتها الجسدية و المعنوية، و في نهاية هذا التحليل جدول تلخيصي يوضح صورتين متناقضتين سلبية و ايجابية للمرأة الغربية، و أنهيت المبحث بمقارنة بسيطة بين المرأة الشرقية و المرأة الغربية و الوضع الإجتماعي لكل منهما.

**الفصل الثالث:** سبق و أن أشرنا إلى أن المرأة الغربية كانت مظهرا و صورة للقاء الحضاري العدائي بين الشرق و الغرب، لذلك سنحاول في هذا الفصل أن نبين الحقد والضغينة التي يكنها الرجل الشرقي للغرب، و كيف سينتقم من الرجل الغربي من خلال امراته الشقراء، و قد جاء هذا الفصل في مبحثين، في المبحث الأول سندرس الوسيلة التي وظفها الرجل الشرقي في إنتقامه من المرأة الغربية و كيف صب جم حقده و غضبه في أحشائها، فقد مثل هو دور الأسد الشرس و هي الفريسة الضعيفة، أي أن العلاقة بينهما علاقة فحولة قاهرة و أنوثة مقهورة تنتهي بالقتل أحيانا، فيتهيأ للبطل أو الرجل الشرقي أنه إنتصر و رد الإعتبار لذاته و شرفه من خلال إمتلاكه و إستهلاكه للفتاة الشقراء .

أما في المبحث الثاني: لقد حاولنا أن ندرس في هذا المبحث نسبة نجاح أو فشل الحوار بين الشرق و الغرب، من خلال العلاقة التي جمعت بين البطل الشرقي و المرأة الغربية، ثم نبحث في الأسباب التي أدت إلى ذلك، ثم البحث في الحلول التي تمكن من خلق حوار إيجابي سلمي مبني على التفاهم و إحترام الآخر.

و في نهاية البحث خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها بعد دراسة الموضوع.

**تحديد منهجي:**

استعنت في هذا البحث بعدة مناهج في دراسة الموضوع، و أول منهج بدأت به

هو المنهج التاريخي و ذلك في الفصل الأول لتتبع ظروف لقاء و احتكاك الشرق بالغرب عبر التاريخ، أما في الفصول التطبيقية فقد اعتمدت على المنهج المقارن و هو أكثر المناهج حضورا في هذه الدراسة، لما يمكنه من تحليل و فرز مكونات كل شخصية في كل رواية، و من ثم إستخراج صورة كل شخصية في ذلك المتن الروائي .

**أهم المصادر و المراجع المعتمدة:**

اعتمدت في هذا البحث على مصادر و مراجع متنوعة و متعددة و هذا لتشعب عناصر البحث و تعددها، و يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

**المصادر:**

و هي تتمثل في خمس روايات عربية تم إختيارها وفقا لتعبيرها عن المرأة الغربية، من ملامح و صفات و سلوك و وفقا لعلاقتها بالرجل العربي "الأنا" فقد كانت المرأة الغربية موضوعا مركزيا فيها.

**المراجع:**

منها ما يخص حقل الصورائية و تتمثل في الأدب العام و المقارن لدانييل هنري باجو ترجمة غسان السيد، و فصول في الأدب المقارن لمديحة عتيق، أما في ما يخص اللقاء التاريخي بين الشرق و الغرب إستعنت ببعض الدراسات التاريخية من بينها مفيد الزيدي في تاريخ الحروب الصليبية، و سعيد عبد الفتاح عاشور في الحركة الصليبية، و جوزيف نسيم يوسف دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب، كما إستعنت بمراجع أخرى تفيد الموضوع و تمسه بصفة عامة مثل الرحالون العرب لنازك يارد سابا، و الغرب في فكر هشام شرابي لزهرة بلحاج، و محمد عابد الجابري في إشكاليات الفكر العربي المعاصر، و لا ننسى أهم كتاب متخصص في هذه الدراسة شرق و غرب، رجولة و أنوثة لجورج طرابيشي.

**المقالات:**

اعتمدت في هذا البحث على عدد من المقالات و الدراسات من بينها صورة المرأة الأوروبية في روايات شكيب الجابري لأحمد سيف الدين،و صورة الغرب في الأدب العربي، رواية فياض نموذجا لخيري الذهبي .

ولا يخلو أي بحث من صعوبات قد تعرقل رحلة البحث، و تقف حاجزا أمام الباحث فيحس الباحث للوهلة الأولى أن أمامه صخرة كبيرة تعترض طريقه و هو لا يستطيع زحزحتها عن مكانها، لكن بفضل المثابرة و الإرادة القوية و الصبر الحثيث يتمكن الباحث من مواصلة مشوار بحثه، و لعل من أهم الصعوبات التي واجهتها ما تتعلق باتساع الموضوع و عمقه، فموضوع صورة المرأة الغربية في الرواية العربية موضوع واسع و عام يحتار فيه الباحث في إختيار الرواية العربية المناسبة للموضوع لأن هذا الموضوع تناوله الكثير من الأدباء عبر نصوصهم الروائية، و هذا ما تطلب مني أيضا البحث و توظيف عدة مراجع.

على الرغم من كل الصعوبات التي واجهناها إلا أن هذا البحث أنجز و أتمم بفضل من الله و عونه و تقديره، فألف حمد و شكر لله عز وجل على ذلك. و شكر و تقدير للأستاذ المشرف الد كتور "حميد علاوي" على كل نصائحه و توجيهاته، و الشكر موصول أيضا إلى لجنة المناقشة التي تشرفت بقراءتها لهذا البحث.

# مدخل

***1 – مفهوم علم الصورة***

***2 – أنواع الصورة***

***3 – مكونات الصورة***

***4 – الهدف من دراسة علم الصورة***

***5 – المشاكل المنهجية لعلم الصورة***

## 1/ مفهوم الصورة:

تعتبر دراسة الصورة جزءا هاما و جوهريا في الأدب المقارن، إنه الجزء الذي أثار النقاش الواسع لدى مناصريه و معارضيه لا سيما في سنوات الستينات، بيد أنها تعتبر في أيامنا هذه بمثابة أرضية مميزة لدراسات الأدب المقارن، فدراسة الصورة الأدبية تعد بالمرة منهجية النقد في الأدب المقارن[1].

إذا تمعنا قليلا في مفهوم كلمة الصورة نجدها ترتبط إرتباطا وثيقا بمفهوم كلمة المرآة التي تعرف بأنها:‹‹ سطح يعكس كل ما يقوم أمامه فأي شئ يمتلك خاصية السطح العاكس فهو مرآة و هذا الذي يقوم أمام المرآة يعرف باسم الأصل و أما الذي تعكسه فهو يعرف بالصورة أو الإنعكاس، و تدور الصورة مع أصلها وجودا و عدما فإن وجدت كان الأصل موجودا و إن إنعدمت كان الأصل منعدما أو غائبا[2] » .

وإذا أسقطنا هذا التعريف العام للمرآة على الصورة نقول إن الصورة هي إنعكاس لأصل سابق لها أي أن « ذات الآخر هي مرآة نرى فيها ذاتنا التي تعمل بدورها كمرآة تساعد الآخر على رؤية ذاته[3] »، و يعتبر هذا العلم‹‹ علم الصورة›› من أحدث المجالات في الأدب المقارن و أهمها، يتحدث محمد غنيمي هلال عنه قائلا « هذا أحدث ميدان من ميادين البحث في الأدب المقارن لا ترجع أقدم البحوث فيه إلى أكثر من ثلاثين عاما و لكنه مع حداثة نشأته غني بالبحوث التي تبشر بأنه سيكون من أوسع ميادين الأدب المقارن و أكثرها رواجا في المستقبل[4]» .

---

[1] –BahmanNamvarnotlgh, les Stéréotypes à traver le prisme de l'imagologie, Recherche en langue et litérature française, Revue de la Faculté des littres année N° 7,paris, page 70.

[2]– محمد رجب، فلسفة المرآة، دار المعارف، مصر، ط 1، 1994، ص 15.

[3]– ميخائيل ابراهيم أسعد، شخصيتي كيف اعرفها؟ دار الآفاق الجديدة، لبنان، ط 3، 1987، ص 72.

[4]– محمد غنيمي بلال، الأدب المقارن، نهضة مصر، مصر، ط 3، 2003، م، ص 19.

لقد كان لجون ماري كاريه j m carre و ماريوس فرانسوا غويار m f guyard الأسبقية في دراسة هذا العلم ‹‹ علم الصورة ››، فدافعا عنها بقوة و نشرها غويار في الفصل الأخير من كتابه الصغير سلسلة (كوسيج ماذا أعرف) عام 1951م الأجنبي مثلما نراه[1]، و قد أحدث هذا النوع من الدراسات ضجة كبيرة فاهتم به جماعة من الباحثين و خصصوا له سلسلة من الرسائل وضعت قاعدة و منهجا لدراسة الصورة الأدبية imagologie من بينها ‹رسالة أندريه مونشو ألمانيا أمام الآداب الفرنسية من عام1814 الى عام 1835 م تولوز 1953 م و رسالة ماريو فرانسوا غويار(صورة بريطانيا العظمى في الرواية الفرنسية 1914-1940م ديدييه1954 م) و رسالة رينيه شوفال(ألمانيا و الحرب puf1963 ) و رسالة ميشيل كادو(صورة روسيا في الحياة العقلية الفرنسية 1839-1856مفايارد 1967 و غيرها من الرسائل الاخرى.....)[2] .

كما ينبغي أن نشير أيضا إلى العمل المتميز الذي قدمته مدام" دي ستال" من خلال كتابها "ألمانيا"، و قد حاولت به أن تعرف الشعب الفرنسي بالشعب الألماني و أهمية التبادل الثقافي بين الشعوب فقالت: ‹‹ إن الأمم ينبغي أن تستهدي كل واحد منها بالأخرى و من الخطأ الفاحش أن تبتعد أمة عن مصدر ضوء يمكن أن تستعيره[3] ››. و في النهاية تبقى هذه الدراسات التي أعدها هؤلاء الباحثين الأرضية المرجعية الأساس التي يعود إليها أي باحث فيما بعد، كان الهدف منها هو توضيح الصور المشوهة للبلدان الأروبية في آداب غيرها.

تعدّ الصورة " رؤية فردية أو جماعية، تمتزج فيها عناصر فكرية أو عاطفية في الوقت نفسه، موضوعية و ذاتية، فلا يمكن لأي أجنبي أن يرى بلده كما يحلو لسكانه

---

[1]- ينظر دانييل هنري باجو، ترجمة غسان السيد، الأدب العام المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1997م، ص 92.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص 89.

[3]- مدام ديستال، نقلا عن أحمد درويش، نظرية الادب المقارن و تجلياتها في الأدب العربي، دار غريب للطباعة، القاهرة، د ط، 2002م، ص 22.

الأصليين، و مردّ ذلك أن العناصر العاطفية تغطي على العناصر الموضوعية، فالأخطاء تنتقل أسرع و أحسن من الحقائق"[1].

للمخيال الجماعي دور في تكوين صورة شعب ما فهو عنصر ضروري، ينبغي على الباحث أن يتتبعه عبر التاريخ حتى يتمكن من الوصول إلى الظاهرة الأدبية المطلوبة، و بما أنّ للإنسان ذاكرة تعمل على حفظ المعلومات فإنها أيضا تعمل على نقلها و نشرها بين جميع الأفراد و ذلك بغية تكوين ذاكرة جماعية عن ظواهر معينة، و ينتج عن ذلك تكوين أفكار و انطباعات عن الشعوب قد تكون حقيقية أو العكس. و هذا أمر لا يهمنا بقدر ما يهمنا إكتشاف القيمة المعيارية لهذه الصورة و أهم عناصرها و أفكارها التي ساهمت في تكوينها في أدب ما.; [2] و قد قسم الباحثون المخيال إلى ثلاثة اقسام هي :

المخيال التمثيلي: و هو الذي يساعدنا على الإحتفاظ بالصور لفترة زمنية طويلة، وكذلك يساعدنا على استرجاعها في حالة ما إذا شاهدنا أو تعرضنا ل( مثير) يثير فينا الذهول، ثم ما نلبث أن نقرر بأنه سبق لنا و أن شاهدنا تلك الصور من قبل.[3]

المخيال المبدع : "وهو المخيال الذي تنتقل فيه الصور من الذاكرة الحافظة إلى الذاكرة المبدعة بواسطة قوة تركيب، أو قوة فعل الرابط بينها من خلال الإشارات، إذ أن كل إشارة لها قدرات متفاوتة لخلق رابط و في نفس الوقت إعطاء معنى معين له "[4].

---

[1]. مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2011م، ص 44.

[2]. ينظر أمينة سوفلان، صورة الجزائر في الأدب الفرنسي، ديموباسان و البير كامو نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص 15.

[3]. ينظر د. قحطان عدنان زغير، المخيال الاجتماعي و تمثلاته في مهارات التمثيل المسرحي، مجلة لارك للفلسفة و اللسانيات و العلوم الاجتماعية، كلية الفنون الجميلة جامعة واسط، العراق ، العدد الخامس و العشرين ، 2017م، ص315.

[4]. دكتور قحطان عدنان، المرجع نفسه، ص 315.

المخيال الوهمي :"و هو يستمد عناصره من خلال نسيج الرؤى و الأحلام نسجا خياليا لا صلة له بالوجود الحقيقي، فالوهم عند فرويد (freud) "إنشاء نفسي يرتبط بالرغبة، ولا يشير إلى شيء لا وجود له أو إلى تخطيطات ذهنية سرابية لا صلة لها بالواقع و لا إلى الخطأ أو الكذب، بل يشير إلى المتخيل الحي الذي يشد الفرد و الجماعة "[1].

إن الشرط الأساسي في إنشاء الصورة هو" الوعي"، و حتى يتم هذا الوعي لا بدّ له من عنصرين ضروريين هما "الأنا" و "الآخر"، بمعنى وعي الذات للآخر[2]، فهي "تعبير أدبي أو غيره يشير إلى تباعد ذي دلالة بين نظامين من الواقع الثقافي"[3]، و " الصورة أيضا هي إعادة تقديم لواقع ثقافي مغاير يكشف فيه الفرد أو الجماعة الذين شكلوه أو الذي يتقاسمونه أو ينشرونه عن تأويل لفضائهم الاجتماعي، و الثقافي و الإيديولوجي الخاص الذي يتموضعون داخله عند عملية تقديم الآخر"[4].

إذن من خلال هذا المفهوم الأخير للصورة نستنتج أن الصورة هي عملية إزدواجية بين ثقافة " الأنا " و ثقافة " الآخر"، تأخذ طابع التبادل و التناظر. و نقصد " بالتناظر" أنّ " الأنا" الناظرة إلى " الآخر" لا تنقل ما تلتقطه الحواس و ما تطبعه النفس فقط ، و إنمّا تنقل في الوقت نفسه صورة أخرى عن نفسها تنعكس في مرآة " الآخر"، أما عن " التبادل"، فيكون نتيجة الإحتكاك "بالآخر"، و هذا الإحتكاك هو الذي يخلق فيما بعد عملية التأثير و التأثر و به تتأثر الأنا بالآخر، و تأخذ الصورة هنا " شكل الثقافة التي تنتقل عبر التاريخ و تدخل ضمن مجتمعات و شعوب مختلفة كاللباس ، و اللغة و الدين و العادات ، و مختلف

---

[1]. المرجع نفسه، ص 315.

[2]. ينظر ماجدة حمودة ، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2000م، ص 110.

[3]. د. أحمد سيف الدين، صورة المرأة الاروبية في روايات شكيب الجابري، مجلة دمشق، المجلد 18، العدد الأول 2002م، ص 4.

[4]. أمينة سوفلان، المرجع السابق ص 15.

الممارسات الأخرى، و تنتقل هذه العناصر الثقافية في مخيلة الجماعات و الأفراد ثم يعاد تقديمها بشكل ثقافي مغاير وفق منظومة ثقافية و فكرية أخرى تختلف عن الأولى التي نشأت فيها"[1]، و بهذا نخلص إلى ثنائيتين تمثلان قطبي الصورة و هي " الهوية" التي تمثل الثقافة الناظرة و " الغيرية" التي تمثل الثقافة المنظور إليها.[2]

إن تمثيل الآخر ليس بالأمر السهل، بل هي مهمة شاقة تتطلب منا درجة من التقدم في الوعي و الماديات معا، و لهذا ليس بإمكان أية ثقافة تمثيل الآخرين إلا إذا وصلت إلى مستوى عال في المستويين السياسي و الاجتماعي . و "بين الأنا و الآخر علاقة جدلية لا ينبغي إلغاؤها أو تجاهلها و السكوت عنها . فعلاقة كل واحد منها بالآخر هي ثنائية قائمة في طبيعة الحياة يعد كل شطر منها شرطا لوجود الشطر الآخر و فهمه ووعيه و الإعتراف به "[3]. فماذا نعني" بالأنا " و ماذا نقصد "بالآخر" .

يقول سليماني أحمد ياسين :"الأنا في المعجم العربي هو ضمير متكلم قائم بذاته و لذاته ،لا ينازعه أو يشاركه في ذاتيته و بصفته، فهو مستقل من غيره و إن كان منتجا له و ناتجا من علاقته به، و الأنا في هذه الحالة متقلص في مساحته مسكون بنزعته الفردية "[4].

ما يقابل الذات هو "الآخر " فإن غاب هو لا نستطيع أن نحكم على "الأنا" بالوجود، فالآخر هو "الكائن المختلف عن الذات و هو مفهوم نسبي و متحرك، ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية و هي الذات، و هذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة

---

1. أمينة سوفلان، المرجع السابق ص 15، 16.
2. ينظر المرجع نفسه، ص 16.
3. حسين العودات ، الآخر في الثقافة العربية نقلا عن د. ليلا قاسمي ، صورة الذات و الآخر في رواية " سوشون"، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها، جامعة طهران ، إيران، العدد 19، 2014م، ص 127.
4. السليماني أحمد ياسين، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، نقلا عن بهاء طاهر ، تقابل الحضارات بين الأنا و الآخر في رواية " واحة الغروب " ، مجلة إضاءات نقدية ، طهران ، إيران، العدد 23 ، 2016م، ص 34.

مطلقة فقد يتحدد الآخر بالقياس إلى الذات كفرد، أو إلى جماعة معينة قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال و الفقراء بالقياس إلى الأغنياء، أو خارجية بالقياس إلى مجتمع بصورة أعم "[1]. و يمكن أن نقول إن الذات و الآخر هما توأم لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، فكل منهما مكمل للآخر يقول محمد الخباز :"من الصعب فصل الآخر كمفهوم في تعريفه من مفهوم الذات ذلك أنهما دائرتان متداخلتان جدا، و هذا التداخل راجع في أساسه إلى أن المفهومين يساهمان في تكوين بعضهما البعض، أي أن التداخل ناتج من طبيعة التعلق بكل منهما، إنهما يلدان بعضهما البعض و ينميان بعضهما البعض، فبقدر ما يتضح مفهوم الذات و ترتسم حدوده فإن مفهوم الآخر في الجهة المقابلة تتضح بنفس المقدار و ترسم حدوده "[2].

تعتبر الصورة لغة ثانية فهي تحمل كل سمات اللغة، إذ أنّها " تعبير عن شيء معين ضمن وحدات متميزة، كل واحدة منها هي إشارة و مرجع بالنسبة لكل أعضاء الجماعة البشرية الواحدة"،[3] إذا يمكن أن نقول أن وظيفة الصورة هي التعبير عن العلاقات القائمة بين كل الشعوب، و ثقافاتهم المختلفة، و هي في معظمها علاقات معقدة مضطربة بين المجتمع الناظر و المجتمع المنظور إليه.[4] و بهذا تصبح الصورة " فعلا ثقافيا و ممارسة إنسانية لها وظيفتها و مكانتها في عالم الرموز الذي سمي هنا مخيالا"[5].

إن علم الصورة يتقاطع مع العديد من البحوث التي يقوم بها علماء السلالات البشرية و علماء الاجتماع، و مؤرخو العقليات، الذين يهتمون بمعالجة قضية الهوية و الغيرية، لذلك يجب على كل مقارن أن يأخذ بعين الإعتبار التساؤلات التي يمارسها باحثون متقاربون في

---

[1]. كاظم نادر ، تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، نقلا عن بهاء طاهر ، المرجع نفسه، ص 35.

[2]. الخباز محمد، صورة الآخر في شعر المتنبي، نقلا عن بهاء طاهر، المرجع نفسه، ص 35.

[3]. دانييل هنري باجو، ترجمة غسان السيد، الأدب العام المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1997م، ص 92.

[4]. ينظر المرجع نفسه، ص 93.

[5]. أمينة سوفلان، المرجع السابق ص18.

الحقول المعرفية، و هذا ليس بغرض الإبتعاد عن الدراسة الأدبية و إنما لمقابلة و مقارنة طرائقه ومناهجه بطرائق و مناهج أخرى، و يكون ذلك مثلا بمقابلة الصورة الأدبية بشهادات أخرى موازية و معاصرة للنص الأدبي ( الإعلام، السينما، الفنون) [1].

إنّ الأمر إذن مرتبط بإدماج التأمل الأدبي ضمن تحليل عام يعنى بثقافة أو ثقافات عديدة تعود لمجتمعات معينة[2]، و من هنا فالصورة الأدبية هي " عبارة عن مجموعة من الأفكار حول الأجنبي صيغت أدبيا Littérarisation و إجتماعياSocialisation"،[3] و هذا ما يجبر الباحث المقارن على الإهتمام بالنصوص الأدبية، و الأهم من ذلك معرفة شروط إبداعها و توزيعها، و كل أداة ثقافية إستعملت في الكتابة و التفكير أو حتى الحلم[4]، و بذلك تصبح الصورة " آداة كاشفة للكيفية التي تشتغل بها الإيديولوجيا، و لا يعني هذا طبعا إنكار خصوصية الحدث الأدبي"[5].

---

[1]. ينظر رعاش مبخوتة، صورة الجزائر في روايات ألبيركامو، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2007، 2008م، ص 20.

[2]. ينظر هنري باجو، المرجع السابق، ص90 .

[3]. رعاش مبخوتة، المرجع السابق، ص20.

[4]. ينظر هنري باجو،المرجع السابق، ص90.

[5]. رعاش مبخوتة، المرجع السابق، ص 20.

## 2- أنواع الصورة :

ينتمي موضوع الصورة الأدبية إلى الدراسات الأدبية المقارنة، و هي من أحدث المواضيع و الدراسات في الأدب المقارن، و يمكن تقسيمها إلى قسمين أساسيين:

**الأول: صورة شعب في أدبه:** و هذا الصنف من الدراسات لا يتجاوز إطار قوميته و لغته، بل هدفه الوحيد هو البحث في فنيات الأديب في طرق موضوعة بالوصف و التحليل، مثل صورة المرأة المصرية في روايات نجيب محفوظ.

**الثاني: صورة شعب في أدب شعب آخر:**يعتمد هذا النوع من الموضوعات على إختلاف الإطار اللغوي و الاجتماعي و الثقافي[1]،كما يتطلب هذا النوع وجود نسبة من الإهتمام المشترك بين شعبين، حتى يكوّن أحدهم صورة في أدبه عن شعب آخر فالأمم " لا تهتم إلاّ بالشعوب المجاورة لها أو التي تشترك معها في مسألة، أو أن يكون لها معها مصالح إقتصادية أو تريد كسب ودّها أو تخشى بأسها".[2]فاهتمام شعب بآخر، يتيح الفرصة للشعب المهتم بإلتقاط معلومات عن الشعب المهتم به، و تلك المعلومات هي التي تساعده في تكوين صورة عن ذلك الشعب.[3]

إن ظاهرة التأثير و التأثر المتبادلة بين شعبين مختلفين عامل ضروري و مهم لتشكيل تلك الصور، لأن التأثير هو العمود الفقري في هذا النوع من الدراسات[4].

---

[1]. ينظر عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت. ص 61، 62.

[2]. المرجع نفسه، ص 68.

[3]. ينظر المرجع نفسه ص 68.

[4]. ينظر المرجع نفسه، ص 69.

يرى البعض أن هناك فرق بين دراسة صورة شعب من الشعوب في أدبه القومي " صورة الأنا"، و بين ذلك الشعب المتناول في الآداب الأجنبية "صورة الآخر"، و قد ردّوا هذا الإختلاف إلى أسباب أهمها:

1. أن الأديب الذي يقوم بتصوير شعبه و المجتمع الذي نشأ فيه لديه معرفة عميقة و شاملة بالمجتمع الذي يصوّره، و هذا ما جعل الصورة المرسومة في أدبه غنية و تفصيلية، فصورة " الأنا" هنا مؤسسة على تجارب و خبرات غنية قام بها الأديب، و هذا على عكس الصورة التي يقدمها أديب ما لشعب أجنبي لا يدري عنه شيئا " أهل مكة أدرى بشعابها"[1].
2. إذا كان الأديب من صلب ذلك المجتمع فهو مرتبط به ماديا و إجتماعيا و نفسيا و أخلاقيا، و الذي نعرفه جيدا أن الأديب الحق حريص على حمل هموم مجتمعه و معالجتها، لأن ذلك المجتمع يمثل ذاكرة الماضي و تطلعات المستقبل، و عليه فإن الصورة التي سيقدمها عنه تكون منطقيا مطبوعة بطابع العلاقة الإجتماعية و النفسية و الأخلاقية التي تشكل هويته. و قد نجد بعض الأدباء من يرسم صورة سلبية لمجتمع رغبة منه في إصلاحه و تغييره نحو الأفضل و ليس للإساءة إلى مجتمعه أو هدمه، و هذا ما لا نجده عند أديب لا تربطه بمجتمع ما علاقة توحد قومي.[2]
3. إن الصورة التي يرسمها الأديب لمجتمع أجنبي لا تعبّر عن هموم ذلك المجتمع و مشاكله، فالأديب هنا يكون آخر همه هو مشاكل شعب آخر، و إنما تعبّر أولا عن مشكلات الأديب نفسه و مشكلات قومه في مواجهة الآخر.[3]

---

[1]. ينظر ماجدة حمود ، المرجع السابق، ص 111.

[2]. ينظر المرجع نفسه ص 111.

[3]. ينظر المرجع نفسه، ص 112.

و حتى تستطيع الشعوب تكوين صور لبعضها البعض لابد لها من وسائل مساعدة من بينها:

**أ. الرحلات أو الأسفار:** فالأديب عندما يسافر إلى بلد أجنبي يكون على صلة مباشرة بذلك المجتمع، فيستطيع أن يكوّن و يرسم صورة عنه، فكثيرا من الأدباء سافروا و عندما عادوا حملوا معهم أخبار و نوادر و إنطباعات ذلك المجتمع الأجنبي، و عملوا فيما بعد على ترقية و تحسين أوضاع وطنهم، و من بين هؤلاء الأدباء مثلا "رفاعة الطهطاوي"، و "يوسف إدريسي"، كما نجد "أندري جيد" الذي زار بلدان شمال إفريقيا، و يعتبر كتابه " الأغذية الأرضية" دعوة إلى السياحة و التجوال، و نجد أيضا "أرنست همنغواي" الذي جال مختلف البلدان، حتى وصل إلى أدغال إفريقيا.[1]

**ب. الكتب:** تعد الكتب وسيلة هامة من وسائل الإتصال بين الشعوب، فالصورة التي يرسمها الأديب للبلد الأجنبي لا تعني أن له معرفة مباشرة به، بل كثيرا ما ترجع تلك الصورة إلى مطالعات الأديب أو أحاديث سمعها حوله، فكثير من الأدباء قدموا صورة لبلد أجنبي دون أن تطأ أقدامهم ذلك البلد و نجد منهم، الأديب الألماني "غوته" الذي عرف و صوّر الشرق من خلال مطالعته لكتاب " ألف ليلة و ليلة"، و من "القرآن الكريم"[2]، كما نجد أيضا الكاتب الألماني الشهير " كارل ماي" صاحب قصص المغامرات، يقدم في رواياته لليافعين صورة مليئة بالغرائبية لشعوب الشرق، و قد استند في نسجه لتلك الصور إلى المطالعة و الخيال الواسع، و ليس إلى المعرفة المباشرة بذلك البلد[3]، كما يمكن أن نعتبر السينما إحدى هذه الوسائل الهامة، فالأفلام الأمريكية و الإنجليزية و الفرنسية و المصرية و الهندية أصبحت تعرض في الكثير من الدول، و في هذه الأفلام نجد وصفا لمناظر طبيعية تخص بلدا ما،

---

[1]. ينظر عبد المجيد حنون، المرجع السابق ص 76، 77.

[2]. ينظر ماجدة حمود، المرجع السابق، ص 112.

[3]. ينظر المرجع نفسه، ص 112.

كما نجد أبطالا لهذا الفيلم الذي يمثلون نماذج بشرية خاصة ببلد معين، و هذا كله يستطيع أن يكوّن لنا في الأخير فكرة أو صورة و لو جزئية عن ذلك البلد المراد معرفته.[1]

ت. **الحروب:** لقد كانت الحروب قديما من أهم الوسائل المساعدة في تكوين صورة الشعوب لبعضها البعض، و ذلك رغم بشاعتها و فضاعتها، فمثلا الجزائريون الذين شاركوا في الحربين العالميتين نقلوا و حكوا كل ما رأوه عن فرنسا و إيطاليا و ألمانيا، و عندما جندتهم فرنسا لمحاربة الفيتناميين حكوا عن الهند الصينية و أدغالها، فمن خلال هذه الحروب البشعة إستطاع الشعب الجزائري أن يكوّن صورة عن شعوب أخرى، كما أن هناك وسيلة أخرى دامغة و قوية، و هي أقوى من كل الوسائل التي ذكرناها و هي: " فرض الوجود" و ذلك مثلما قامت به فرنسا في المغرب العربي، حيث نهبته نهبا، و شردت أهله، و فرضت نفسها عليهم بالقوة، و بذلك فالصورة التي كونوها عن فرنسا كانت نتيجة الإحتكاك اليومي و المعايشة و التجربة و "أغلب الظن أن الصورة المبنية على المعايشة و التجربة و الممارسة أشمل و أوضح و أقرب إلى الواقع لأن الشعب المتأثر يتحدث عن تجربة معاشة مارسها زمنا مهما تكن ظروفها الخاصة بها"[2].

كانت هذه إذا أهم الوسائل المساعدة في تكوين صور الشعوب عن بعضها البعض لكن السؤال الذي طرح و مازال مطروحا هو ما مدى صدق الصورة في تمثيلها للشعوب أو في تمثيلها للواقع؟ .

إنّ لكل إنسان صورة أو فكرة معينة حول غيره، و لكل أمة صورة عن الأمم الأخرى، فقد تكون هذه الصور قريبة من الواقع و قد تكون بعيدة كل البعد عن الواقع و هي من نسج الخيال فقط، و هذا البعد هو الذي سبّب لها إشكالا حول مصداقيتها، خاصة و أنها تعدّ مصدرا من مصادر المعرفة، قد تكون هذه المعرفة صحيحة و قد تكون خاطئة، و لذلك فليس غريبا أن يعرف مفهوم علم الصورة في العصر الحديث " أنه إصطلاح ظهر في

[1]. ينظر عبد المجيد حنون، المرجع السابق، ص77 .

[2]. المرجع نفسه، ص 78.

الأدب المقارن، يشير إلى دراسة صورة شعب عند آخر بإعتبارها صورة خاطئة..... أو هو حقل لدراسة تكوّن الصورة الخاطئة في شهادات أدب الرحلات"،[1]و ما يجعل هذه الصور خاطئة هو تدخل وطغيان العناصر الذاتية و العاطفية في صياغة صورة الآخر و تلوينها، و ابتعادها عن الحقائق الموضوعية، و هذا ما جعل الشعوب المصورة نادرا ما ترضى عن الصورة المقدمة عنها. [2]

تقول سيلفان ماراندون: " أن أي شعب لا يمكن أن يرى الشعب الآخر كما هو في الواقع لأن هناك فارق بين الصورة و الواقع"[3].

و يذكر بيار ماشري في كتابه «Pour une théorie de la production littéraire»، أن " إنعكاس الصورة لا يتم أبدا كالصورة الفوتوغرافية، و إنما الصورة صورة لمنظور مكوّن في إطار رؤية العالم مرتبطة بإيديولوجية الكاتب و ذاتيته في النهاية"،[4]و من ثم فلا توجد أبدا صورة تعكس الواقع، و يقول باجو في ذلك " لإعداد صورة الأجنبي لم ينقل الكاتب الواقع، بل إنتقى بعض العناصر التي وجدها مناسبة لتمثيل الأجنبي".[5]

إن مطابقة الصورة للواقع كما هو أمر مستحيل و هذا يرجع لأسباب كثيرة ردّها الباحث عبد المجيد حنون الى :

**أ. عدم ثبات** الصورة: من المعروف أنّ الإنسان دائم التغير، فقد إعتاد على تغيير شكله وفق ما يتناسب مع نمط الحياة و الموضة،فهو يغير ملابسه و طريقته في الحياة اليومية، كما يتغير كذلك في باطنه، و ذلك من خلال إيمانه و تسليمه بأفكار و معتقدات جديدة و تخليه عن أفكار أخرى، فالإنسان كائن غير جامد معروف بحركته و نشاطه و تطوره، و

---

[1]. مضطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، موفم للنشر، الجزائر د.ط، 2008م، ص 46.

[2]. ينظر المرجع نفسه ص 46.

[3]. سيلفان مراندون صورة فرنسا في مخيلة الانجليز، نقلا عن رعاش مبخوتة، المرجع السابق، ص 21.

[4]. بيار ماشري، نقلا عن المرجع نفسه، ص 21.

[5]. هنري باجو ، نقلا عن المرجع نفسه، ص 21.

هذا التطور هو الذي يحدث تغييرا في حياته، و بطبيعة الحال إذا تغير شخص واحد فالشعب كله يتغير.[1]

**ب.إختلاف وجهة النظر:** لكل إنسان وجهة نظر، و هي تختلف من شخص لآخر، و ذلك حسب المزاج و المستوى الفكري و المادي و الاجتماعي، فإذا نظر مثلا شخصان إلى شيء واحد فلابد من وجود بعض الاختلاف بينهما لأنّ نظرتهما إلى الحياة مختلفة، فإذا كان هذا الإختلاف بين شخصين نظرا إلى شيء واحد فما بالك بالاختلافات التي ستكون بين مجموعة أشخاص تنظر إلى شعب بأكمله.[2]

إذن إن تمثيل حقيقة شعب ما أمر مستحيل و هذا ما أكده لنا "ماريوس فرنسوا غويار" حين قال: " إن البحث عن مطابقة صورة شعب مالواقع ذلك الشعب و حقيقته أمر مستحيل، و كلما إتسعت المجموعة زاد خطر التجريد لدى من يحاول ضبط الصورة".[3]

إنّ عدم الوصول إلى حقيقة شعب ما من خلال الصورة المكوّنة له، لا يعني خلو تلك الصورة تماما من أي عنصر حقيقي، فالخيال ينطلق دائما من واقع ما، و كل صورة خيالية تستند إلى القليل من الواقعية، " فالعقل البشري يلتقط أشياء من واقعه المعاش أو المسموع أو المرئي، ثم يحلل ذلك الواقع إلى جزيئات، تلك الجزيئات يعيد بنائها و تركيبها من خلال نظرة معينة، و بذلك يأتي بشيء جديد شيء غير مطابق للواقع، و غير منفصل عنه تماما".[4]

و خلاصة القول إن عدم مطابقة الصورة للواقع لا يعني عدم مصداقية الصورة، بل صدق الصورة يكمن في دقتها، في تعبير الأديب عن أحاسيسه و تصوراته نحو موضوع

---

[1]. ينظر عبد المجيد حنون، المرجع السابق، ص 79، 80.

[2]. ينظر المرجع نفسه، ص 80.

[3]. ماريوس فرونسوا غويار ، نقلا عن رعاش مبخوتة، المرجع السابق، ص 21.

[4]. عبد المجيد حنون، المرجع السابق، ص 80.

الصورة بأسلوب لا يخلو من التأثير و صدق المشاعر، فمقياس مصداقية الصورة هو صدق التعبير عن الأحاسيس لا المطابقة الدقيقة للواقع.[1]

**3/ مكوّنات الصورة:**

**أ.النمط:** يعتبر النمط أحد العناصر الأولية و الأساسية المكوّنة للصورة الأدبية، فهو يشكل جزءا هامّا من بنيتها، إذ تكمن فائدته في أنّه يقدم عددا قليلا من المعلومات من أجل إتصال أشمل و أوسع،[2] فهو إذا " شكل موجز و ملخص لتعبير شعاري عن ثقافة أو نظام إيديولوجي، يطرح للمعارضة و يثبت أنه إضمار للروح و التفكير العقلاني،مما يستبعد كل مقاربة نقدية من شأنها تطوير العلاقات الإيجابية بين الشعوب و المجتمعات"[3]. أو هو " تعبير ثقافي مبسط أي مسطح دون عمق يحمل دائما صورة ثابتة عن الآخر تكون إيجابية أو سلبية"[4].

تظهر الصورة النمطية بكثرة في النصوص الأدبية حول الأجنبي و غالبا في مستوى الوصف، فإذا عدنا مثلا إلى الصور المختزنة في الذاكرة الشعبية للعرب عن الغرب نجد صفات لم تتغير مثل الكفر، و الإنحلال الأخلاقي و شرب الكحول، بينما الصورة التي رسخت في ذهن الغربي عن العرب و الإسلام هي صورة الصحراء و الجمل، و الجهل و التخلف.[5]و من هنا يمكن القول أن النمط هو دليل على ثقافة متجمدة ضعيفة تكرارية[6]، فعلى الرغم من سهولة التواصل و الإنتقال في العصر الحديث، فهذه الصور الذهنية لم تتجدد بل بقيت مخزنة كما هي، و لعل هذا راجع إلى الحروب التي منعت الشعوب من التواصل مع شعوب أخرى بشكل صحيح، فتشكلت الصورة النمطية المشوهة، و صارت

---

[1]. ينظر المرجع نفسه، ص81.

[2]. ينظر هنري باجو، ترجمة غسان السيد، المرجع السابق ص 95.

[3]. أمينة سوفلان، المرجع السابق، ص20.

[4]– عيسى عطاشى، صورة الجزائر في أدب الرحلات الفرنسي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005م، ص36.

[5]. ينظر د. غسان السيد، صورة الغرب في الأدب العربي، المرجع السابق، ص 90.

[6]. ينظر هنري باجو، المرجع السابق ص 96.

وسما في ذاكرة الشعب[1]. كما أن البعض يردّ سبب بروز الصور النمطية بكثرة إلى إضطرار الإنسان إلى وضع الأحداث و الأفكار في تصنيف جاهز مسبقا، و هذا راجع إلى ضغط الوقت و اتساع العالم، و كثرة المعلومات، و في ذلك يقول ليبمان: " كبر العالم، و عجز الإنسان عن الإحاطة بمحتوياته، و تكوين أفكار دقيقة مسوغ يدفع كل فرد منا ليشرح خبرته و يفسرها في ضوء تجاربه الماضية".[2]

لم تقصر وسائل الإعلام في تزييف بعض الحقائق و التعتيم على بعض الأفكار و ذلك حتى تتطابق مع الصور المخزنة في الذاكرة و تتوافق مع سياستها المنتهجة،[3] و هذا ما نلاحظه في الوقت الحالي مع السياسة الأمريكية التي استطاعت أن تزرع صورة نمطية في عقول الأمريكيين قوامها أن المسلمين إرهاب، و من هنا نمت صورة سلبية مشوّهة عن الإسلام، مثلما تنمو الفطور و تتكاثر بشكل مرضي، فتمسك الأمريكيون بهذه الصورة أو الفكرة على أنها الأصل، و رفضوا تغييرها، و بقيت هذه الصورة إلى يومنا هذا، خاصة في الأحداث الأخيرة التي كانت في فرنسا. [4]

إذن من خلال كل هذا نستنتج أن شيوع النمط في الصورة الأدبية يجعلها بعيدة كل البعد عن التجدد و التغير، فهي صورة أولى و أخيرة للآخر، أي جامدة، تصلح لكل زمان دون أن يطرأ عليها أي تغيير و هذا ما يفسح المجال لتشويهها. [5]

يميز باجو بين ثلاث عناصر أساسية مكوّنة للصورة هي: "الكلمة، العلاقة التراتبية أو الطبقية، السيناريو".

---

[1]. ينظر د. غسان السيد، صورة الغرب في الأدب العربي، المرجع السابق، ص90.

[2]. [3]. المرجع نفسه، ص 91.

[4]. ينظر المرجع نفسه، ص 92.

[5]. ينظر ماجدة حمود، المرجع السابق، ص 115.

**ب.الكلمة:**

تشكل الكلمة عنصرا هاما من عناصر الصورة، فهي تعتبر مفتاحا أوليا للتعبير و تكوين صورة عن الآخر و لذلك يجب علينا " أن نجمع مخزونا واسعا من الكلمات التي تسمح في عصر و ثقافة معينين بالنشر الفوري لصورة الآخر"،[1] و بفضل هذا الكلمات أو الحقول المعجمية تتكون مفاهيم و مشاعر متشابهة من حيث المبدأ مع الكاتب و جمهوره القارئ،[2] و لذلك ينبغي على الباحث أن يميز بين الكلمات الأساسية أو الأصلية و بين الكلمات المبتكرة أو الخيالية، و بين منظومتين معجميتين هما:

**الأولى:** كلمات نابعة من لغة البلد الناظر، و بها نستطيع تحديد و وصف البلد المنظور إليه، و **الثانية** هي كلمات مأخوذة من لغة البلد المنظور إليه، و نقلت دون ترجمة إلى لغة البلد الناظر.[3]

**ت. العلاقة التراتبية:**

حتى يتمكن الباحث من تحليل النص الصوري تحليلا دقيقا و معرفة طبيعة العلاقة الموجودة بين "الأنا" و "الآخر" في ذلك النص، لابد له من عزل العناصر التي يتركب منها النص الصوري، و دراسة كل واحد منها على حدى، و أول عنصر يقف عنده الباحث هو دراسة الكلمات و المفردات المتحكمة في النص الصوري و علاقتها ببعضها البعض ثم ربطها بسياق النص كله، لأن كل من هذه الكلمات تعنى بمشهد معين و تعبر عن موضوع معين، و لذلك وجب على الباحث هنا إتباع المنهج البنيوي الذي يهتم بوظائف الكلمات ومدى تقديمها للمعاني وتبدأ هنا "عملية تفكيك النص الصوري إلى وحدات جزئية من أجل معرفة العلاقات التي تربط " الأنا" " بالآخر"، و كيف تتحول هذه الأخيرة إلى شعور

---

[1]. ينظر هنري باجو، المرجع السابق، ص 97.

[2]. ينظر ماجدة حمودة، المرجع السابق ص 114-115.

[3]. ينظر أمينة سوفلان، المرجع السابق، ص21.

موجّه"[1]،و تهدف دراسة العلاقات الموجودة بين "الأنا" و "الآخر" إلى إستخراج التقابلات الموجودة بين الثقافتين، و تحديد موضع كل منهما في حركية النص و نظامه، و بالتالي " تفسر العلاقات التي تحكم " الأنا" و "الآخر" و المرتبة الإجتماعية و الثقافية التي يحتلها هذا الآخر، "كالحالة الاجتماعية، الانتماء الحضاري، المستوى الثقافي، المظهر الفيزيولوجي".[2]

عندما يصل الباحث إلى هذا المستوى من التحليل، يستطيع تحديد الإطارين الفضائي و الزماني لكلا الطرفين (الآنا و الآخر)، و لا يعني بهذا الإطار مجرد الوصف الخارجي، بل هو جزء من عناصر سردية متشابكة " الشخصيات، الراوي"،[3] لذلك وجب على الباحث فهم هذه المسارات السردية التي يسلكها الحيزان الزماني و المكاني في النص و هذا " من أجل وضع إتصال دائم مع نظام الشخصيات، و الراوي"،[4] كما عليه أن يركز إنتباهه على الإشارات التاريخية (التواريخ، الأحداث، الحقب الزمنية) التي تساعده في إعطاء صورة دقيقة للأجنبي[5]. و كثيرا ما يغيب الزمن الحقيقي في النصوص التي تصور الأجنبي فيعاد خلق زمن أسطوري، و لذلك وجب على الباحث أن يكون حذرا إزاء كل ما يبدو أسطرة للزمن التاريخي و السردي[6].

**ث.السيناريو:**

يلعب السيناريو دورا هاما في توضيح صورة الآخر، خاصة إذا استفاد الباحث من علم الدلالة " الذي هو حقل معرفي يدرس حياة الرموز ضمن الحياة الإجتماعية، كما يدرس تطور التواصل بين الأمم"[7]، فالمظاهر الثقافية و الإجتماعية الموظفة في النصوص الصورية تعتبر عناصر مهمة جدا، لأنها سمات مميزة لكلا الثقافتين، و بفضلها يتمكن

---

[1]. أمينة سوفلان، المرجع السابق، ص 22، 23.

[2]. المرجع نفسه، ص 23.

[3]. ينظر ماجدة حمود، المرجع السابق، ص 116.

[4]. أمينة سوفلان، المرجع السابق، ص 23.

[5]. ينظر ماجدة حمودة، المرجع السابق، ص 117.

[6]. ينظر أمينة سوفلان، المرجع السابق، ص 23.

[7]. ماجدة حمودة، المرجع السابق، ص 117.

الباحث من إستخلاص أهم القيم الجمالية أو السلبية لكليهما و من هنا " تنتقل العلاقة بين "الآنا" و "الآخر" من مجرد كونها تراتبية إلى حوار بين منظومتين ثقافيتين و يخلق هنا ما يسمى السيناريو داخل النص"[1].

## 4/ الهدف من دراسة الصورة:

يحتل علم الصورة اليوم مكانة هامة في الأدب المقارن، و ذلك للدور الهام و الفعال الذي بات يلعبه، فهو شكل من أشكال الحوار المثمر الذي يساعد الشعوب في التعرف و التقارب مع بعضها البعض، يقول غويار في ذلك: " إنّ دراسة الصورة تعلم الشعوب التعارف أكثر بمعرفة أوهامها حول بعضها البعض"،[2] كما أنها تهدف إلى تطهير عقلية الجماعة من بعض الأحكام المسبقة، يقول كلود بيشوا و أندري روسو: " مثل هذه الدراسة– إذا درست بعقل نقدي متسامح– يمكن أن تساعد شعبين على تحليل نفسيتهما بمعرفة مصدر أحكامها المسبقة نحو بعضها البعض، و بذلك سيتعرف كل واحد على نفسيته أكثر و سيحتاط أكثر في الحكم على الآخر"[3] .

إذن إنّ دراسة صور الشعوب تساعد على فهم العقليات، و لعل أهم ميزة تتميز بها هذه الدراسة هي أنها تعطي لكل أمة فرصة رؤية نفسها في مرآة الآخر، و هذا حتى تتمكن من معرفة مكانتها عند الشعوب الأخرى و تعمل على تصحيح و تحسين صورتها المشوهة و توعية مصورها.[4]

---

[1]. أمينة سوفلان، المرجع السابق، ص 24.

[2]. ماريوس غويار، الأدب المقارن، نقلا عن عبد المجيد حنون المرجع السابق، ص 75.

[3]. كلود بيشوا و روسو ، الأدب المقارن، نقلا عن عبد المجيد حنون المرجع السابق، ص 75.

[4]. ينظر زبير دراقي، محاضرات في الأدب المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت ص 43.

يقول لهجومري عبد الجليل: " إنّ دراسة الصورة تؤدي إلى توعية الشعب المتصور بما يحمل من أوهام تشوب معرفته بحاضره المعيش و بأحداث الآخر الذي يتصوره".[1]

**5/ المشاكل المنهجية:**

إنّ عدم وجود منهج محدد لدراسة الصورة الأدبية، سبّب مشاكل منهجية كثيرة للباحث، فحتى يرصد الباحث صورة شعب في أدب شعب آخر لابد له من منهج و خطوات ثابتة يعتمد عليها، لكن غياب المنهج في هذه الدراسة « Imagologie » جعل الباحث يمتنع عنها، لأن كل ما هناك هو مجرد جماعات تعمل بإستمرار على تحسين وسائلها في هذه الدراسة، و قد أكد لهجومري عبد الجليل: "أنه لا توجد طريقة علمية ثابتة، لأن كل صورة و كل شعب و كل فترة معينة تقتضي منهجية خاصة"، [2] أما سيلفان ماراندون فأكدت " أن طريقة العمل في مثل هذه الدراسة تقوم على منهج تحليل المحتوى مع الإعتماد على الإحصاء".[3]

أما هنري باجو فيري أن المنهج الذي تقوم عليه هذه الدراسة يتلخص في النقاط التالية: " إحصاء و تحليل كل الخطابات عن الآخر تحليلا تعاقبيا و تزامنيا، و إدماج المعطيات التاريخية و الاجتماعية، و المعطيات التي تنظم العلاقات بين الثقافات تدريجيا، و هذا يعني التركيب مع الارتباط بالنصوص أكثر من البحث عن التساؤلات الاجتماعية و الثقافية، و أخيرا مواجهة النتائج بالتحاليل التي أجريت على نفس المواضيع من طرق الباحثين في العلوم الاجتماعية و الانسانية".[4]

---

[1]. لهجومري عبد الجليل ، صورة المغرب في الأدب الفرنسي، نقلا عن رعاش مبخوتة، المرجع السابق ص 25.

[2]. [2] . لهجومري عبد الجليل، و سيلفان مراندون، نقلا عن زهرة مزوني، صورة اليهودي في الشعر العربي، رسالة ماجستير، الجزائر 2000-2001م، ص 7.

[4]. المرجع نفسه، ص 7 – 8.

# الفصل الأول

## الصراع بين الشرق و الغرب و العلاقة بينهما

**المبحث الأول: إرتباط و تفاعل عدائي بين الشرق و الغرب**

**المطلب الأول: مفهوم الشرق و الغرب و العلاقة بينهما**

**المطلب الثاني: الحروب الصليبية**

**المطلب الثالث: المرأة الأوروبية في المجتمع الصليبي**

**المبحث الثاني: إرتباط و تفاعل ثقافي بين الشرق و الغرب**

**المطلب الأول: الإستشراق**

**المطلب الثاني: الحملة الفرنسية و دورها في النهضة العربية .**

## المبحث الأول: إرتباط و تفاعل عدائي بين الشرق و الغرب

### المطلب الأول: مفهوم الشرق و الغرب و العلاقة بينهما

قبل الولوج الى العلاقة التصادمية بين الشرق و الغرب ، اود ان اعرج اولا على مفهوم هاذين المصطلحين لاحددهما بدقة ، و ذلك لما يعتريهما من غموض و ضبابية و شساعة تجعل تحديد مفهومهما صعبا و شائكا ، خاصة و أن الباحثين إختلفوا في تحديدهما ، فهناك من يرى أن التحديد يكون على المستوى الجغرافي ، و هناك من أشار الى أن التحديد يكون على المستوى الثقافي ، أما البعض الآخر فيرى أن تحديد هذا المصطلح يكون حسب خصائص و ميزات كل منهما[1] ، فماذا نعني بمصطلحي الشرق و الغرب يا ترى؟.

يرى الاوروبيون ان كلمة " orient" تدل على كل " ما يقع في اتجاه الشرق"[2] لأن الشرق هو مركز الإشعاع الذي تسطع و تشرق منه الشمس خلال سنة كاملة [3]يقال " أشرقت الشمس طلعت و أضاءت، و المشرق هو مكان شروق الشمس و جمعها مشارق ، و المشراق و المشريق هو موضع القعود في الشمس بالشتاء،

[1] .ينظر جمال مباركي ، الغرب في الرواية العربية الحديثة ، رسالة دكتوراه العلوم ، باتنة 2008 – 2009م ص 11 .

[2] – ياروسلاف سيزار و جوزيف ترجمة د.جوزيف نسيم يوسف دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب د.ط د.ت ص138.

[3]– ينظر جمعة طيبي صورة المراة الغربية في الرواية الجزائرية، رسالة دكتوراه العلوم العلوم الجزائر 2015–2016م ص15.

و الشرقي هو المنسوب إلى الشرق من الإنسان و الحيوان و سائر الأشياء و كل مكان في جهة الشرق"[1] و أثناء إتصال الشرق بأروبا في الحروب الصليبية سمي المسلمون بالشرقيين، و حددوا الشرق العربي بالبلاد العربية التي تمتد حدودها من مصر إلى إيران، و قد يزداد الشرق توسعا حسب رأي أحمد أمين ليشمل الهند و الصين و اليابان و الإتحاد السوفياتي و إيران و العالم العربي و مصر، أما الغرب فيشمل كلا من أروبا و أمريكا[2].

إن الجهود التي بذلها الباحثون في تحديدهم لمفهوم الشرق و الغرب تحديدا جغرافيا، هي جهود قيمة، لكن تحديدهم هذا يبقى تحديدا نسبيا، لأنه ليس بالضرورة أن نعتبر الأماكن الموجودة في الشرق شرقا فقط، بل العكس هناك بعض المناطق موجودة في الشرق و نعتبرها غربا و الأمر نفسه بالنسبة لأروبا هناك بعض المناطق نعتبرها شرقا، و بناء على ذلك فالتحديد الجغرافي ليس مقياسا صحيحا كل الصحة للحكم على المناطق بأنها تنتمي إلى الشرق أو الغرب، لذلك فضل بعض الباحثين الإعتماد على مقياس آخر هو " الزمن "، أي " التحديد الزمني"[3]، و قد ميزوا بين الشرق و الغرب على أساس أن:" الغرب يدل على معنى المدنية الحديثة بأساليبها الخاصة، كالإعتماد على العلم في كل مرفق من مرافق الحياة من تربية و زراعية و

[1] – بطرس البستاني، قطر المحيط، قاموس لغوي ميسر، أطلس البلاد العربية و القارات، مكتبة ناشيرون، ط2، 1995، ص 290.

[2] –ينظر جمال مباركي، المرجع السابق، ص12 .

[3] –ينظر المرجع نفسه ، ص 12.

صناعة و إقتصاد و نحو ذلك، و يقابل هذه المدنيات غير الحديثة من مدينة مصرية و رومانية و عربية و غير ذلك، فالعنصر الأساسي في التقسيم هو الزمن"[1].

أما أحمد أمين فيميز بين الشرق و الغرب حسب الخصائص " فالغرب يختص بالتقدم الميكانيكي، و الحركات الصناعية و الديمقراطية، و تلون أدبه و فنه بلون خاص، لون عملي أكثر منه نظريا، و تقدير النساء و منحهن كثيرا من الحرية، والشرق يتصف بالتواكل و الخضوع للإستبداد، و التقليل من حرية النساء، و كثرة الإعتقاد بالخرافات و نحو ذلك"[2]، و هذا ليس رأي أحمد أمين فقط، بل حتى الغرب يرى أن الشرق شعب مقهور مظلوم يرضى بالذل الذي يفرضه عليه حكامه، و لعل رضوخ الشرق المستمر هو ما أدى به إلى التخلف و الهمجية فأصبح ينعت بالأمة الشرقية الهمجية.[3]

إن التحديد الذي إعتمده أحمد أمين هو تحديد نسبي، لأنه إبتعد فيه كل البعد عن الموضوعية ، فلم يجد صفة دونية إلا و ألصقها بالشرق، و كأن كل المساوئ موجودة في الشرق، و كل المحاسن موجودة في الغرب، لذلك فإن هذا التحديد لا يعتد به كثيرا، و وجب التفكير في تحديد آخر يكون أكثر موضوعية، فمثلا زكي نجيب محمود ميز بين هاذين المصطلحين على أساس الجانبين " المادي و الروحي" ، فهو

[1] – المرجع نفسه، ص 13.

[2] –المرجع نفسه، ص 13 .

[3] –ينظر جمعة طيبي، المرجع السابق، ص 16.

يرى أن " نظرة الشرق إلى الوجود نظرة الفنان، في حين كانت نظرة الغرب إلى الوجود نظرة العالم، حتى لتستطيع أن تعد الشرق معرضا كبيرا من معارض الفن و أن تعد الغرب معملا كبيرا من معامل العلم، فما من شك في أن للشرق لون ثقافي واحد تتحدد فيه أقطاره جميعا و هو الروحانية التي ظهرت في أرضه دينا وفنا"[1] .

إذا قلنا أن الشرق هو مركز الإشعاع الذي تسطع و تشرق منه الشمس، فإن الغرب هو الوجهة التي تغيب منها الشمس[2]، و " المغرب بكسر الراء على الأكثر هو مكان غروب الشمس و يقابله المشرق، نقول لقيته مغرب الشمس أي عند غروبها، وغرب فلان أي بعد و نزح عن الوطن و أغرب القوم أي أتو الغرب"[3]، و قد ساهمت في تبلور مفهومه عوامل كثيرة منها عاملان أساسيا:

**الأول:** هو الكشوفات الجغرافية، فقد عدها " تزفتان تودوروف" عاملا قويا في تكوين هوية الغرب، حيث قال: " لا يوجد تاريخ أنسب لتمييز بداية العصر الحديث من عام 1492م، العام الذي عبر فيه كولومبوس المحيط الأطلسي"[4] .

**أما العامل الثاني:** الذي كون هوية الغرب و مقوماته، هو عامل الثورة الفكرية و الصناعية، و هو عامل رئيسي، إعتبره الكثيرون مبلورا هاما لمفهوم الغرب لأنه جعل

---

[1] – جمال مباركي، المرجع السابق، ص 13.

[2] – ينظر جمعة طيبي، المرجع السابق، ص 17.

[3] – بطرس البستاني، المصدر السابق، ص 419.

[4] – تزفتان تودروف، فتح أمريكا و مسالة الآخر، تر بشير السباعي نقلا عن جمعة طيبي، المرجع السابق، ص 18.

من الغرب قوة و مصدرا للقارات الأخرى . و ها هو كمال عبد اللطيف يعرف الغرب

بـ:" الغرب فضاء جغرافي مشحون بدلالة حضارية تسند إلى التراث الإغريقي الروماني المسيحي، ثم تراث النهضة الأوروبية، و مختلف مكتسبات الحضارة التي تولدت في قلب الجغرافيا الأوروبية منذ ما يزيد عن الأربعة قرون، ثم شملت قارات أخرى تعربت بفعل تاريخي قسري، تمثل في الهيمنة الامبريالية بمختلف النتائج التي ترتبت عنها"[1] و الغرب نوعان:

**غرب قديم:** إن تحديد اللحظة التي ولد و ظهر فيها مفهوم كل من الغرب و أوروبا أمر صعب و شائك يحتاج إلى دراسة متأنية و عميقة للتاريخ الأروبي الغربي، و قد إعترف عبد الله إبراهيم بذلك قائلا أنهما: " من تمخضات تلك الحقبة الطويلة والمتقلبة التي يصطلح عليها " **العصر الوسيط** " الحقبة التي طورت جملة من العناصر الإجتماعية و الدينية و السياسية و الثقافية، فاندمجت لتشكل " هوية " أوروبا، و بانتهاء تلك الحقبة، ظهر إلى العيان مفهوم " الغرب " بأبعاده الدلالية الأولية، و سرعان ما ركب من المفهومين المذكورين مفهوم جديد هو " أروبا الغربية ". هذا المفهوم ذو الدلالات المتموجة، لم يمتثل أبدا للمعنى الجغرافي الذي يوحي به ، فقد راهن منذ البدء على المقاصد الثقافية و السياسية و الدينية، و من ثم ثبت مجموعة

[1] – كمال عبد اللطيف، الإسلام و الغرب صعوبات الحوار، مجلة فكر و نقد، نقلا عن جمعة طيبي، المرجع السابق ،ص 18.

من الصفات و الخصائص العرقية و الحضارية و الدينية على أنها ركائز قارة، تشكل أسس هويته"[1].

**غرب حديث:** بقيام الثورة الصناعية خطى الغرب خطوة جديدة كلها تألق و حداثة و سيادة، و كل هذه المؤهلات حفزته ليمارس سيادته على الدول الأقل قوة منه، دولا لا تملك إلا لقمة عيشها فلم يتردد في ممارسة كل أساليب القمع على هذه الدول، لأن مصالح و طبيعة الحياة الحديثة تتطلب ذلك، خاصة إذا رأى أن هذا الآخر سيكون عائقا على مستقبله لذلك " شحن الإحساس الغربي، بأكثر صور التعصب عنفا، تجاه الشرق، و بدأ الشرقي و بخاصة العربي يظهر في الخطاب العربي، كائنا ما كان نوعه بصور تخالف حقيقته، و لكنها تطبق ما يريد الغرب له"[2].

إن إنقسام العالم إلى شرق و غرب قضية تاريخية قديمة تعود جذورها إلى الحروب الميدية بين الفرس و اليونان التي دامت آلاف السنين و مثلت الصراع المحتدم بين أروبا و آسيا، فقد مثلت " إنتصار الذكاء و الحرية في الغرب على المادية و الاستبداد في الشرق"[3]، و في ذلك قال أيضا أندريه زيغفويد في 1943م: "في زمن حضارة اليونان الكبرى، كان مركز الكون يقع في جهة المتوسط الشرقي

[1] – عبد الله ابراهيم، المطابقة و الاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية، دار الفارس للتوزيع و النشر، الأردن، ط 1، 2004م، ص 22 .

[2] – المرجع نفسه،ص 600.

[3] – جمال مباركي، المرجع السابق، ص 19.

باتصال وثيق مع آسيا، لكن الغرب كان بادئا بتميزه عن الشرق، و الحضارة اليونانية كانت غربية"[1].

لم ينته الصراع بين الشرق و الغرب بل مازال قائما إلى يومنا هذا، و هذا بسبب أطماع أوروبا في الشرق و نواياها السيئة المضمرة تجاهه، فبعدما كان العالم منقسما إلى شرق و غرب، زاد إنقسامه توسعه اليوم ليصبح غربا متقدما و شرقا متأخرا، فالغرب يرى أن الشرق هو رمز التخلف و الإنحطاط، لكن هذا ليس صحيحا، لأن الشرق هو المصدر الرئيسي الخفي للعلوم التي يحتكرها و يتباهى بها الغرب اليوم مدعيا أنها له بعد تعديلها و تطويرها، فتفوق على حسابنا لكن هذا التفوق لا أهمية له لأن كل ما توصل إليه الغرب من علم ‹‹الطب خاصة ›› موجود في القرآن الكريم " والحق يقال إن العلم العربي قد نشأ إستجابة لما يدعو إليه القرآن من وجوب معرفة الإنسان نفسه و الكون من حوله، و وجوب التدبر في كل أمر "[2].

للغرب هدف واحد ووحيد هو تشويه صورة الإسلام أو الآخر و التحريض ضد مبادئه، لذلك شرع الغرب " يرتب العالم حول مركز يشكل هو جوهره و كل من يبتعد عن المدار المتصل بذلك المركز، يكون قد هوى إلى الحضيض، لأنه فقد اتصاله بالمركز الذي يمنح الأشياء أهميتها، و البحث في شأن الآخر وجودا و ثقافة، يتحول

[1] – اندريه زيغفويد نقلا عن جمال مباركي ، المرجع السابق ص 19.

[2] – د. سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط 1، 1998م، ص71.

بالنسبة للمركزية الغربية إلى نوع من البحث عن صدى تلك المركزية في الآخر، فدراسة الآخر لا شأن لها بخصائصه الذاتية، إنما بإعادة إنتاج لمركزية الغرب، مقابل تهميش الآخر"[1] .

إن المتتبع لتاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب يرى أن العلاقة بينهما هي علاقة متشابكة يسودها التصادم و التصارع، فكل له منظومته الخاصة، و لو افترضنا و قلنا أن فترة الإحتلال إنتهت و أصبح هناك حد للإصطدام بينهما سنكون مخطئين، لأن أساليب الإستعمار الآن أصبحت مختلفة و حديثة تجاري العصر الحالي، و لعل هذا ما نلاحظه اليوم،[2] و اذا أردنا أن نتعمق أكثر في تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب لن نجد أحسن من عرض تاريخ الحروب الصليبية التي توضح العلاقة توضيحا جيدا.

[1] – عبد الله ابراهيم، المرجع السابق، ص 601.

[2] –ينظر عادل الجبوري، الاسلام و الغرب، قراءات معاصرة، دار النهضة للطباعة و النشر، ط 1، 2003م، ص 5، 6.

**المطلب الثاني: الحروب الصليبية**

تعتبر الحروب الصليبية تجربة من أخطر و أكبر التجارب التي مر بها المشرق العربي، فهي أول بصمة للعداء في تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب، و قد دام هذا العداء زمنا طويلا تسبب في خسائر كثيرة للبلدان العربية، فقد كانت هذه الحروب السبب الرئيسي في إنهيار البلدان العربية و ركودها لوقت طويل، و لعل سبب هذا الإنهيار راجع إلى إستغلال و إستنفاذ التنين الصليبي للجهود الجبارة التي قامت بها البلدان العربية في الدفاع عن أملاكها و أراضيها، فقد إستخدمت كل مواردها مقابل النيل من ذلك التنين الصليبي الذي أراد الإستيلاء على بلاد الشرق و مواردها.[1] و لذلك فالسؤال الذي يتبادر إلى ذهننا هو ماذا نقصد بالحروب الصليبية؟، ماهي أسباب إندلاعها و قيامها؟ و ما هي نتائج نهايتها؟ .

لقد تعددت آراء المؤرخين حول مفهوم الحركة الصليبية، فكل مؤرخ كانت له وجهة نظر، فهناك من يرى أن الحروب الصليبية هي " حلقة من حلقات الصراع بين الشرق و الغرب، و هو الصراع التقليدي القديم الذي ظهر بوضوح في النزاع بين الفرس و اليونانيين، ثم بين الفرس و الروم"[2] ، و تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الصراع لم يكن مرتبط بأي عامل ديني، و لذلك ربط هذا الصراع بالعامل الحضاري فعرف بأنه " مواجهة حضارية طويلة بين الشرق العربي الإسلامي و الغرب الأروبي

[1] – ينظر سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، الجزء الأول، ط 1، 1963م، ص 3.

[2] – المرجع نفسه، ص 21.

الكاثوليكي، و قد بدأت هذه المواجهة في وقت كانت فيه الحضارة الاسلامية قد وصلت إلى أقصى مراحل نضجها و تطورها ثم بدأت تخبو و تخفت ..... ....."[1].

ان الصراع بين الشرق و الغرب كان و مازال كالبركان يخمد حينا و يثور أحيانا أخرى ويكون ثورانه و هيجانه قويا و عنيفا إذا تعلق الأمر بمسألة الدين "بين الإسلام والمسيحية "، هذه المسألة التي إتخذتها الحروب الصليبية فيما بعد دافعا لها في خلاف جديد، و من هنا أصبح للحروب الصليبية مفهوم آخر هو " ذلك الصراع الديني و السياسي الذي قادته البابوية لتحقيق أطماعها بالهيمنة على العالم الإسلامي، و نشر المسيحية، و السيطرة على بيت المقدس"[2] .

فالحروب الصليبية هنا إذن ما هي إلا عملية " إستمرار لحركة الحج الجماعي إلى بيت المقدس، مع حدوث تطور في الأسلوب، و هو أن الحج الجماعي صار حربيا بعدما كان سلميا"[3]، و سمي المشاركون في الحملة الصليبية بالحجاج، و أطلق على الحركة الصليبية عبارة رحلة الحج أو الرحلة إلى الأرض المقدسة أو حملة الحج المسلحة،[4] فعندما شعرت أروبا ببعض القوة سعت جاهدة لتخليص أرض المسيح من أيدي المسلمين لأنها ترى أن "الأرض التي شهدت قصة المسيح و فيها ضريحه لابد

[1] – جمال مباركي، المرجع السابق، ص 34.

[2] – الزيدي مفيد، تاريخ الحروب الصليبية، دار أسامة للنشر، الأردن، عمان، د.ط، 2011م، ص 3.

[3] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق ص 23.

[4] – د. قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية، دار روتا برنيت للطباعة، د.ط، ص 14.

من أن تكون تحت سيطرة أتباعه"[1]، لذلك شنت هجومها على المسلمين لإسترجاع ما تعتبره ملكا و حقا لها.

إن أهم عنصر إرتكزت عليه الحروب المقدسة هو عنصر " الغفران " فحتى ينضم إلى الحروب الصليبية عدد كبير من المشاركين، قامت البابوية بخطب دعائية لإغراء شباب أوروبا بالمشاركة في حربهم هذه ضد المسلمين، و ذلك مقابل منحهم الغفران الكامل لذنوبهم و خطاياهم، و ها هو البابا يخطب في الناس قائلا: " يا شعب الفرنجة .....لقد جاءت من تخوم فلسطين، و من مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنسا لعينا ..... قد طغى .....في تلك البلاد، بلاد المسيحيين في الشرق.....على من إذن تقع تبعة الإنتقام لهذه المظالم، و إستعادة تلك الأصقاع إذا لم تقع عليكم أنتم؟ .....فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ....طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد.....و اتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، و انتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس .....و تملكوها أنتم، إن المدينة العظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم و ثقوا بأنكم ستنالون من أجل ذلك مجدا لا يفنى في ملكوت السموات"[2]، ثم يضيف قائلا "

[1] – المرجع نفسه، ص 32.

[2] – علي محمد محمد الصلابي، الجذور التاريخية للحروب الصليبية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008م، ص 45، 46.

فلتجر مراعاة هدنة الله في أرض الوطن، و ينبغي تجريد جيوش المسيحيين في حملة لقهر المسلمين، إبتغاء الحصول على التوبة الكاملة التامة".[1]

إن هذه الخطبة المغرية التي ألقاها البابا في كليرمونت كانت عاملا أساسيا في تحضير و تحفيز الناس للإنضمام إلى صفوف الجيش الصليبي، فاستجاب الشعب لهذه الخطبة و لقيت إقبالا كبيرا منهم، و نظرا لنجاحها ألفت دعايات أخرى في ق 12م، و لكن هذه المرة كانت من خلال قصائد و أغاني تحمل الهدف نفسه و قد قيل فيها:

لقد سمعت مثلا سائرا يقول:

التاجر العاقل يتفق المال من حافظته

و صاحب القلب الطائش

هو الذي يرى الحسن فيختار القبيح

هل تعرفون بما وعد الرب

أولئك الذين سيأخذون صليبه؟

إنه لثواب حسن بالتأكيد

[1] – أرنست باركر و السيد الباز العريني، الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، بيروت، ط 2، د.ت، ص 23.

الفردوس، و كان وعده صدقا

إن من يمكنه أن يربح مكافأته

أحمق إذا إنتظر إلى الغد[1]

إذن إن الحصول على الغفران كان له مقابل و ثمن باهض، و هذا المقابل وضعت شروطه الكنيسة البابوية، فهي ترى أن " الاشتراك في الحملات الصليبية والذهاب إلى الشرق ما هو إلا رحلة حج إلى الأراضي المقدسة، و عمل تكفيري تغفر في مقابله كل الذنوب"[2]، و لذلك إنغمس كثير من الناس في عدة مسالك إنحرافية معتقدين أنهم بمجرد مشاركتهم في هذه الحرب فإن الله سيغفر لهم كل ذنوبهم وخطاياهم[3]، و لعل هذا ما زاد من حدة بربريتهم و قسوتهم، و ها هي الأميرة أن كومنين تصفهم بأنهم " قبيحون و قساة، يغلب عليهم حب المال، عديمي الإحترام، كثيري الثرثرة، متقلبين و عديمي الثبات على مبدأ"[4].

أما الفريق الثالث فيرى أن الحروب الصليبية هي المتنفس الوحيد الذي أوجده الغرب الأروبي أنذاك وسيلة للخروج من أوضاع عصوره الوسطى التي فرضتها عليهم

---

[1] – قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 36.

[2] – د. حسين محمد عطية، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الأزارطية، د.ط، 2002م، ص 15.

[3] –ينظر المرجع نفسه، ص15.

[4] – المرجع نفسه، ص17.

الكنيسة، للتطلع إلى حياة أوسع و أفضل[1]، و في الأخير خلص المؤرخون على أن الحروب الصليبية هي تلك " الحركة الاستعمارية الصليبية التي ولدت في غرب أوروبا و اتخذت شكل هجوم مسلح على بلاد المسلمين .....لاستئصال شأفة الإسلام و المسلمين و القضاء عليهم و استرجاع بيت المقدس، و جذور هذه الحركة نابع من الأوضاع الدينية و الاجتماعية و الفكرية و الاقتصادية و السياسية التي سرت في غرب أروبا في القرن الحادي عشر و اتخذت من الدين وقودا لتحقيق أهدافها"[2].

إن الأسباب التي دفعت بأروبا إلى إعلان الحروب الصليبية ضد العالم الإسلامي كثيرة و متنوعة، و لعل معظمها مرتبط بالأحوال التاريخية التي سادت في أوربا آنذاك، و لذلك رأينا أنه من الأفضل أن نلقي نظرة عامة على الأحوال و الظروف أولا[3]، ومنها نستنتج تلك الدوافع التي حركت الغرب الأروبي لشن حروب صليبية.

إن المتأمل في أوضاع أروبا عشية الحروب الصليبية يتعجب لما كان عليه حال هذه المنطقة التي لم تعرف إلا الجهل و التخلف آنذاك و ما تعرفه اليوم من تطور وإزدهار، فأروبا حتى القرن الحادي عشر كان لا يزال يسيطر عليها الفقر و التخلف

[1] – ينظر سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 24.

[2] – علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 22.

[3] – ينظر الزيدي مفيد، المرجع السابق، ص 22– 23.

بالمقارنة إلى العالم الإسلامي[1]، فقد غلب على أروبا آنذاك الطابع الريفي القاسي الذي جعل الناس يعيشون تحت رحمة الطبيعة، فالفلاح الأروبي مثلا لا يعرف طعم اللحم الطازج إلا مرة واحدة في الأعياد[2]، و ليس هذا فقط بل كان كل سكان أروبا يعيشون في رعب دائم بسبب الفياضانات و المجاعة التي خيمت عليهم آنذاك و ما تبعها من وباء فتاك قضى على أغلبية سكان أروبا[3]، كما إنتشرت الخرافات و طغى النظام الإقطاعي الذي إستولى على حقوق و منتوج الفلاح[4].

لقد عانى سكان أروبا من ظروف قاهرة و مزرية كانت سببا في بحثهم عن أرض أخرى غنية و ثرية، و لعل هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل معظم سكان أروبا يسارعون للإنضمام إلى صفوف جيش الحروب الصليبية، آملين أن يجدوا حياة أفضل في بلاد و أرض أخرى أفضل من أرضهم، لكن هذه الظروف الصعبة التي مروا بها لا تعطيهم الحق في أن يستعمروا و ينهبوا و يتعدوا على حقوق و أراضي الآخرين مقابل حصولهم على حياة أفضل، لأن الحصول على السعادة لا يكون على حساب تعاسة و مأساة الآخرين، و لو أردنا حصر هذه الدوافع التي حملتها على شن حروبها الصليبية فسنحصرها فيما يلي:

[1] -ينظر قاسم عبد قاسم، المرجع السابق، ص 56.

[2] -ينظر الزيدي مفيد، المرجع السابق، ص 25-26.

[3] -ينظر قاسم عبده، المرجع السابق، ص 61.

[4] -ينظر المرجع نفسه، ص 62.

أ- **الدافع السياسي:**

حتى تتخلص الكنيسة من مشاكل النظام الإقطاعي و الحروب الأهلية ، وجهت أنظار الأمراء إلى الأراضي الإسلامية و الخيرات التي تتمتع بها، و قد وجد فيها الأمراء و الملوك فرصة ثمينة للحصول على ثروات أكثر، و تعويض ما فقدوه من أملاك في بلادهم، لأن قوانين النظام الإقطاعي كانت صارمة، و من قواعدها أن الإبن الأكبر هو الوريث الوحيد لصاحب الإقطاع، أما بقية الأبناء فلا يرثون شيئا، ولذلك فالحروب الصليبية كانت فرصة لا تعوض للأمراء، فهبوا جميعا للإنضمام إليها، و ما أن وصلوا إلى البلاد الإسلامية حتى بدأت النزاعات بينهم حول السلطة و الزعامة، فاقتسموا المدن فيما بينهم و اقتسموا الغنائم في الطريق، و ما أن حققوا كل أهدافهم و أطماعهم، حتى إنسحبوا من المشاركة في الحرب و عادوا أدراجهم[1].

**بـ - الدافع الإجتماعي:**

إن الحياة الشاقة التي كان يعيشها سكان أروبا هي التي فرضت عليهم المشاركة في هذه الحروب، هروبا من ظروف مجتمعهم القاسية، فقد سادت في المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى العنصرية و التمايز الطبقي التي عانى منها الكثيرون، و كان الفلاح صاحب النصيب الأكبر من هذه المعاناة، فقد عاش حياة تعيسة و مرة تابعا لسيده الإقطاعي، و حتى يتخلص و يتحرر هذا الفلاح المسكين من الإلتزامات

[1] – ينظر سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 41 – 42.

التي كان مطالبا بها أمام سيده الإقطاعي، شارك في الحروب، فأخطار الحروب كانت بالنسبة لهم أهون من حياة الذل و القسوة التي كانوا يعيشونها.[1]

**ج – الدافع الإقتصادي:**

إن الخيرات التي يتمتع بها المشرق الإسلامي هي التي جعلته محط أنظار أوروبا و أطماعها، و لعل هذا الدافع هو من أهم الدوافع التي حركت الجيوش الصليبية صوب الأراضي الإسلامية، و قد عبر البابا أوربان الثاني عن مدى أهمية و قوة هذا العامل الإقتصادي في قوله " لا تدعوا شيئا يقعد بكم ..... ذلك أن الأرض التي تسكنونها الآن، و التي تحيط بها البحار، و قمم الجبال ضيقة على سكانها .... و تكاد تعجز عن كفايتهم من الطعام، و من أجل هذا يذبح بعضكم بعضا، و يلتهم بعضكم بعضا، و يلتهم بعضكم بعضا ..... إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها بل هي فردوس المباهج"[2]. كما أن تدهور الأحوال الإقتصادية في آواخر ق 11م، و ظهور المجاعة كانت سببا فعالا في هذه الحروب، فالحروب الصليبية فتحت لسكان أروبا الجائعين بابا للخيرات و النعيم في البلدان العربية، لذلك لم يترددوا في المشاركة مقابل التخلص من أوضاعهم القاسية المزرية[3].

---

[1] – ينظر علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 34–35.

[2] – المرجع نفسه، ص 35–36.

[3] –ينظر المرجع نفسه، ص 36.

**د – إستغاثة البيزنطيين بالبابا أوربان الثاني:**

يرجع بعض المؤرخين سبب قيام الحروب الصليبية إلى الإمبراطور ألكسيوس كومنين، و قد إستدلوا على ذلك بالخطاب الذي ألقاه ألكسيوس[1] ، و فحواه طلب المساعدة من البابا أوربان الثاني و إغرائه بالكنوز و الأموال التي سيجنيها شعبه مقابل مساعدته له، فهو يعلم جيدا شدة طمع و جشع اللاتنيين، مؤكدا أن كل هذه الخيرات ستكون تحت تصرفهم، و في الختام دعاهم إلى التوجه إلى إسترجاع بيت المقدس وقبر المسيح[2].

لقد أثرت الحروب الصليبية على المجتمع الاسلامي تأثيرا سلبيا كبيرا، فمن جرائها عانى المجتمع العربي من زيادة سكانية مذهلة آنذاك، و قد بدت مظاهر هذه الزيادة واضحة أكثر في بلاد الشام، و ذلك للموقع الإستراتيجي الذي كانت تحتله، فقد ضمت عدة أجناس مختلفة[3]، من بينها الصليبيون الذي جلبوا معهم عناصر جديدة أحدثت خللا في التركيبة السكانية الشامية، فأصبح هناك ما يسمى بالفائض السكاني، لكن سرعان ما نقص عدد السكان بسبب المذابح الصليبية و تهجير السكان إلى مناطق و بلدان أخرى[4].

---

[1] –ينظر د.جوزيف نسيم يوسف، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية للنشر، د.ط، 1983، ص 12.

[2] – ينظر المرجع نفسه، ص 13– 14.

[3] –ينظر قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 193.

[4] – ينظر المرجع نفسه، ص 195.

أما تأثير الحروب الصليبية على الصعيد الاقتصادي فلم يكن أحسن حالا من الصعيد الإجتماعي، فقد عرفت الزراعة تدهورا كبيرا بسبب ما لحق بها من تخريب للأراضي، و لعل هذا الخراب يرجع إلى تلك الجيوش و العمليات العسكرية التي نهبت و دمرت الأراضي الزراعية، و جعلت الفلاح يضطر للنزوح إلى المدن بحثا عن لقمة عيشه و هو ما أدى في النهاية إلى تدهور الإنتاج الزراعي للمجتمع العربي و ظهور المجاعة و بالتالي تراجع الإقتصاد العربي، لكن بفضل الصناعة إنتعش الإقتصاد العربي مرة أخرى، فقد عرفت الصناعة و الحرف نوعا من التطور و الازدهار أكسبت بلاد الشام شهرة كبيرة في العالم، و من مثل هذه المنتجات نجد صناعة الأثاث، الزجاج، الورق و السكر، صناعة النسيج، العطور، الخمور و النبيذ، و قد إزداد إنتعاش هذا الإنتاج عندما فتحت له أبواب أسواق جديدة في القرن الثاني عشر، كما كان لنشاط التجارة الإيطالية آنذاك دور كبير في توسيع الأسواق[1].

للسياسة أيضا نصيب من النتائج السلبية التي أفرزتها الحروب الصليبية، من بينها سقوط و إنتهاء عهد الخلافة و حلول محلها الدولة العسكرية التي يتولى قيادتها الملك المحارب، فبتأزم الأوضاع السياسية و فشل الخليفة في تسيير الدولة سياسيا تحرك الشعب العربي و رأى أنه من الضروري تعيين ملك مسلم شجاع قادر على تسيير شؤون الدولة التي فشل الخليفة في تسييرها، و من هنا سقطت الخلافة

[1] –ينظر الزيدي مفيد، المرجع السابق، ص 274.

الفاطمية و تلتها الخلافة العباسية التي عجزت على التصدي للجيوش الصليبية و مواجهتها[1].

لقد كانت الحروب الصليبية من أشد و أعنف المواجهات التي جمعت بين الشرق الإسلامي و الغرب المسيحي، فعلى الرغم مما خلفته هذه الحروب من دمار و هلاك للمسلمين إلا أنه يمكن أن نعتبر هذه الحروب بمثابة جسر الإتصال بين الطرفين المتصارعين، لأن فترة الحروب الصليبية كانت فرصة لتعارف الطرفين معرفة حقيقية و عن قرب، و بفضل هذا التعارف إنتقلت الآثار الفنية الشرقية إلى عدة بلدان أوروبية، و عرفت تجارتها رواجا كبيرا، و بها ذاع سيط الفن العربي[2].

و كخلاصة لما سبق، يمكن أن نقول أن هذا الصراع دام حوالي مائتي عام والنار مشتعلة بين الشرق و الغرب، لينتهي بانتصار الشرق على الغرب، إلا أن الشرق لم يستفد و لم يجن شيئا من إنتصاره، " فعند نهاية الحروب الصليبية قامت النهضة الأوروبية، و أخذت تخلع ثوب القرون الوسطى، و توقف النمو أو كاد في الشرق، وانتهى بالسيطرة الكاملة للغرب على الشرق، و بزوغ الظاهرة الاستعمارية"[3]، و الفضل كل الفضل في هذه النهضة الأوروبية يرجع إلى الحضارة العربية التي ساهمت في تغذية بذور النهضة الأوروبية و نموها و أفادتها بمختلف العلوم و الدراسات و الفنون

[1] –ينظر المرجع نفسه، ص 259.

[2] –ينظر جمال مباركي، المرجع السابق، ص 40.

[3] – المرجع نفسه، ص 42.

و المناهج التي إفتقرت إليها[1]، و لعل أول بلد إستفاد من الحركة الصليبية و بذور نهضتها هي فرنسا، فقد زادت هيبتها بعد الحروب الصليبية، و صارت من أكبر الدول في أروبا، و هذه القوة و النفوذ هما اللذان ساعداها على إستعمار الشرق الأدنى فيما بعد[2].

[1] – ينظر سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق ص 5.

[2] –ينظر أرنست باركر، الحروب الصليبية المرجع السابق، ص 148.

## المطلب الثالث: المرأة الأوروبية في المجتمع الصليبي

على الرغم من أن البابا أوربان الثاني قد منع مشاركة النساء في الحروب الصليبية منعا باتا[1]، إلا أن المرأة الأوروبية إستطاعت أن تفرض نفسها و تنظم إلى الجيوش الصليبية، و تثبت جدارتها و كفاءتها من خلال الأدوار التي قامت بها، ولعل سبب مشاركة المرأة الأوروبية في هذه الحروب راجع إلى الوضع المزري الذي عانت منه، و هي على كل حال نفس الظروف القاسية و القاهرة التي كانت سببا في إنضمام الرجال إلى الجيوش الصليبية، و هجرتهم إلى المشرق الإسلامي بحثا عن حياة أفضل، خاصة أن بلاد الشام هي بلاد الخيرات و الأرزاق، و هذا ما زاد في سيلان لعاب الصليبيين، فهبوا إليها جميعا نساء و رجالا خوفا من ذوبانهم واضمحلالهم[2].

لم تقتصر الحروب الصليبية على مشاركة الرجال فقط، بل ضمت جيوشها عدة نساء وهبنا أنفسهن لهذه الحروب، و كل واحدة منهن لها دورها، فهناك المرأة المحاربة سواء في المجال السياسي أو العسكري و هناك المرأة المتزوجة التي رافقت زوجها

---

[1] – ينظر حسن عبد الوهاب حسن، مقالات و بحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دار المعرفة، الأزاريطة،د.ط، 1979م، ص 172.

[2] –ينظر د. ابراهيم القادري بوتشيش، بين اخلاقيات العرب و ذهنيات الغرب، رؤية للنشر و الطباعة، القاهرة، ط 1، 2005م، ص 62.

لرعايته، و هناك الراهبات، "[1] و لعل أهم دور قامت به المرأة الصليبية هنا و تميزت به كعضو فعال هو دورها في المجال السياسي و العسكري .

إن أهم ما تميزت به المرأة الأوروبية في المجال السياسي هو القوة و النفوذ والحنكة السياسية، و لعل هذه الأمور هي التي أوصلت المرأة الأوروبية إلى الحكم واستلام كرسي العرش، فقد كانت سند الرجل الغربي خاصة في حالة غياب الوريث الشرعي، فاستطاعت أن تسد هذه الثغرة و تؤدي واجبها بكل براعة و جدارة، و من مثل هؤلاء النساء نذكر الأميرة " سيلا "[2] التي تولت الحكم بعد وفاة بودان الرابع، فنظرا لعدم وجود وريث استلمت هي كرسي العرش، و بعد وفاتها إستلمته أختها إيزابيلا، و على الرغم من زواج هذه الأخيرة من ثلاث رجال، إلا أن السلطة بقيت في يدها، و لم يستطع أحد منهم إنتزاعها منها، و هذا خير دليل على نفوذ المرأة الأروبية و حنكتها السياسية، و قد قال ابن الأثير في ذلك : " و إن الإفرنج لهم ملك يجمعهم، و أن أمرهم إلى إمرأة و هي الملكة"[3]، كما تحدث الأصفهاني عن المكانة السياسية العظيمة التي بلغتها المرأة الأوروبية فيقول:" إنها امرأة كبيرة القدر وافرة الوفر و هي في بلدها مالكة الأمر، و في جملتها خمسمائة فارس بخيولهم و أتباعهم،

[1] –ينظر حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 173.

[2] – ينظر د. ابرهيم بوتشيش، المرجع السابق، ص 67.

[3] – ابن الاثير الكامل نقلا عن ابراهيم بوتشيش المرجع نفسه، ص 68.

وغلمانهم و أشياءهم، و هي كافلة كل ما يحتاجونه من المؤونة، زائدة بما تنفقه فيهم على المعونة ....."[1]

أما في المجال العسكري فلم تكن المرأة الصليبية أقل قوة و حنكة مما كانت عليه في المجال السياسي، فقد إزدادت قوة و شجاعة و بطولة في الساحة العسكرية، و قد لفت دور المرأة الصليبية الكثيرين فنوهوا بشجاعتها، و من بينهم المؤرخ ابن الأثير الذي قال عنها في كتابه الكامل " من جملة الأسرى الذين أسرهم المسلمون، ثلاث نسوة يقاتلن في زي الرجال، و لم يعرفن إلا بعد أسرهن، و تجريدهن من السلاح"[2] كما أفرد لها المؤرخ الأصفهاني عدة فقرات أشار فيها إلى بسالتها في القتال فيقول عنها في إحدى المواضع: " و في الفرنج نساء فوارس لهن دروع و قوانس، كن في زي الرجال، و يبرزن في حومة القتال ..... و كل هذا يعتقدنه عبادة، و يخلن أنهن يعقدن به سعادة، و يجعلنه لهن عادة"[3]، ثم يضيف قائلا: "و في يوم الوقعة قلعت منهن نسوة لهن بالفرسان أسوة، و فيهن مع لينهن قسوة، ..... و أما العجائز فقد إمتلأت بهن المراكز و هن يشددن ثارة و يرخين، و يحرضن، و ينخين و يقلن: إن

[1] – أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد، الفتح الفشي في الفتح القدسي، دار المنار، د. ط، د. ت، ص 188.

[2] –ابن الاثير الكامل نقلا عن د. ابرهيم بوتشيش، المرجع السابق، ص 74–75.

[3] –ابي عبد الله محمد بن محمد بن حامد، المرجع السابق، ص 188.

الصليب لا يرضى إلا بالإباء، و أنه لا بقاء له إلا بالفناء، و أن قبر معبودهم تحت إستيلاء الأعداء ....."[1].

إن أهم ميزة إتسمت بها المرأة الصليبية خاصة و الإفرنجية عامة هي الميوعة والغنج و التبرج، فقد تمتعت بقدر كبير من الحرية خاصة الحرية الجنسية، و لعل أول شيء لفت إنتباه المؤرخين في المرأة الصليبية هو حريتها الجنسية و قلة حشمتها[2]، فقد أطنب الأصفهاني في وصفها قائلا: " عجراء، هيفاء، غناء، لفاء ..... تسحر بنظرتها ..... و تنثني كأنها غصن و تتجلى كأنها حصن ....."[3] ، و دورها وجد للفساد فقط.

و خلاصة لما سبق يمكن أن نقول أن المرأة الأوروبية شخصية غنية بمحاسنها و مساوئها، فقوتها و شجاعتها و حضورها الفعال في كل مجالات الحياة اليومية وتحملها كل المسؤوليات المفروضة عليها هو الذي جعلنا ترى هذه المحاسن، أما ميوعتها الأخلاقية و تحررها الزائد هو الذي جعلنا نرى هذه المساوئ، خاصة إذا كنا نرى ذلك بأعين شرقية لأن تقاليدنا و أعرافنا الخاصة بنا تمنع ذلك.و ينبغي أن نشير هنا أننا تحدثنا عن الحروب الصليبية و المرأة الصليبية حتى نبين أن الصراع بين

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 188.

[2] –ينظر د. ابرهيم بوتشيش، المرجع السابق، ص 79–80.

[3] – ابي عبد الله محمد بن محمد بن حامد، المرجع السابق، ص 187.

الشرق و الغرب صراع قديم جدا و مستمر إلى الآن لكن بطرق و أساليب مختلفة و قد كانت المرأة الغربية مظهرا من مظاهر هذا الصراع .

## المبحث الثاني: إرتباط و تبادل ثقافي بين الشرق و الغرب

### المطلب الأول: الإستشراق l'orientalisme:

إن شعور أوروبا بالنقص و الخوف من هيمنة الشرق على العالم و السيطرة عليه، هو الذي جعلها تضطر لمعرفته و تتعلم لغته إحتراسا منه، خاصة أن ذلك الشرق في وقت مضى كان له الفضل و الأسبقية في العلوم التي تتمتع بها الآن، بعد أن طورتها اليوم و أصبحت أم التكنولوجيا. و الشعور بالخوف صحبه شعور آخر هو الشعور بالإعجاب بذلك الشرق الغني بثرواته، و لذلك فحتى يسلم الغرب من شر الشرق الذي إنتابه الخوف منه من جهة، و يحقق أطماعه و نواياه السيئة إتجاه الشرق الغني الذي أعجب به من جهة أخرى، قام بتعلم لغته و أرسل باحثين متخصصين إلى الشرق ليتعرفوا على كل شيء يخص الشرق و يفيد الغرب. و سمي هؤلاء الباحثين فيما بعد " بالمستشرقين"، و سمي مجالهم " بعلم الإستشراق"، فماذا نعني بهاذين المصطلحين؟ .

إن الإستشراق هو كلمة مشتقة من فعل سداسي هو "إستشرق" و أصل الفعل هو ( ش، ر، ق)، و " الألف و السين و الثاء اذا سبقت الفعل الثلاثي أفادت الطلب، وعلى هذا فاستشرق: طلب الشرق"[1]، فالإستشراق إذن " تعبير يدل على طلب العلم

[1] – محمد مكاكي، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب، منشورات المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، العدد الثاني، ماي 2013م، ص 45.

بالشرق و الاتجاه نحوه، و يطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين و ثقافتهم و تاريخهم"[1]. كما يقصد به " ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، و التي تشمل حضارته و أديانه ، و آدابه، و لغاته و ثقافته. و لقد أسهم التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق الإسلامي بصورة خاصة، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما"[2].

لقد وضعت عدة تعريفات للإستشراق، وكل باحث كان له هدفه الخاص لذلك، فهناك آخرون عرفوا الإستشراق تعريفا أكاديميا فقالوا:" الإستشراق عبارة عن دراسات (أكاديمية) يقوم بها غربيون في الدول الإستعمارية للشرق بشتى جوانبه، تاريخه و ثقافته و أديانه ولغاته ونظمه الاجتماعية و السياسية وثرواته وإمكانيته، من منطق التفوق العنصري والثقافي على الشرق، ويهدف السيطرة عليه لمصلحة الغرب، وتبرير هذه السيطرة بدراسات وبحوث ونظريات تتظاهر بالعملية والموضوعية"[3].

أما ادوارد سعيد فقد أوضح في كتابه الدائع الصيت " الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق" ثلاث دلالات للإستشراق هي:

---

[1] – جمال مباركي، المرجع السابق، ص 50.

[2] – محمد مكاكي، المرجع السابق، ص 46.

[3] – سعدون محمود الساموك، الوجيز في علم الإستشراق، دار المناهج للنشر، عمان، الأردن ط 1، 2003م، ص 15.

**الأولى:** جامعية أكاديمية، فهو يرى أن كل شخص يقدم دروس أو محاضرات عن الشرق ، أو يكتب عنه، أو يبحث فيه و في موضوعاته فهو مستشرق، ويسمى العمل الذي يقوم به بالاستشراق[1].

**الثانية:** الإستشراق "هو أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى (الشرق) وبين ما يسمى (الغرب)"[2].

**الثالثة:** "هو أسلوب غربي للهيمنة على الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه"[3].

فحسب رأي إدوارد سعيد الإستشراق ماهو إلا إستراتيجية سياسية خططت لها القوى الأوربية لتحقيق غاياتها و مصالحها السياسية قبل الثقافية في الشرق، ولعل أول هدف سعت إليه الدراسات الإستشراقية هو تجريد العرب من مقوماتهم وهوياتهم الشرقية الإسلامية، ومن ثم التكفل بهم ووضعهم تحت وصايتهم، وهذا النوع من الوصاية هو ما يسمى بالإنتداب، ويعني تكفل دولة كبرى بتسيير شؤون دولة صغرى، وهو إستعمار بطريقة غير مباشرة، وبالتالي فالإستشراق هو:" إستعمار ذهني فكري يجرد الشرق من إنسانيته و يصوره مجرد كائن عضوي أشبه بالكائنات الطبيعية الجامدة أو الحية على أكثر تقدير، ليس به فكر أو علم، إنسانية مجردة مثل الأحجار"[4] ، وهذا يعني أن

---

[1] – ينظر إدوارد سعيد، ترجمة د. محمد عناني، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 44.

[2]– المرجع نفسه، ص 45–46.

[3]– المرجع نفسه، ص 45–46.

[4]– الزهرة بلحاج، الغرب في فكر هشام شرابي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2004م، ص 128.

العداء بين الشرق و الغرب لم ينته، بل إتخذ الصراع بينهما لونا آخر، وهو " الإستشراق "، لأن " الحرب لا تكون فقط بالسيف وإنما تكون أيضا بالفتاوى وسرد الأخبار والخطابات بشتى أنواعها"[1].

إن الذي يتولى مهمة البحث في الشرق يسمى "مستشرق" ويحدد مالك ابن نبي هذا المصطلح تحديدا دقيقا فيقول: "المستشرق يعني الكاتب الغربي الذي يكتب عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية "[2] ،أما عند فرانسيسكو غابرييلي :" فهو يعتبر باحث اختار بمحض إرادته أن يركز همه العلمي على أحد قطاعات المعرفة الأبعد عنه من حيث المكان و الزمان"[3]، أما المعنى العام الشائع الذي إتفق عليه معظم الباحثيين والدارسين فهو"يطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه، وادناه، في لغاته وادابه وحضارته وأديانه..."[4]، وقد نوه بعض الباحثين إلى أن مصطلح مستشرق كان له الأسبقية في الظهور قبل مصطلح إستشراق، وذلك من خلال بحث قام به " آربري" أشار فيه إلى أن "المدلول الأصلي لمصطلح (مستشرق) كان في سنة 1638م»[5]، ثم لحقتها بعد ذلك عدة بحوث ودراسات ففي

---

[1]– المرجع نفسه، ص 129.

[2]–مالك ابن نبي نقلا عن جمال مباركي، المرجع السابق، ص 53.

[3]– فرانسيسكو غابرييلي نقلا عن المرجع نفسه، ص 53.

[4]– جمال مباركي ،المرجع نفسه ص 54.

[5]– أ. نبيل حويلي، مجلة اشكالات في اللغة و الأدب، المرجع السابق، ص 59.

سنة 1691م قام "أنثوني وود" بوصف "صمويل كلارك" ونعته " بالإستشراقي النابه" ويقصد بها أنه كان على إضطلاع ومعرفة باللغات الشرقية[1].

لقد حدد الباحثون أهم الملامح التي تتسم بها شخصية المستشرق فيما يلي:

1-أن يكون منتميا إلى الغرب.

2-ينبغي أن يكون هذا الشخص من أهل الذمة (اليهود والنصارى).

3-أن يولي هذا الباحث كل إهتمامه بالشرق.

4-أن يكون من أهل العلم وهذا أمر مفروغ منه[2].

لقد تعددت آراء الباحثين وتباينت في التاريخ لعلم الإستشراق وبدايته، فهناك من يرجع الإنطلاقة والبداية الحقيقية لعلم الإستشراق إلى القرن التاسع عشر، أي مع ظهور الإستعمار الغربي، وهناك من يرى أن بدايته تعود إلى فترات أعمق من ذلك، فنسبوا هذه البداية إلى فترة الحروب الصليبية، وبذلك فإن علم الإستشراق مر بمرحلتين هما:

**الأولى:** وتعتبر هذه المرحلة مرحلة أساسية ومهمة بالنسبة للغرب لأنها ساعدتهم كثيرا على النهوض من سبات فكري كبير جعلهم يحتضرون لوقت طويل، إلى أن بدأت معالم الإستشراق بالظهور، فأخذ علماء الكنيسة كل ما وجدوه من علوم و فلسفة

[1]-ينظر أ. نبيل حويلي، المرجع نفسه، ص 59.

[2]- ينظر جمال مباركي، المرجع السابق، ص 54.

يونانية من حاضرة العرب (بغداد) وغيرها ونقلوها إلى روما[1]، وما ساعدها أكثر هو تلك الترجمات التي قام بها العرب لآداب وفلسفات العالم خاصة فلسفة اليونان، فلولاها لما استطاعت الكنيسة في روما أن تترجم آثارها اليونانية و الرومانية، خاصة أن شعبها كان شعبا جاهلا، وحتى تستفيد أوروبا أكثر من تلك العلوم، قامت بإرسال كتاب الكنيسة ليطلعوا على مختلف علوم الإسلام ويضعوا يدهم على تلك المؤلفات اليونانية، ثم يقومون هم بعد ذلك بترجمتها إلى لغتهم اللاتينية، واعتبرت هذه الرحلات أول موجة إستشراقية قام بها الغرب[2]، وبفضلها تنبهوا لقيمة التراث العلمي الذي تتمتع به الحضارة الإسلامية، فازدادت دراساتهم وإهتماماتهم بالشرق وازدهرت هذه الحركة الإستشراقية أكثر مع الحروب الصليبية[3] وذلك بحكم الإحتكاك بين الشرق و الغرب.

**المرحلة الثانية:**

وفي هذه المرحلة أجمع المؤرخون على أن هذه المرحلة هي مرحلة البزوغ و النمو الكامل لحركة الإستشراق بالمعنى العلمي، وأرخوا لهذه البداية بنهاية القرن السابع عشر، وفيها خدم المستشرقون أغراضا كثيرة منها:

[1]– ينظر سعدون محمود الساموك، المرجع السابق، ص 19.

[2]–ينظر المرجع نفسه، ص 20.

[3]– ينظر جمال مباركي، المرجع السابق، ص55.

**1-التبشير:**

لقد سارعت الكنيسة في إرسال بعثاتها إلى مختلف المناطق العربية[1] قصد إستكشافها ونقل كل أخبارها، فلم يتوانى هؤلاء المبشرين بتقديم كل الخدمات الممكنة التي تسهل للغرب عملية غزو وإستعمار هذه البلدان، وذلك من خلال نقل كل ما إطلعوا عليه في الشرق، و ما عرفوه ولاحظوه عن العرب وحياتهم سواء السياسية أو الثقافية أو الإقتصادية ومن ثم إكتشاف وإستنتاج أهم الثغرات ونقاط الضعف التي من خلالها يستطيعون ضرب ضربتهم القاضية على هذه البلدان العربية، بنهبها وإحتلالها و هذا معناه أن "إستشراق المبشرين كان عاملا مهما لدراسة الطبيعة التي يحتاج الإستعمار لمعرفتها عن الوطن العربي،... كما أن إلتصاقهم بالشعب العربي قد فتح الأذهان على الغرب مما جعل لوجودهم بين العرب أثرا في تغلغل الثقافة الغربية وإنتشارها و هي من العوامل المساعدة على دخول الغرب"[2].

**2-الإستعمار:**

بمجرد أن شعرت أروبا بالقوة وصارت لها عدة وسائل حربية بدأت بإرسال الباحثين والعلماء إلى الشرق قصد دراسة أحواله، ونادت و حثت على تعلم اللغة

[1]- ينظر سعدون محمد الساموك، المرجع السابق، ص 23.

[2]- المرجع نفسه، ص 24.

العربية، ففتحت عدة مراكز لتعليم العربية في مختلف الجامعات الأوربية[1]، فنصب في كل جامعة أوروبية أستاذين لتدريس اللغة العربية ولغات أخرى، كالعبرية و اليونانية و غيرها، وهذا وفقا لقرار مؤتمر فيينا الذي إستوعب أهمية تعلم اللغات لتسهيل عملية البحث والتنقيب في علوم الكتاب المقدس[2]، وكل هذه الأمور طبعا تخدم الأغراض الإستعمارية، فبفضل كل هذه العوامل إستطاع الغرب أن يهيمن على الشرق، ويفرض سيطرته عليه بخلق إستعمار جديد خفي من خلال علم جديد هو علم الإستشراق أو علم الإستعمار، لأن الإستعمار الحديث أصبح علما، يقول حسن حنفي: "تكلست روح الشرق في الوعي الأروبي وتحولت إلى صورة من صنعه، ثم سهل عليه بعدها تحويلها الى شعوب يستعمرها، ومواد أولية ينهبها، ومناطق شاسعة يحتلها، و إلى قوى بشرية يستبعدها وينقلها... أصبح الشرق في الوعي الأروبي في ذروة المد الإستعماري مادة بلا روح"[3].

ولعل أكثر شخص إستفاد من الإستشراق والدراسات والبحوث التي قام بها علماء الغرب في الشرق هو "نابليون بونابرت"، فغزوه لمصر عام 1798م كان مدروسا بإتقان، وذلك من خلال النصوص والكتب التي قرأها عنها، فعرف إستراتيجيتها و تاريخها، أي أن نابليون "كان يعتبر مصر مشروعا إكتسب طابع الحقيقة الواقعة في

---

[1]– ينظر المرجع نفسه، ص 26.

[2]– ينظر يوهان فوك، ترجمة عمر لطفي العالم، تاريخ حركة الاستشراق، دار المدار الاسلامي، بيروت، ط 2، 2001م، ص 36.

[3]– حسن الحنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط 3، 2006م، ص 546-547.

ذهنه، ثم في إستعداداته لفتحها فيما بعد، خلال خبرات تنتمي إلى مجال الأفكار و الأساطير المأخوذة من النصوص لا من الواقع التجريبي"[1]، ولعل أكثر كتاب خدم نابليون في إستعماره لمصر واستفاد منه كثيرا هو الكتاب الذي ألفه الكونت "دي قوليني"، وهو رحالة فرنسي له كتابين قيمين هما رحلة في مصر وفي سوريا، في مجلدين عام 1787م وكتاب تأملات في الحرب 1788م[2]، و قد وجد نابليون إرشادات قيمة في كتب قوليني ساعدته على رسم خطته الإستعمارية ضد مصر، وساعدت كل أروبي يريد أن يظفر بالشرق وكأن اطروحة قوليني كانت تقول "إقرأ الكتابين، وبدلا من أن يصيبك الشرق بالحيرة و الإرتباك، سوف تخضع الشرق لك"[3] .

إذن بعدما كانت مصر تحفة ولؤلؤة غامضة يحلم بها كل غريب ويهاب لمسها والإقتراب منها، أصبحت مستيسرة وفي متناول كل من يريدها ويطلبها ليقيم تجاربه عليها.

لقد كان الشرق " بالنسبة للغربي كيان مشكل ومكون في الوعي، في الذاكرة و في المخيلة "[4]، ولذلك فإن أول ما أحسه فلوبير عند ذهابه إلى مصر ووصوله إليها، هو أنه

---

[1]– إدوارد سعيد، المرجع السابق، ص 152–153.

[2]–ينظر المرجع نفسه، ص 153.

[3]– المرجع نفسه، ص 154.

[4]– جمال مباركي، المرجع السابق، ص 58.

قد سبقت له رؤيتها من قبل، وهو الآن يلتقيها مرة أخرى[1]، وكان ذلك طبعا من خلال ما قرأه عنها في الكتب.

و ما لوحظ في هذا الإستشراق الحديث أنه "يظهر الشرقيون والعرب سذجا، غافلين، محرومين من الحيوية والقدرة على المبادرة "[2]، فالذاكرة الغربية مازالت تختزن بصورة قديمة للعرب، وتوظفها الآن لا ترى فيها إلا ذلك العربي الذي لا يمكنه العيش من دون خيمة، يعيش في أرض قاحلة، ووسيلته في التنقل هي الجمل[3]، فهو إنسان بدائي متخلف يحتاج لمن يساعده وينير دربه.

للبحث الإستشراقي أسس خاصة إعتمدها المستشرق في بحوثه ودراساته الإستشراقية، وتميز بها على الباحث الشرقي، ويمكن تلخيص هذه الأسس التي يرتكز عليها المستشرق فيما يلي:

1-البحث على نقاط الضعف عند العرب[4].

2-إعتمادهم و تركيزهم على أهوائهم، وميولهم دون الحقائق العلمية، وكمثال على ذلك تلك الصور المشوهة عن العرب التي إدعاها الغرب عنا مع أن الحقيقة العلمية تقول غير ذلك، وفي هذا الصدد يقول "مونتكومري واط" وهو باحث

---

[1]-ينظر المرجع نفسه، ص 58.

[2]- المرجع نفسه، ص 59.

[3]- ينظر نجيب بوطالب، صورة الاخر ناظرا و منظورا اليه مركز دراسات الوحدة العربية ط 2 2008م ، ص 433.

[4]-ينظر سعدون الساموك، الوجيز في علم الاستشراق المرجع السابق، ص 69.

متعاطف مع الشرق "جد الباحثون من القرن الثامن عشر في تعديل الصورة المشوهة التي ولدت في أروبا عن الإسلام، وعلى الرغم من الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل، فإن آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون الوسطى في أوربا لا تزال قائمة، البحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على إجتنابها"[1].

3-التشكيك في كل ما يتعلق بحقيقة تراثنا يقول الدكتور "عماد الدين خليل" : "يكاد يكون هذا الملمح الأساس في مناهج المستشرقين قاسما مشتركا أعظم بينهم جميعا، انهم يمضون مع شكوكهم الى المدى ويطرحون افتراضات لا رصيد لها من الواقع التاريخي، بل انهم ينفون العديد من الروايات لهذا السبب أو ذلك، بينما تجدهم يتشبثون في المقابل بكل ما هو ضعيف و شاذ"[2].

4- إعتمادهم على الميكافيلي، و أساس هذا المبدأ هو الغاية تبرر الوسيلة، وقد رأينا أن أوربا إستخدمت كل الوسائل و الإجراءات اللازمة كالتزوير والدس والإحتيال مقابل بسط سيطرتها على البلدان العربية، يقول محمد أسد : "إن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التخرب العلمي"[3].

---

[1]- مونتكومري واط الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري نقلا عن سعدون محمود الساموك المرجع نفسه، ص 70.

[2]- عماد الدين خليل نقلا عن المرجع نفسه، ص 72.

[3]- محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق نقلا عن المرجع نفسه، ص 73.

من خلال هذه الأسس التي ذكرناها يمكن أن نقول أن المستشرق كان الورقة الرابحة التي تمتلكها أوروبا، و تظهرها متى شاءت لتضغط على البلدان العربية وتفرض سيادتها عليها، و اللوم كله علينا لأننا نحن من سمح لهم بالتمادي، فتعدوا كل الخطوط الحمراء وتجاوزوها إلى التدخل في تراثنا و ماضينا و حاضرنا، و التلاعب بمصيرنا من دون أن نتفوه بكلمة، فهل فسحوا لنا المجال لنبدي رأينا في تراثهم و حاضرهم أكيد لا، فنحن في نظرهم ذلك الشرق المتخلف الذي لا يحق له أن يبدي رأيه حتى على شخصه، يقول سمير أمين في ذلك " إذا كان الأوروبيون لهم الحق في تقدير الغير، فلنا كذلك حق مماثل في تقدير الغرب. إنني أدافع هنا عن مبدأ العالمية و الحق للجميع....."[1]، و يشترط في هذا التقدير و التقويم أن يكون تقويما صحيحا للحضارات، و ليس تقويما مشوها و مزيفا.

يضيف سمير أمين قائلا:" لقد قام الفكر العربي بإختراع إصطناعي لشرق وهمي يلائم إحتياجات التمركز الأوروبي. و نقصد هنا بالتحديد مساهمة الإستشراق في بناء الإيديولوجية الغربية. فقد قدم الإستشراق صورة إيديولوجية غير صحيحة عن شرق يتسم بسمات عكسية لتلك السمات التي تميز الغرب، و تلعب هذه الصورة المعكوسة المناظرة دورا أساسيا في تأكيد جذور خرافية لتفوق الغرب"[2].

[1]– سمير أمين، التمركز الأوروبي نحو نظرية للثقافة، موضم للنشر، د.ط، 1992، ص 113.

[2]– المرجع نفسه، ص 111.

**المطلب الثاني: الحملة الفرنسية و دورها في النهضة العربية**

لطالما إعتبرت أوروبا الشرق عالما جاهلا متخلفا، ليس له أي قدرة على التطورات، فعينت نفسها مسؤولة عن تطوير ثقافته و حضارته، و ذلك من خلال فرض سيطرته عليه، أي بالاستعمار[1]، فجهزت كل جيوشها و وسائلها و هبت إلى الأراضي العربية مسارعة، مدعية أنها تريد تحسين أوضاع الشعب العربي الذي لازم فراش المرض مدة طويلة ( الجهل و التخلف). فاستسلم لهذا المرض المزمن وانقطعت أخباره، و ابتعد كل البعد عن التاريخ الحضاري، الى ان أتى من يصحيه مدعيا معالجته من مرضه ذاك، فلم يفق بعدها إلا على سوط و ضرب الإستعمار[2].

و لعل أول بلد عربي عرف نهضة ثقافية علمية مميزة هي مصر، و قد رد المؤرخون الغربيون و التنويريون العرب فضلها إلى الحملة الفرنسية، حملة نابليون بونابرت سنة 1798م، التي ثقفت المصريين و نورتهم بالوسائل التثقيفية العلمية التكنولوجية التي جلبتها معها، و هذا ما جعل " العرب يكتشفون أنهم ظلوا قرونا طويلة مغمضي الأعين، قانعين بالبقاء تحت ظل الدولة السنية التي حكمتهم و عزلتهم و أوهمتهم بأنها الأقوى و ربما الأوحد في هذا العالم، و لم يفق العالم العربي من هذا

[1]– ينظر محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص 437.

[2]– ينظر مالك بن نبي، ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين، شروط النهضة، دار الفكر، ط 3، 1969م، ص 57.

الوهم إلا و الإستعمار الغربي يقتحم معاقل بيتهم و يغير معالم حياتهم و يستبدل بأنماط ثقافتهم التقليدية نمطه الأوروبي"[1].

لقد لعبت مدافع نابليون دورا هاما و كبيرا في حياة الشرق كله، فكانت بمثابة الجرس الذي يدق أو المنبه الذي يرن ليوقظ هؤلاء العرب من سبات و غفلة دامت قرونا طويلة، فاستيقظ العرب كلهم اثر هذا المنبه، ليجاوروا حداثة العصر الجديد، حداثة العلم و التكنولوجيا[2]،عازمين على التخلص من التخلف الذي كانوا يعيشون فيه فأمامهم الآن حياة جديدة مشعة، و نهضة فكرية منيرة انطلقت "منذ حدث أول لقاء بين العقل العربي و العقل الأوروبي بمجيء نابليون الى مصر، فعن طريق الإحتكاك المباشر بين المصريين و الفرنسيين..... تعرف العقل العربي إلى انجازات عصر التنوير الأوروبي من خلال تطبيقات الحملة الفرنسية لأفكار الثورة الفرنسية في مصر...."[3].

و الواقع أن الحملة الفرنسية مثلت الجسر المنيع الذي أوصل مصر إلى أبواب العالم الجديد، أبواب الحداثة، أبواب النهضة العربية التي وضعت بذورها مدافع بونابرت، ففتحت أمامهم آفاق جديدة كلها حلم بالتطور و التغير، و بها أدركت الذات أو الآنا الشرقية نقاط ضعفها و عيوبها، عندما تواجهت مع الآخر و رأت نفسها في

---

[1]– جمال مباركي، المرجع السابق، ص 60-61.

[2]– ينظر سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 92.

[3]– المرجع نفسه، ص 52.

مرآته القوية، فعملت جاهدة على الأخذ منه و مجاراته للخروج من الوحل الذي تعيش فيه[1]، لأن ‹‹"الآخر" الفرنسي المتمثل في العتاد العسكري و العلمي، و في المصاحبات الثقافية و الاجتماعية و السياسية للحملة الفرنسية كان بمنزلة المرآة التي رأى بواسطتها الوعي القومي حقيقة ما وصل اليه عالمه، و أدرك على نحو صادم أوضاع هذا العالم في علاقات تراتبه الجامد، و إنغلاقه الخامل فوعى تخلفه مصدوما، مقابل إدراكه تقدم الآخر الذي هزمه بما لا طاقة له به من علم، و مخترعات و عتاد و علماء و أوضاع و علاقات لا تعرف التقليد المتحجر و الإنغلاق الجاهل"[2].

لقد أراد نابليون أن يجعل من مصر باريس صغيرة متطورة، فإتخذ الوسائل الضرورية لذلك، كإنشاء المقاهي و الحانات، و إنشاء المسارح[3]، كما أنشأ عدة مستشفيات و جلب عدة أطباء، بحثوا في أسباب الأوبئة الفتاكة التي كانت تهدد حياة المصريين[4]، فقدموا لهم عدة نصائح لتفادي تلك الأمراض،و يذكر الشيخ الجبرتي أمثلة على تلك النصائح فيقول:" و فيه نبهوا على الناس بالمنع من دفع الموتى بالتربة القريبة من المساكن كتربة الأزبكية و الرويعي، و لا يدفنون الموتى إلا في القرافات البعيدة.....، و إذا دفنوا يبالغون في تسفيل الحفر، و نادوا أيضا بنشر الثياب

[1]– ينظر جمال مباركي، المرجع السابق، ص 61.

[2]– المرجع نفسه، ص 61.

[3]– ينظر د. محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية و خروج الفرنسيين من مصر، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ص 570.

[4]– ينظر المرجع نفسه، ص 582.

والفرش بالسطح.....، كل ذلك للخوف من حصول الطاعون و عدواه....، و من قولهم أيضا إذا مرض مريض لابد من الإخبار عنه، فيرسلون من جهتهم حكيما للكشف عليه ....."[1].

إن كل هذه الإجراءات التي إتخذها نابليون، كانت لفائدة صحة و سلامة المصريين و غيرهم، و لا ننسى فرق البحث و العلماء الذين جاؤا لاكتشاف مصر وثرواتها، و قد انبهر المصريون بوسائلهم و طرقهم الحديثة في الدراسة، كما قام بونابرت بتأسيس مجمع علمي أصدره في 22 أغسطس 1798م في القاهرة، و كان من بين أهدافه:" العمل على إشاعة نور العلم و العرفان في مصر"[2].

لم تخف مصر إنبهارها بما حققته الحضارة الغربية من تقدم و إنتصار و ما تخبئه في جعبتها من علوم و تكنولوجيا، لذلك سارعت لمواكبة هذا التقدم، خاصة أن متطلبات العصر صارت تقتضي ذلك ضمانا لسيادتها و تقدمها، فقد " تحسس الحكام متطلبات عصرهم فحاولوا التكيف مع مجرى التطور الرأسمالي العالمي، بتطبيق إصلاحات فوقية، و في سعيهم إلى تعزيز مواقعهم السياسية و العسكرية. و الإقتصادية، و جدوا أنفسهم مرغمين على الإستعانة بمنجزات العلم و التقنية الأوروبية"[3]، كما شغل المثقفين العرب هدف و هاجس واحد هو الرحلة إلى الغرب

[1]– المرجع نفسه، ص 584.

[2]– المرجع نفسه، ص 622–623.

[3]– سالم المعوش، المرجع السابق، ص 54.

لنقل علومه إلى الشرق، و مواكبته عن قرب، من أجل الأخذ و التعلم منه لسد ثغرات التخلف و الإنحطاط التي يعاني منها الشعب المصري خاصة و العربي عامة[1].

تحت شعار الشغف و الرغبة في المعرفة قام " محمد علي" بإرسال البعثات إلى أوروبا للتعلم هناك، و قد كان متتبعا لهم و حريصا على " معرفة ما أفادوه من بعثاتهم، أن كان يحاسبهم في القلعة عقب عودتهم، و لا يسمح لهم بتركها، إلا إذا ألفوا أو ترجموا كتابا في المادة التي تخصصوا فيها، ثم يدفع الكتاب إلى المطبعة"[2]. و قد أجمع المؤرخون بأن هذا الإتصال المباشر بفرنسا أثناء البعثة ساعد على تحفيز عقول المصريين "فكانت هذه البعثة الدافع الذي أيقظ المجتمع المصري و كافة المجتمعات العربية تحت شمل الأفكار الإبداعية لعالم عصري و فكر جديد مستوحى من الثورة الفرنسية و بهذه البعثة تولدت في المجتمع المصري أفكار أصيلة جديدة تمهد لحياة جديدة حيوية ".[3]

إذا كانت الحملة الفرنسية هي أول من وضع البذور الأولى للنهضة العربية، فإن هذه البذور لم يكتمل نموها ونضوجها إلا على يد محمد علي[4]، الذي كان له الفضل في وضع حجرها الأساس، و ذلك من خلال البعثات التي قام بإرسالها و قد كان رفاع

---

[1]– ينظر جمال مباركي، المرجع السابق، ص 62.

[2]– بوجمعة الوالي، الصراع الحضاري في الرواية العربية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993م، ص 5.

[3] - Mohamed Ahmed el Hanafy, l'image de l'autre à travers : la lompe à huile égyptien à paris de yahia haki ( étude analytique et comparé ) , université dalazhar- le caire – egypte – juin 2017, n° 09 , page 135.

[4]– ينظر سالم المعوش، المرجع السابق، ص 55.

الطهطاوي من الأوائل الذين أرسلوا في هذه البعثة، و قد أثمرت رحلته تلك بكتاب قيم "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" باكورة اللقاء الحضاري العربي الأوروبي الذي يسر طريق النهضة الحديثة و تبرز أهمية هذا الكتاب، في إستعراضه لمظاهر التمدن الفرنسي، و في أنه أول كتاب عربي في العصر الحديث..... يعالج موضوع لقاء الشرق بالغرب، من خلال " طالب" ذهب الى أوروبا"[1].

إن إتصال الطهطاوي بالغرب إتصالا مباشرا و عن قرب جعله يلاحظ و يستنتج كل الفوارق التي تميز بها الغرب عن الشرق، فدون كل ما يتعلق بتقدم الحضارة الغربية لإفادة العرب في نهضتهم[2]، فالطهطاوي هدفه " ليس وصف الآخر بل قراءة الأنا في مرآة الآخر، فليست الغاية، الذهاب إلى باريس، بل العودة إلى مصر و ليست الغاية التعلم بل الإفادة بالعلم، فالذهاب إلى باريس هو تطبيق لفرمان "إحياء القلوب".....للحث على التعلم"[3].

فالطهطاوي عمل ما في وسعه ليقرب لنا أسس الحضارة الغربية و استراتيجيتها وتقنياتها، و ذلك حتى نتعلم و نتطور و هذا ليس عيبا ما دمنا نأخذ منهم ما يناسب حضارتنا و أخلاقنا و مبادئنا، و لا يضر ديننا في شيء، و في ذلك يقول رسولنا

---

[1]– بوجمعة الوالي، المرجع السابق، ص 5.

[2]– ينظر زهرة بلحاج،الغرب في فكر هشام شرابي المرجع السابق، ص 28.

[3]– المرجع نفسه، ص 29.

الكريم عليه ألف صلاة و سلام: " الحكمة ضالة المؤمن يطلبها و لو في أهل الشرك"[1].

إذا هو الإحساس بالفارق هو الذي حرك أدبائنا العرب لمواكبة حضارة الغرب، الفارق بين ما يعانيه العرب من إنحطاط و بين ما يتمتع به الغرب من تقدم و تحضر هو الذي أيقظهم من سباتهم ذاك و كون لديهم وعي بالنهضة " و من هنا تلك الثغرة الواسعة و العميقة في وعي العرب بالنهضة، الثغرة التي تجعل وعيهم هذا مجرد إحساس بالفارق، أي حصيلة مقارنة و مقايسة لا حصيلة تحليل و ممارسة. إن غياب تحليل الواقع – واقع الإنحطاط – و عدم الانطلاق من هذا التحليل لبناء نموذج مطابق يرتبط فيه إبتداء النهضة بالوعي بدايتها، هو السبب في ذلك التضخم في الطموح النهضوي العربي التضخم الذي يقفز على الواقع و يلغي الزمان و المكان ويجعل بالتالي علاقتهم مع أحد النموذجين تتحول إلى الحلول محله إلى تقمصه والإحتماء به"[2].

لم تكن مصر الوحيدة التي إستفادت من ثقافة الغازي المستعمر، بل حتى المغرب العربي استفاد من فرنسا، و ذلك من خلال البعثات العلمية التي كانت تهدف

---

[1]– المرجع نفسه، ص 31.

[2]– د محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 5، 1994م، ص 24.

إلى تأهيل شباب المغرب العربي و توعيته، بتنوير عقله للعلوم التي تحتضنها أوروبا[1]، فصار الجزائريون يركضون إليها سعيا للعمل فيها، أو طلبا للعلم فقد " ظهرت حركة الهجرة الطلابية الجزائرية نحو فرنسا في بداية القرن العشرين، و ازدهرت نسبيا ابتداء من سنة 1919م و خاصة في الفترة الممتدة من 1938م، إلى 1940م» [2]، و من خلال هذه البعثات و الهجرات إكتشف الجزائري ذاته ( الأنا) الضعيفة ثقافيا وعسكريا و علميا، المتخلفة في مقابل الآخر (الغرب) المتفوق "فرنسا"[3]، فأصبحت فرنسا متنفس للراحة و الحرية و العلم التي يبحث عنها الكثيرين.

لكل إستعمار نوايا سيئة خفية إتجاه البلد المستعمر لذلك فإن الحملة الفرنسية لم تكن كلها نعمة وهدايا تقدم للشعب المصري، بل اعتبرها الكثيرون فترة مظلمة ومؤلمة، تجرع شعبها مرارة و ذل لأن نوايا بونابرت سرعان ما انكشفت و اتضحت أهدافه التي كانت ترمي إلى القضاء على حكم المماليك و إستبداله بنظام آخر جائر[4]، و نهب كل خيرات مصر و الإستيلاء عليها، لأن مصر كانت وسيلتهم الوحيدة لكسر شوكة وهيبة انجلترا، و ما حفزهم أكثر لدخول مصر، هو انهيار الإمبراطورية العثمانية

---

[1]–ينظر جمعة طيبي،صورة المراة الغربية في الرواية الجزائرية المرجع السابق، ص 133.

[2]– المرجع نفسه، ص 132.

[3]–ينظر المرجع نفسه، ص 132.

[4]– ينظر جمال مباركي، المرجع السابق، ص 63.

و تسابق الدول الغربية لاحتلالها، لذلك كانت فرنسا سباقة لاحتلالها خاصة أن مصر كانت دولة ضعيفة، لا وسائل لها للدفاع عن نفسها[1].

بقدر ما كان للحملة الفرنسية من إيجابيات نفعت و أفادت المصريين و لو بالقليل، بقدر ما كان لها الكثير من السلبيات ألحقت ضررا و أذى و هلاكا كبيرا بالمصريين، فمنذ متى المحتل الغازي تهمه ثقافتنا و تطورنا، فنابليون بونابرت لم تكن غايته تثقيف الشعب المصري و تطويره و تنويره، فهي آخر همومه، بل غايته هي إلغاء الهوية الشرقية بمقوماتها و دينها و تقاليدها، و كل شيء له علاقة بالحضارة الشرقية، و في هذا يشهد المؤرخ عبد الرحمان الجبرتي فيقول:" ثم دخل الفرنسيون مصر غزاة فاتحين، فأساؤا إلى الناس في معاشهم، و عقائدهم و مقدساتهم، فكان للحملة الفرنسية فظائعها، و أخطاؤها الشائنة الشائعة، مما أساء إلى البلاد و العباد، حتى تمنى الناس التخلص منها بفارغ الصبر"[2].

إن الحملة الفرنسية لم تكن جنة أتى بها نابليون بونابرت إلى مصر، بل نار تحرق كل من يعرقل مصالحها، فهي لم تكتف بثروات مصر بل طمعت في بلدان عربية أخرى، " و كأن الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م كان القصد منها جس النبض، تحضيرا لتجربة استعمارية كاملة و شرسة ضد البلدان العربية، سوف تنطلق

[1]–ينظر د. محمد فؤاد شكري،الحملة الفرنسية و خروج الفرنسيين من مصر المرجع السابق، ص 31.

[2]– جمال مباركي، المرجع السابق، ص 63.

فعليا سنة 1830م، مع احتلال الجزائر"[1]، و كانت المواجهة عنيفة بينهما، و ما رآه الشعب الجزائري من فرنسا، لم يره اي بلد عربي " لم يعرف التاريخ المعاصر ظاهرة إستعمارية كالظاهرة التي عرفتها الجزائر، كما أن الإنسانية الحديثة لم تتعرض لممارسة عنيفة كالتي عرفها المجتمع الجزائري، خاصة أن الإستعمار الفرنسي لم يكتف بإحتلال الجزائر و سلب ثرواتها، و إنما حاول طمس معالمها القومية و تفكيك بنيتها الثقافية"[2].

على الرغم من السياسة القمعية التعسفية الشنيعة التي إنتهجتها فرنسا مع مصر و الجزائر، و حتى مع البلدان العربية الأخرى، فإن الكل قاومها و طردها من وطنه، لكن الشيء الذي لم يستطيعوا طرده هو طريقة التفكير الغربي التي سيطرت على فكرهم، لأن فرنسا فرنست عقولهم و قلوبهم، و في ذلك يقول عبد الوهاب عزام: "أضل الشرقيون أنفسهم، فإذا هم أجساد تنبض بقلوب الغرب، و تفكر بعقوله، و إذا هم مستسلمون لكل ما تطلع به أوروبا..... ثم إذا هم أذلاء، مقلدون يحقرون أنفسهم و آبائهم و ميراث حضارتهم، و تاريخهم إلى أن تعظم أوروبا أبا من آبائهم أو تعجب بمأثرة من مآثرهم، فيقتدوا بها ..... إن الشرقيون يتلقون عن الغربيين أفكارهم وعقائدهم، كما يأخذون منهم منسوجات القطن و الصوف ....."[3].

---

[1]– مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، موضم للنشر الجزائر، د.ط، 2008م، ص 22.

[2]– جمعة طيبي، المرجع السابق، ص 130.

[3]–عبد الوهاب عزام ملحق السياسة الأدبي عدد خاص بمؤتمر الطلبة الشرقيين نقلا عن سالم المعوش، المرجع السابق، ص 66.

إن الأمر الذي لم ندركه بعد، هو أننا قادرون على التغيير و التقدم متى شئنا ولوحدنا، و ليس حتى ننتظر الإستعمار الذي يأتي إلينا لينهبنا ثم يثقفنا، فالمستعمر هو مجرد إنسان، له عقل مثلنا، لكن الفرق بيننا و بينه هو أنه عرف كيف يشغل ذلك العقل و يفيد حضارته، المشكل فينا نحن، المشكل في أننا نستهين بقدراتنا و مواهبنا، فقد إعتدنا على أخذ الجاهز من الغرب، على تطبيق ما يقوله الغرب، فأين رأينا إذن، و المشكل الأساسي أيضا هو أننا أخذنا من الغرب الأشياء التافهة فقط كاللباس والمواد و غيرها من الأمور التافهة التي لا تنفعنا في شيء، فأين محل التكنولوجيا عندنا، أين هي العلوم التي كنا سباقين في إكتسابها في وقت مضى و أخذها الغرب عنا ثم تقدم علينا، أين الخلل إذن؟، الخلل ربما أننا مازلنا نعيش مع التراث بدليل أن تلك العلوم لم نطورها لكن الغرب فعل ذلك، فقد ضرب ضربته وحسم أمره في النهضة الأوروبية بينما نحن بقينا نتابع تطوراته من بعيد.

و الخلل ربما يرجع أيضا إلى نومنا العميق الذي لم نفق منه إلا و الإستعمار يخلع علينا بابنا، فأضعنا وقتنا حقا، متجاهلين قيمة هذه الثروة الضائعة ألا و هي "الزمن"، فإذا دق الناقوس في أي بلد أروبي تجد الكل مسرع إلى عمله، في حين إذا دق عندنا نحن العرب كأنه لم يدق إطلاقا و لا واحد فينا يلتزم بوقته، و هنا يكمن المشكل، فنحن لم نعي بعد العلاقة الوطيدة بين الزمن و التاريخ و النهضة أو الحضارة " هذا المعنى الذي لم نكسبه بعد، هو مفهوم الزمن الداخل في تكوين الفكرة و النشاط

..... فالحياة و التاريخ الخاضعان للتوقيت كان و ما يزال يفوتنا قطارهما، فنحن في حاجة ملحة الى توقيت دقيق و خطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا"[1]، يقول الرسول (ص):" ما من يوم ينشق فجره إلا و ينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد، و على عملك شهيد فاغتنم مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة"، فكيف يا ترى سنعوض إذا هذا الوقت و الفرص الثمينة الضائعة من تاريخنا؟.

كل هذه الأسئلة و تلك فتحت بابا كبيرا و واسعا للنقاش الحاد و الخوض في معركة فكرية أساسها البحث عن سبب تأخرنا في تحقيق النهضة العربية، و هو سؤال لطالما أرق الكثير من الباحثين و المفكرين، يتساءل أحد الباحثين قائلا:" لماذا تطلب وفاق العرب مع العصر كل هذا الوقت الطويل، و دون جدوى؟ ثم يضيف قائلا: هذا السؤال المصيري، النازف كالجرح في ضمير كل عربي ملتزم، إذا كان ما يزال يأخذ يوما بعد يوم أبعادا مأساوية متزايدة فلأنه قد مضت على إرتطام هذه الأمة بالحضارة الحديثة و بمعطياتها و ألاتها سنون بعيدة بعيدة.

كتلة الأقاليم العربية مضت عليها الفترة الزمنية الكافية لتكون في مستوى العصر و تكنولوجيته و فيضه الحضاري معظمها على الأقل انطلق قبل الصين التي بدأت منذ ربع قرن، بعضها قبل روسيا التي بدأت مند سبعين سنة، و بعضها قبل اليابان التي بدأت منذ مائة سنة. و مع ذلك فهذه الأمم وصل، كلها وصلت، بينما لم يصل

[1]– مالك ابن نبي،شروط النهضة المرجع السابق، ص 212–213.

أي إقليم عربي طليعي إلى شيء بعيد. مأساوية السؤال إنما تنبع من إحتمالات الأجوبة عليه: فهل وصلت الأمة حقا مرحلة الشيخوخة فهي إلى الإدبار و العقم الحضاري؟ أو أضاعت الطريق؟ و أي طريق؟ أم ثمة من الأمراض المعقدة في تكوينها العام ما يشل المفاصل أن تسير السير الذي يقتضيه إيقاع العصر؟ تلك هي المسألة"[1].

رد بعض الباحثين سبب تأخرنا في تحقيق نهضتنا الى جملة من الأسباب أهمها:

*إذا فتحنا القاموس العربي و بحثنا في مدلول كلمة نهضة نجدها تعني " القيام و الحركة"، أما إذا بحثنا عنها في القاموس الفرنسي الحديث نجد أنها تعني "الولادة الجديدة" "Renaissance"، و هذا الإختلاف في معنى الكلمة الواحدة " نهضة " سبب مشكلا كبيرا، فبينما كان الشعب العربي يطمح إلى القيام و الحركة، كانت أروبا تضع أول خطوة لميلاد مرحلة جديدة " الحداثة"، مودعة بذلك عصر الظلمات[2]، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما الذي جعل العرب يختارون معنى القيام و الحركة؟ .

لم يكن باليد حيلة فالظروف القاسية هي التي فرضت ذلك، فكان من الممكن أن نختار كلمة "بعث" لكن هذا المعنى لم يكن مناسبا في تلك المرحلة الصعبة، " فما كان

[1]– محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 2005م، ص 132.

[2]– ينظر الجابري، المشروع النهضوي العربي، مراجعة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1996م، ص 63.

العرب في حاجة إليه هو النهوض لمقاومة التدخل الأروبي و الإحتلال الأجنبي و هذا النهوض يجب أن يكون في آن واحد قياما و حركة. القيام بمعنى إستجماع القوى و الإستعداد، و الحركة بمعنى مواجهة التهديد الخارجي، أما " النهضة" بمعنى التجديد أو تحقيق ولادة جديدة ..... و هو المعنى الأروبي للكلمة، فشيء آخر...."[1].

*رد أحد الباحثين سبب سقوط النهضة و فشلها إلى أيادي خارجية قائلا: "إنه كلما قطعت النهضة العربية شوطا في طريق التقدم يسارع الإستعمار إلى التدخل لإجهاض هذه الحركة و روادها، أي أن قوى خارجية كانت تبادر إلى التدخل في اللحظة التي يبدأ فيها الحصاد"[2]، و لعل هذه الظاهرة أصبحت واضحة في عصرنا الحالي، فما جرى لتونس و تركيا و بلدان أخرى من فتن و إنقلابات كلها أمور مخطط لها من أيادي أجنبية خارجية، فالأجنبي لا يتقبل أن يرى أي بلد عربي يزدهر و يذيع صيته من خلال سياحة أو تجارة فهذا ممنوع علينا، فإن تطورنا فالأجنبي سيكسرشوكتنا من خلال فتن يزرعها بيننا، يقول أحد الباحثين " و ها هي دول أخرى صغيرة لم نكن نسمع بها تشق طريقها و هي على قاب قوسين أو أدنى من الوصول، دول تحمل أسماء جديدة تماما على قاموسنا التاريخي و ذاكرتنا الحضارية، دول التايلاند و سنغافورة و كورية الجنوبية التي أصبحت تنعت بـ " النمور" نمور الشرق الأقصى،

[1]– المرجع نفسه، ص 64.

[2]– الجابري، الخطاب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 30.

هذا في حين بقينا نحن جامدين نحلب كـ " النعاج" أو " الأبقار" في الشرق الأوسط مهد الحضارات"[1].

حقيقة هذا الكلام حقيقة مؤلمة و صادمة، فكيف لمثل هذه البلدان التي لم تكن موجودة في خط الانطلاق و القيام للنهضة ان تصل قبلنا، ففي حين كان " محمد علي" يتحرك للنهضة كانت الصين مثلا تتحرك لتحرير نفسها، فالمدة الزمنية للنهضة بيننا و بينهم بعيدة و مع ذلك مازال يطلق على العرب " الدول التي على طريق النمو"، أين المشكل اذن؟ المشكل في أن تلك الدول " لم تعان من الوجه " الآخر" .....أي لا من الاستعمار و لا من ربيبته إسرائيل، كما أن أهميتها للغرب هي دون أهمية المنطقة العربية المتميزة بموقعها الإستراتيجي الذي كان و لا يزال يتحكم في الطريق إلى " الشرق" و بمخزونها النفطي الذي لا يمكن أن يستغني عنه الغرب، إذا عليه تتوقف حضارته و بالتالي حياته و ازدهاره"[2]، فما الحل إذا؟ مادام الإستعمار عرقل و سيعرق كل مشروع نقوم به، و سيقف ضد أي مشروع يكون لصالح نهضتنا و حداثتنا؟.

إن تحقيق النهضة العربية لابد له من شروط ثلاثة هي:

[1]– الجابري، المشروع النهضوي العربي، المرجع السابق، ص 170.

[2]– المرجع نفسه، ص 171.

1- سقوط الغرب " فعندما يسقط الغرب ستنعدم القوى الخارجية المعرقلة لنهضتنا و إذا ذاك سنتولى قيادة البشرية"[1]، و هذا السقوط طبعا هو أمر مستحيل و غير معقول، لذلك فالمقصود هنا هو أن نحاول أن نتحرر من تبعية الغرب و سلطته علينا.

2- التحرر من التراث: و لا يعني هنا الإستغناء عن تراثنا و رميه في سلة المهملات ، لا فهذا أمر مستحيل لأن تراثنا جزء من حياتنا فهو الأصل، و لكن لابد أن نتجاوزه فما هو ملاحظ اليوم أن " التاريخ الثقافي العربي السائد الآن هو في مجمله مجرد إجترار و تكرار و إعادة إنتاج بشكل رديء للتاريخ الثقافي نفسه الذي كتبه أجدادنا تحت ضغط صراعات العصور التي عاشوا فيها ..... و لذلك فنحن ما زلنا سجناء الرؤية و المفاهيم و المناهج التي وجهتهم، مما يجرنا دون أن نشعر إلى الإنخراط في صراعات الماضي .....، إلى جعل حاضرنا مشغولا بمشاكل ماضينا، و بالتالي النظر إلى المستقبل بتوجيه من مشاكل الماضي و الحاضر معا"[2]، لذلك فقد آن الأوان لكي نتخلص من قيود الماضي و نحاول أن نؤسس لأرضية جديدة صحيحة و سليمة للمستقبل.

3-يبقى هذان الشرطان شرطان ناقصان اذا لم يتحقق و يتوفر فيهما الشرط الثالث، ألا و هو شرطا " حضور الأنا"، على أن يكون هذا الحضور حضورا واعيا، لها تاريخها و إستقلاليتها الخاصة، قادرة على نقد الآخر و مواجهته يقول

[1]- الجابري، الخطاب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 36.

[2]- الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، المرجع السابق ص 38.

غرامشي في ذلك: " لا يمكن للإنسان ..... أن يكون له تصور منسجم نقدي للعالم إذا لم يكن واعيا لتاريخيته و لمراحل التطور التي يمثلها واقعه التاريخي...."[1] و أيضا " إن نقطة انطلاق الممارسة المحكمة للنقد هي وعي الذات على حقيقتها:" إعرف نفسك" من حيث أنك حصيلة سيرورة تاريخية ظلت سارية حتى اللحظة الراهنة، سيرورة تركت فيك آثارا لا حصر لها دون أن تترك سجلا يحصيها. و لذلك كان من الضروري الأكيد البدء بكتابة هذا السجل"[2].

إن تحقيق النهضة العربية يحتاج إذا إلى اجتهاد كبير و مثابرة و عزيمة جادة، قوامها الإتحاد فيما بيننا نحن العرب، لأن الشيء الذي ينبغي أن نعترف به شئنا أم أبينا هو أن العرب كتلة منفصلة غير متحدة، و هذه هي نقطة ضعفنا التي إستغلها العرب، يقول أحد الباحثين أن :" نظرة إلى الواقع العربي ترينا أهمية و ضرورة و حتمية الوحدة العربية، فقدر هذه الأمة الواحدة تاريخا و حضارة و ثقافة أن تتحد لتبني حضارتها و مستقبلها، إذ بدون وحدتها و تكاملها علميا و عمليا ستبقى في إطار التخلف مهما حققت بعض أقطارها من نمو في بعض القطاعات"[3].

فالحل إذن بيد العرب، فبالإتحاد و التماسك و التعاون نبني أنفسنا من جديد، و ننهض بأنفسنا و مجتمعنا نهضة تضاهي نهضة الغرب، و هذا ليس بالمستحيل مادام

[1]–غرامشي نقلا عن الجابري، الخطاب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 206.

[2]– غرامشي نقلا عن الجابري، الخطاب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 206.

[3]– الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 140.

الشعب العربي يملك المفتاح و العدة اللازمة لبناء المستقبل يقول مالك ابن نبي في ذلك: "..... و ما دامت القيم الجوهرية الثلاثة: الإنسان و التراب و الزمن " و هي الزاد وقت العسرة" في يد شعب ..... فإن ذلك الشعب بلا شك يمسك بيده مفتاح الأقدار"[1]،و مهما واجهنا من عراقيل و صعوبات من قبل الآخر فلا ينبغي أن نستسلم لذلك، بل لابد أن نفرض ذاتنا و نثابر لكي نصل.

[1]– مالك بن نبي،شروط النهضة، المرجع السابق، ص 228 .89

# الفصل الثاني

## صورة المرأة الغربية

**المبحث الأول: الغرب مركز للحرية و الجنس**

**المطلب الأول: تعارض القيم بين الشرق و الغرب إزاء الجنس**

**المطلب الثاني: تعطش الرجل الشرقي و المغاربي للحرية و الجنس**

**المبحث الثاني: صورة المرأة الغربية**

**المطلب الأول: المرأة و حرية ممارسة الجنس**

**المطلب الثاني: المرأة الغربية الإستغلالية الخائنة**

**المطلب الثالث: المرأة الغربية و سحر الشرق**

**المطلب الرابع: نشاط المرأة الغربية العمل**

**المطلب الخامس: المرأة المثقفة**

**المطلب السادس: بين المرأة الشرقية و المرأة الغربية**

## المبحث الأول: الغرب مركز للحرية و الجنس

لكل حضارة معالم و قيم و مبادئ خاصة بها، الهدف منها توجيه الفرد و المحافظة على نظام المجتمع و اصلاحه، و الواجب على كل فرد من الأفراد أن يلتزم بهذه القيم المطلوبة منه، لضمان السير الحسن للمجتمع. و نحن في هذا البحث أمام حضارتين مختلفتين في القيم، حضارة شرقية و الأخرى غربية، فما هي خصوصيات و مميزات كل منهما؟ .

### المطلب الأول: تعارض القيم بين الشرق و الغرب إزاء الجنس

لقد أحدثت النهضة الأوروبية تغيرات و تحولات جذرية في المجتمعات الغربية، خاصة فيما يتعلق بقضية المرأة، فقد منحتها الحرية الكاملة في سلوكها و انشغالاتها فقدست جمالها و انشغلت بملذات جسدها، و اصبحت المرأة الغربية تشغل حيزا كبيرا في المجتمعات الأوروبية، و في ذلك تقول **إديث سيكل:**" أوجدت النهضة عصر للمرأة، و هيأت لها مجالا جديدا و أهمية جديدة، ذلك أن تهافت النهضة على الجمال وتطوراتها الإجتماعية السريعة و نشاطاتها العاطفية، و أوجه النشاط المختلفة التي تضمنها هذا كله، انما كان ملائما لقدرات المرأة تماما..... و أثرت المرأة في الحياة بقدر ما أثر التصوير و النحت و الشعر في الجمال و الفكر، إذ كانت المرأة هي

موضوع هذه المجالات الفنية و الأدبية..... و إنطلقت المرأة ترقص و تغني"[1] و تفعل ما يحلو لها.

إن أهم عنصر ركزت عليه النهضة الأوروبية و دعت إلى تحقيقه هو حرية الفرد، لكن هذه الحرية الزائدة و المفرطة هي التي أفسدت طبع الفرد الأوروبي و أخلاقه، فخرج الناس عن تقاليدهم و دينهم، فكثر الفساد الذي أدى إلى إنصراف الأفراد عن الزواج و الإكتفاء بالعيش مع إمرأة بدون أي روابط شرعية، و هذا كله من أجل إحتفاظهم بحريتهم المطلقة التي لا يقيدها أي قيد و رابط شرعي، فحياة الهوى والعشق أنعم عندهم من رابط الزواج[2]، وشعارهم هو إستقلال الفرد.

إن ما زاد في تهييج الأوروبيين ‹‹ اللذة ››هو أجهزة الإعلام و المجلات التي تعرض صورا لنساء غربيات عاريات يحفزن الرجال على اللذة و الجنس تحت عنوان الحرية الشخصية الجنسية[3]، و في هذا الموضوع بالذات كتب رئيس تحرير مجلة **(لاليون ريبلكان):**" أنه إنتشرت في الغرب الحركة الاباحية التي تنادي بالتحرر والتحلل من قيود العفة و الطهارة، و كان لهذه الحركة كغيرها من الحركات و روادها الذين أخذوا في تزيين فكرهم و محاولة إقناع الناس به، فنادوا بالحرية الجنسية، على

---

[1]– إديث سيكل نقلا عن السيد رجب حراز، عصر النهضة، دراسة في الحضارة الأوروبية الحديثة، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 181.

[2]– ينظر السيد رجب حراز، المرجع نفسه، ص 181–182.

[3]– ينظر أسماء العريف بياتريكس، الآخر في المخيال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت د.ط، د.ت، ص 105.

أن يمارس الإنسان الجنس أينما شاء و كيفما شاء بلا حدود أو قيود"[1]، فهم يرون أن الإلتزام بمبادئ العفة و الحد من التحرر الجنسي هو ضرب من الرجعية لذلك نادوا بالإباحية الجنسية[2]، و أن إشباع اللذة من حق كل فرد غربي و هو ما سموه "**démocratization of hedonism**"[3] ، أي أن المرأة الغربية أصبحت متاحة لكل طالب لذة، سواء غربيا أو شرقيا .

إن القيم المشتتة التي تتمتع بها الحضارة الغربية، و تدعو أبناء شعبها إلى التحلي بها، عارضها كثيرون و إنتقدوا سلوك فردها الغربي ، و من بين هؤلاء المعارضين المفكر الأمريكي "**فيلمر استيورت كاكو نورثروب**"[4]، الذي إنتقد الحضارة الغربية، و أشاد بقيم و أصالة الحضارة الشرقية، يقول في ذلك:" إننا في الولايات المتحدة الأمريكية، و جيراننا في الغرب الحديث، مرتبكين من الناحية الأخلاقية، مفتقدين الطريق الصحيح، فليس السبب في ذلك أننا أنجزنا معرفتنا العلمية، و نجحنا في مجال التكنولوجيا، و لكن السبب أننا تابعنا هذه المعرفة من الناحية الفلسفية، كما

---

[1]–لاليون ريبلكان نقلا عن عبد المنعم عبد الله جبري، المرأة عبر التاريخ البشري، دار الصفحات للطباعة و النشر، د ط. دت، دمشق ص 9.

[2]– ينظر محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية و الاسلامية، دار الفكر، د.ط، 1980م، ص 86.

[3]– ينظر عبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية ط 1 2006م ص 120.

[4]– كاكو نورثروب (1893–1992م)، مفكر أمريكي و هو من أعظم الفلاسفة و المفكرين المعاصرين في امريكا.

أننا إبتعدنا عن وعينا الأخلاقي..."[1]، إن هذا الكلام يمثل إعترافا صريحا من مفكر غربي أمريكي بأن الحضارة الغربية يتيمة المبادئ مفتقدة للقيم الأخلاقية، و هذا راجع إلى سببين رئيسيين هما:

**الأول:** غياب الوازع الديني القوي.

**الثاني:** إبتعادهم كل البعد عن الوعي الأخلاقي[2]، فأساس القيم الغربية و عمودها، محورين أساسيين هما:" المال و الجنس اللذان لا يشكلان إلا العدوان الطبقي الذي يستهدف إهدار كرامة الإنسان، تحت شعار الحرية و الإيخاء و هذا دليل من دلائل التدهور"[3].

إذا كان الغرب يرى في المرأة مجرد جسد و بضاعة تستهلك و تبتاع متى أراد الرجل ذلك، و هذا كله تحت شعار (الحرية)، فإن الإسلام يرى المرأة مخلوق قدره و قيمته أسمى وأنظف من ذلك الفعل الدنيء، لذلك دعى إلى صيانتها من كل دنس يلطخ شرفها وسمعتها، و هذا حتى يحميها من أطماع و شهوات الرجال[4]، و لكي يبقي مكانتها عالية و رفيعة، أوجد حلا للطرفين ليحميهما من إرتكاب الفواحش و الحرام و يبعدهما عن الزنا، و هو الرباط المقدس (الزواج) الذي يمنحهما كل الحق

---

[1]– فيلمراستيورت كاكو نورثروب the taming of the nations study of the culture of Bases of international نقلا عن وفاء عبد الحليم محمود، نقد نورثروب للحضارة العربية و موقفه من إلتقاء الشرق و الغرب، دار الوفاء لدنيا الطباعة الإسكندري، د.ط، د.ت، ص 35.

[2]– ينظر وفاء عبد الحليم محمود، المرجع نفسه، ص 36.

[3]– المرجع نفسه، ص 37.

[4]– ينظر عبد المنعم عبد الله جبري، المرجع السابق، ص 30.

بالقيام بهذه العلاقة الجنسية، يقول الله عز وجل في ذلك " و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"[1] و يقول أيضا " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"[2].

لم يبخل علينا ديننا الحنيف بالحرية التي يتمتع بها الغرب، لكن الحرية التي منحها لنا، لها شروط و ضوابط و هذا حتى يحمينا من شرور الفاسدين، و يحمينا من نفسنا الأمارة بالسوء، لذلك وضع لنا قوانين و مبادئ تهذيبية دينية توجهنا للطريق المستقيم، فالحرية التي تضرنا منعها عنا و نحن طبعا في غنى عنها، و في هذا يقول "خير الدين التونسي" ليبين أن الاسلام كان سباقا للحرية الفردية المهذبة يقول:" إن الحرية و الهمة الإنسانية اللتين هما منشأ كل صنع غريب غريزتان في أهل الإسلام، مستمدتان مما تكسبه شريعتهم من فنون التهذيب، بخلاف غيرهم من لم تحصل لهم الغريزتان المذكورتان إلا بإجراء التنظيمات في بلدانهم"[3]، و يشاطره في هذا الرأي " أحمد فارس الشدياق" الذي يقول: " لا جرم أن الحرية أمر حسن يتمناه جميع الناس إلا أنها متى آلت إلى إنتهاك الأدب وجب منعها"[4].

---

[1]– سورة الروم الآية 21.

[2]– سورة النحل، الآية 97.

[3]– خير الدين التونسي، أقوم المسالك نقلا عن نازك سابا يارد، الرحالون العرب و حضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، مؤسسة نوفل للنشر، بيروت، ط1، 1979م، ص 37.

[4]– أحمد فارس الشدياق، كنز الرغائب نقلا عن نازك سابا يارد، المرجع نفسه، ص 42.

إن الشريعة الإسلامية الغراء همها الوحيد هو الحفاظ على مكانة المرأة و التكفل بكل حقوقها، و الحق يقال أنها ساوت بينها و بين الرجل و ألغت كل تمييز بينهما " يا أيها الناس إنا خلقنكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"[1]، و حثتها و دعتها للعلم و المعرفة و هي اليوم تمارس كل حقوقها الطبيعية (العمل)[2] وفق ما تنص عليه تعاليم و مبادئ ديننا الحنيف (الإسلام).

كثرهم من تذمروا من هذه الحرية التي منحها لنا الإسلام، و اعتبروها حرية مقيدة مكبلة للرجل الشرقي، لأنها لا تعطيه الحق في ممارسة الجنس إلا عن طريق الزواج، و لعل هذا ما جعل بعض الرجال الشرقيين يذهبون خفية لممارسة الجنس الذي حرموا منه، و هناك من رأى في هذه الحرية المقيدة قتلا لشهوة المرأة الجنسية، حتى أصبحت معقدة من جسدها، تشير فوزية الصفار في قولها:" حرمان و كبت في الشرق بالنسبة للمرأة و الرجل، بقينا نعاني مخلفاته إلى اليوم، بإسم الأخلاق و الدين، حرمونا لا من ممارسة الجنس فحسب بل حتى من الحديث عنه"[3].

من خلال كل هذا الكلام الذي ذكرته آنفا، و من خلال هذا القول الذي إستشهدت به آخرا، إنطلقت بقلمي لأضع النقاط على حروف هذا الموضوع بالذات،

---

[1]– سورة الحجرات الآية 13.

[2]– ينظر عيسى الحسن، موضوعة الحضارات، تاريخ، لغات، أعلام، قيم حضارية، عادات و تقاليد، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، ط2، 2009م، ص 294.

[3]– فوزية الصفار، أزمة الأجيال العربية، دراسة في موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر، د.ط، 1980م، ص 119.

من خلال آراء الكتاب المتناولين في هذه الدراسة في قضية " الجنس و المرأة الغربية" و الدور الذي تشغله المرأة الغربية في مجتمعها و سر إقبال الرجل العربي متلهفا لملاقاتها، لكن قبل أن أختم هذا المطلب أريد أن أعقب على كلام فوزية الصفار و أقول أن الإسلام لم يحرمنا لا من ممارسة الجنس و لا من أي أمور أخرى، بل حلل ذلك عن طريق الزواج، لكن البعض تجاهلوا تعاليم دينهم و استهوتهم حرية الغرب فاعتبروا تعاليم ديننا كبتا و حرمان، فانساقوا وراء شهواتهم.

**المطلب الثاني: تعطش الرجل الشرقي و المغاربي إلى الحرية و الجنس**

إن نشوء الرجل الشرقي في مجتمع تربوي طهراني قاسي، قائم على التسلط و التجبر و الحد من حرية الأشخاص و رغباتهم خلف له فيما بعد عدة عقد و أزمات نفسية جعلته يشعر بأنه إنسان ناقص و محروم من أتفه و أدنى الحقوق[1]، خاصة إذا ما قارنا بينه و بين الإنسان الغربي الذي يتمتع بالحرية الكاملة، و قد أشار " فرنسيس بن فتح الله مراش" إلى الظلم و الإستبداد الموجود بالشرق في مقدمة كتابه "رحلة إلى باريس" حيث يقول:" رأيت القوي يدوس الضعيف و يأكل لحمه و يشرب دمه و يكاد لا يشبع و لا يروى. رأيت أقواما يرضعون الذل و الخوف من أثداء أمهاتهم و وجوههم مائلة نحو الشفق لطلب صدقة و في أيديهم حقاقا فولاذية مطبوعة على أفكارهم و حريتهم حتى لا تتحرك"[2].

و لا يتوقف "مراش" عند هذا الكلام، بل يقارن بين الشرق و فرنسا فيقول:" فكم سرور و إندهاش للأعين، إذ عندما ترى هذه الأمة الفرنساوية رافلة بأذيال الحرية الكاملة بدون خشية من التعثر بأشواك سيادة بربرية أو سلطة ضاربة .....لابسة ثياب الدين و الدنيا بدون جزع....، و لا ذعر من سطوات شريعة مارقة"[3].

[1]– ينظر جورج ازوط، سهيل ادريس في قصصه و مواقفه، دار الآداب بيروت ط1، 1989م، ص 99.

[2]– فرنسيس بن فتح الله مراش، رحلة الى باريس، نقلا عن نازك سابا يارد، المرجع السابق، ص 65.

[3]– المرجع نفسه، ص 65.

إن هذا النظام الشرقي الأبوي الذي إعتبره البعض " كمراش" و غيره نظاما مستبدا ومتخلفا، هو الذي حتم على الرجل الشرقي البحث عن الحرية في مكان آخر يحقق له إستقلاليته و راحته، لذلك فإن أول ما سمحت له الفرصة شد رحاله إلى عواصم الغرب بحثا عن حريته من جهة و إرواء لظمئه الجنسي من جهة أخرى، فقد ملل و هو يسمع من بعيد عن جسد المرأة الغربية، و يتفرج عليها من مكان أبعد متاحة لكل زائر يبحث عن اللذة، فجاشت عواطفه، و قرر السفر إلى بلاد الغرب لرؤيتها و الإحتكاك بها عن قرب و عن هذا تحدث " أحمد زكي" في كتابه "السفر إلى المؤتمر"، حيث رد سبب السفر إلى بلاد الغرب و الغاية منه هي أن " نمتع النواظر برؤية الوجوه النواظر، و اللحاظ الفواتر و الثغور البواسم، و الخدود النواعم، و القدود المياسة و الخصور النحيلة إلى وراء ذلك مما هو وراء الوصف"[1].

إن ميل الرجل الشرقي للمرأة الغربية سببه جسدها المغري ، لذلك إقتفوا أثرها حتى وصلوا إليها، و لعل خير دليل على معاناة هذا الرجل في المجتمع الشرقي، و توقه إلى الحرية، ما جسدته الرواية العربية من واقع مرير، و من بين هذه الروايات، رواية "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس، رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح، و رواية " عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم ، و رواية " ما لاتذروه الرياح" لعرعار

[1]– أحمد زكي، السفر إلى المؤتمر نقلا عن جمعة طيبي، صورة المرأة الغربية في الرواية الجزائرية، رسالة دكتوراه العلوم، جامعة الجزائر، 2016/2015م، ص 38.

محمد العالي، و رواية " المرأة و الوردة" لمحمد زفزاف، و قد جسدت وضعه أحسن تجسيد.

يمثل الحي اللاتيني بفرنسا بالنسبة للشاب العربي الشرقي دنيا جديدة مليئة بالأحلام والمفاجآت السارة[1]، التي يحلم بها كل شاب عربي عرف نوعا من الاضطهاد و السيطرة في شرقه المتخلف الذي يريد أن يكبله بقيود التقاليد و الأعراف الشرقية التي تعيق طريقه و طموحه، فلم يجد حلا إلا أن يحزم أمتعته لقطع البحار و الوصول إلى بلاد الأنوار (الغرب)، بحثا عن الحرية التي إفتقدها في وطنه .يقول البطل " الذي تريده الآن هو أن تضع حدا لحياتك القديمة فأي شأن هو شأنك في هذه الحياة ، و أية قيمة كانت لك في وطنك و قومك و مجتمعك"[2]، فهدفه المنشود كان الحرية و التحرر " إن قصارى ما يشعر به هو أنه يود أن يتنفس هواء جديدا"[3]. و همه الوحيد هو المرأة الغربية التي لطالما سمع عنها و حلم بها و تعطش لها " أسبوع طويل ينقضي، و في جسدك نار تلتهب، و في مخيلتك ألف صورة و صورة لنساء عاريات.....، لا تحاول أن تحتج أو تنكر، أجل شرقك ذلك لم يغرك منه سوى خيال المرأة الغربية، سوى اختفاء المرأة الشرقية في حياتك"[4].

---

[1]– ينظر مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2008م، ص 145.

[2]– سهيل إدريس، الحي اللاتيني، دار الآداب، بيروت، ط 15 ، 2007 م،ص 6.

[3]– المصدر نفسه، ص 6.

[4]– المصدر نفسه، ص 25.

لم يكترث بطل "الحي اللاتيني" لما ينتظره من حياة و مصير في هذا العالم الجديد، بل المهم عنده هو التخلص من أغلال الشرق، حتى و إن كان الطريق الجديد الذي سلكه طريقا مظلما، موحشا، فهو لا يبالي لذلك بل قتل كل شيء يذكره بالماضي، فتنكر لأصدقائه، و أهل وطنه، فأمامه الآن حياة جديدة " كفاك هدرا، أنت تنسى مرة أخرى أنك في باريس، أخرجها من نفسك بيروتك هذه، أخرجها فاقتلها ثم إدفنها، أما باريس فواجهها كما هي و تأملها مليا، و لن تلبث هي نفسها أن تتسلل إلى قلبك فتعيش فيه"[1].

لقد أصبح لحياة البطل الآن طعم آخر للحياة ، كيف لا؟، و قد صار الآن بجانب المرأة الغربية، فتاة أروبا الشقراء التي لطالما هتف بها و أرقه البعد عنها حتى أصبحت هاجسه الوحيد، لأنها الوحيدة التي تستطيع أن تشفي أمراضه و تنسي همومه " تبحث عنها..... عن المرأة..... تلك هي الحقيقة التي تنساها.....بل تتجاهلها، لقد أتيت إلى باريس من أجلها"[2].

إذن هي الأنثى الشقراء، هو التعطش للإرتماء في أحضانها و إمتصاص رحيقها، والرغبة في إكتشافها و التمتع بخباياها، هو ما أخذ الرجل الشرقي إلى باريس، أو أي مكان في بلاد الغرب كلها، فلم يذهب طلبا للعلم أو العمل، بل طلبا

[1]– المصدر نفسه، ص 19.

[2]– المصدر نفسه، ص 23.

للذة، فهو يرى باريس أو الغرب كله عاصمة أو مركزا للأنثى الشقراء المتحررة، المطلوبة بكثرة، و المتاحة في أي فترة[1]، لأن الغرب " أصبح مستقر الباحثين عن اللذة و الجنس، و بخاصة في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، و متنزها للسياح العرب، فقد ملاؤا شوارع باريس، و بخاصة سوق البنات..."[2].

يصف " عبد العزيز المقالح" معاناة الشاب العربي فيقول " حيث يعيش فيه الشباب هناك أزمة الجنس كمشكل إنساني و إجتماعي يراد له حل عاجل في ظل القيم الحضارية الإنسانية الجديدة"[3]. فالرجل العربي إنسان محروم مكبوت، جوعان و لعل هذا الكبت هو ما جعل بطل " الحي اللاتيني" يطلب المرأة " لجسدها لا لشخصها، يطلبها ليروي غلة و ليطفئ ظمأ، لا ليقيم علاقة بكل ما في كلمة العلاقة من مفهوم المشاركة"[4]، أي أن الغاية منها هي الإرتواء الجنسي فقط، و هذا ما لاحظناه عند لقائه بفتاة السينما التي ضرب لها موعدا من غير أن يرى وجهها حتى، و في الأخير أخلفت موعدها، فأخذ يحدث نفسه جراء هذا، و يبرر سبب عدم قدومها

---

[1]– ينظر جمعة طيبي، المرجع السابق، ص 46.

[2]– حسن عليان، العرب و الغرب في الرواية العربية، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ط 1، 2004م، ص 124.

[3]– د. عبد العزيز المقالح، أصوات من الزمن الجديد، دراسات في الادب العربي المعاصر، نقلا عن بوجمعة الوالي، الصراع الحضاري في الرواية العربية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993–1994م، ص 35–36.

[4]– جورج طرابيشي، شرق و غرب، رجولة و أنوثة، دار الطليعة، بيروت، د ط، د ت، ص 75.

إلى أن توصل إلى القول " بل كانت شفقة، لا ريب بأنها شعرت بأن هذا الذي على يمينها، شاب مسكين شرقي جوعان، سلخ كثيرا من ايامه في الكبت و الحرمان"[1].

لم يكن الرجل الشرقي البطل الوحيد الذي عانى من ظلم و إضطهاد نظام مجتمعه الجائر، بل حتى البطل المغربي عانى من عقد و مرض مجتمعه ، فلم يجد مخرجا إلا أن يركب المغامرة و يقصد بلاد الغرب لعل الحظ يبتسم له هناك و يجد ما يبحث عنه، ففي النهاية هو مثل أي شاب عربي متعطش للحرية و متلهف للقاء فتاة أحلامه (المرأة الغربية).

إن الظروف القاسية المزرية هي التي دفعت بالبطل المغاربي لخوض تجربة السفر إلى الغرب، فالغرب كان الواقع البديل للواقع المغربي الذي لا ينتهج إلا سياسة الظلم و القهر مع أبناء أمته و لا يعرف سياسة غيرها، يصف الصديق (جو) للبطل (محمد) هذا الوضع المؤلم السائد في المغرب قائلا:" إنهم لا ينظرون إليك هنا إلا بعين فوقية، تتخيل الواحد كما لو كان إلها و لكنه اذا حدثك تجده بليدا أميا لا يقرأ حتى جريدة، و عندما ينظر إليك ترهبك نظراته و كأنه إنسان خطير يقرر مصير الأمم، الرجل الأروبي على عكس ذلك..... إنني أحب أروبا"[2]، و كيف لا يحب أروبا و قد وجد فيها ضالته (الحرية، المال، المرأة) يقول الصديق "جو" " وجدت ذاتي في

[1]– المصدر نفسه، ص 37.

[2]– محمد زفزاف، المرأة و الوردة، الشركة الوطنية للناشرين المتحدين، الرباط، د.ط، د.ت، ص 26.

أروبا وبالخصوص في أمستردام، قضيت هناك أربع سنوات و عشت مثلما يعيش الملوك والأباطرة. هل تعتقد أني كنت أعمل يدي في شيء؟ لا، لا..... كنت آكل و أشرب و أرتدي أفخر الثياب و أنكح أجمل النساء"[1].

إن هذا الكلام الشيق المغري عن أروبا حفز البطل (محمد) ليمضي قدما إلى بلاد الغرب، هاربا من ذلك الوسط المظلم الموحش الذي لن يكون له فيه مستقبل، فقد خفق قلبه الآن لحياة جديدة كلها سعادة بعثها فيه صديقه (جو)، يقول البطل محمد " لكني كنت متيقنا من شيء، هو أنه نفخ في روحا جديدة حتى كنت راضيا عن نفسي"[2].

إن أروبا هي ملاذ كل بائس يائس يبحث عن طعم للحياة، يريد أن يشم و يستنشق رائحة الحرية، الحرية التي حرم منها في وطنه، فما إن وصل البطل إلى إسبانيا و صار يتجول في شوارعها الفسيحة حتى أحس بأن قيود الماضي قد إنفكت عنه خاصة عندما تعرف على سوز حبيبته التي أعادت إليه الحياة . يصف لنا البطل إحساسه الجميل بالحرية قائلا " شعرت أن الرمل تحت قدمي لا يشبه رمل شواطئ الوطن، حتى الهواء كان غريبا إلى حد الجنون، حتى حركات إنخفاض و صعود الرئتين في القفص الصدري تغيرت صارت ذات نسق آخر حي. في السابق كان كل

[1]– المصدر نفسه، ص 27.

[2]– المصدر نفسه، ص 29.

شيء رتيبا، كنت أشم الهواء و أشعر بقيود حديدية تكبلني الآن.....شعرت بالحرية"[1]، فأمام البطل الآن دنيا جديدة جميلة لن يفرقه عنها إلا الموت يقول " كان خوفي من الموت إذ ذاك شديدا، لماذا أموت و أنا مشرف على أروع حياة سوز و الحب و الجنس و الخمر"[2].

إن دخول سوز إلى حياة البطل (محمد) زادته أملا و تشبتا بالحياة، فهي المرأة الحنونة التي ساعدته على تجاوز عقده و مكبوتاته، فقد إستطاعت أن تعيد له الثقة بنفسه و برجولته، فشعر بالحرية المطلقة التي إفتقدها في وقت مضى، يقول البطل "صمتنا بهدوء، أخذنا نتنفس باستراحة.... شعرنا بالأمن في العالم، كان العالم كبيرا لكنه صغير تحت ملكنا، على الأقل تحت ملكي الخاص. يمكنني أن أذهب أينما أشاء و أحل أينما أشاء، فلا أحد و لا شيء يمنعني..... و أعترف لنفسي أنها صارت حرة"[3].

إن هذا الكلام هو خير دليل على أن البطل المغربي عانى من كبت و حرمان كبيرين، و الكبت هنا ليس كبتا جنسيا فقط و لكنه كبت عاطفي بالدرجة الأولى، فالعلاقة التي كانت تجمع البطل (محمد) بأبيه هي علاقة جافة ميتة، مجردة من المشاعر غير مشبعة بالحنان و الدفء العائلي بدليل انه عندما يذكر والده يشبهه

[1]– المصدر نفسه، ص 72.

[2]– المصدر نفسه، ص 83.

[3]– المصدر نفسه، ص 60.

بالحيوان[1]، يقول:"لا أدري كيف حصل ذاك المساء: أن أتى بكمية كبيرة من التين الجاف وضعته أمي امامنا على الحصير و التففنا حوله أنا و إخوتي- بينما أبي يراقبنا من فوق – إذ كان قد شبع من تناوله، و أصبح يتجشأ مثل حيوان غريب...."[2]،فهذا الوالد لم تكن له و لا ذرة عطف و رحمة على أبنائه، فكان عندما ينزعج منهم يطردهم من البيت دون رحمة أو شفقة، يقول البطل "أغلقت أمي فمها و لم تعد إلى البيت إلا بعد أربعة أيام، لأن أبي منعنا من ذلك، و هددنا بالقتل"[3]، فهذا الحرمان هو ما أثر على نفسية البطل و انقلب عليه بالسلب و هو ما أصبح يسمى بعراقيل أو مكبوتات الماضي التي لم يستطيع تجاوزها إلا مع سوز التي مثلت له الحبيبة (الجنس) و العائلة (العاطفة).

فتجربته الجنسية مع سوز مرت بمرحلتين، من " ممارسة الجنس "البهيمي" إلى ممارسة الجنس الإنساني المرتبط بعاطفة المحبة"[4]، و من هنا تصبح سوز في نظره إمرأة خاصة مميزة يقول البطل محمد: " شعرت أن سوز لا كأي إمرأة أخرى، تعرف كيف تساهم في إعطاء العالم الحنان، و العذوبة و التناغم ، و على العكس، فبعض النساء اللائي عرفتهن كن يجعلن العالم يكشر في وجهي فأشعر بخوف و إرهاب

[1]- ينظر لحميد لحمداني، في التنظير و الممارسة، دراسات في الرواية المغربية، دار قرطبة للطباعة و النشر، الدار البيضاء، ط1، 1986م، ص 120.

[2]- محمد زفزاف، المصدر السابق، ص 48.

[3]- المصدر نفسه، ص 48.

[4]- حميد لحمداني، المرجع السابق، ص 119.

أتقلص و أنزوي و أصير مثل السلحفاة التي تدخل أعضاءها تحت غطاءها"[1]، فبفضل سوز إستطاع البطل إذن أن يخرج من ذلك التقوقع و الإنطواء الذي ظل يلازمه سنين طويلة إلى أن وجد الدواء لذلك الداء المستعصي، ألا و هو "سوز" منقذته، فسوز و إسبانيا هي الروح الجديدة التي أنعشت البطل (محمد)، يعترف البطل في الأخير بذلك قائلا "سوز أحبك، و أحب الدانمارك، أنتظر دائما أن تنقديني، أحبك ...."[2].

لا يختلف "البشير" بطل رواية ما لا تذروه الرياح عن "محمد" بطل رواية المرأة و الوردة فكلاهما مولوعان بأروبا، فالبشير شاب مهووس بباريس، متعطش للحرية التي تنعم بها، ساخط على الحياة القاسية التي يعيشها في الجزائر يقول " لماذا خلقت؟ لماذا وجدت في هذا العصر و هذا الوضع؟ هل يمكن أن أكون إنسانا آخر، أعيش في قطر آخر مع أناس آخرين؟ هل أستطيع التدخل في شؤوني، و أغير مجرى حياتي؟...."[3]، و قد بدأت رحلته إلى أروبا عندما أخذه العسكر للخدمة العسكرية، و كانت هذه فرصة لا تعوض بالنسبة له و عليه ان يغتنمها، فهنا سيبذل قصارى جهده لينال إعجابهم و رضاهم حتى يأخذوه معهم إلى فرنسا، و بالعمل و الإجتهاد و طاعة الأوامر حقق ما يصبو إليه و وجد نفسه في أروبا، و هنا أحس أن أبواب السعادة كلها فتحت له يقول " الحمد لله ....إن باريس بجانبي تسري عن بالي الهموم و تفتح أبواب الحياة

[1]– محمد زفزاف، المصدر السابق، ص 61.

[2]– المصدر نفسه، ص 110.

[3]– عرعار محمد العالي، ما لا تذروه الرياح، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1982م، ص 48.

السعيدة أمامي....نعم المدينة أنت يا باريس..."[1]، فباريس البلاد الساحرة هي التي ستمنحه الحرية التي يبحث عنها.

بمجرد وصوله الى فرنسا حتى إتخذ البشير موقفا عدائيا إتجاه وطنه و أهل وطنه، فهو لا يريد أن يسمع أو أن تربطه أي علاقة بهم لا من قريب و لا من بعيد، فهو الآن إنسان جديد، إبن فرنسا و يريد ان يكون مثل أبنائها الفرنسيين سواء في تصرفهم او في طبيعة تفكيرهم و حتى في طريقة معيشتهم[2]، يقول البشير " أنا لست جزائريا، و الجزائر لا تهمني، لقد أصبحت مثلكم فرنسيا، لا علاقة لي بما هو في خارج فرنسا"[3]، حتى إبنه الذي هو من لحمه و دمه لم يعترف به وشك أنه منه، و ما هذا الشك إلا حجة حتى يقطع كل صلته بإبنه يقول: " قرر البشير مع نفسه قرارا حازما، هو أن لا يهتم بالنبأ الذي سمعه فيقصيه عن ذهنه حتى لا يعكر عليه صفو حياته ... فليجعل كل شيء بعيدا عنه، إنه يقطن فرنسا و الولد يقطن الجزائر، فكلاهما بعيد عن الآخر.....فمن يؤكد أن هذا الإبن هو ابنه فعلا.....؟"[4].

لم يكتف البشير عند حد قطع علاقاته مع أهل بيته و وطنه من أجل نسيان الماضي، بل تجاوزها إلى أبعد و أخطر من ذلك و هي أن يغير إسمه العربي "البشير"

---

[1]– المصدر نفسه، ص 66.

[2]– ينظر د. محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983م، ص 289.

[3]– عرعار محمد العالي، المصدر السابق، ص 80.

[4]– المصدر نفسه، ص 77.

الذي يحدد كل هويته، و يتسمى بإسم "جاك"، و ما هذا التصرف إلا دليل على ان البشير أراد أن " يحطم الجسر الأخير الذي كان يربطه بماضيه، و بهذا الإسم الأجنبي الجديد أصبح في إمكانه أن يلج الأوساط الفرنسية، و أن يتصل بفتيات باريس دون ما عقد نفسية"[1]، فإنطلق و إنساق وراء حياة الصخب، حياة الخمر و البحث عن المرأة الغربية، فهو لم يأت إلى باريس إلا بحثا عن الحرية و بحثا عن الفتاة الغربية يقول البشير "سأذهب حيثما أذهب وجوها مشرقة..... أنظر إلى هؤلاء النساء المارات ..... ما أجملهن ..... يود الإنسان لو يمسك بإحداهن و يحتضنها ..... ليعبر لها عن مدى إعجابه بجمالها، و مدى عبادته لحسنها...."[2] ، فانطلق ثملا تائها في شوارع باريس الفسيحة يبحث عنها و ما إن رأى " فرنسواز" حتى ركض لاصطيادها.

يبدو أن النظام الشرقي و النظام المغاربي (العربي عامة) كان نظاما خانقا ، كاتما لأنفاس الكبير و الصغير، فالأمر غير المعقول و غير العادي هو أن تجد طفلا يشتهي إمرأة في سن أمه، و هذا ما لاحظناه في رواية " ما لا تذروه الرياح" مع البطل الجزائري " البشير" الذي عشق مدام فرانسواز و هو طفل . يقول" أخذتني مدام فرنسواز من يدي و أقعدتني بجانبها .... كم هي نظيفة مدام فرانسواز .... و كم كانا ساقاها أبيضان .... حدثتني نفسي مرات أن ألمسها ، لكن الحياء منعني .....

---

[1]– د. محمد مصايف، المرجع السابق ص 291.

[2]– عرعار محمد العالي، المصدر السابق، ص 55.

و عشقت مدام فرانسواز"[1] و نفس الشعور إنتاب "مصطفى سعيد" و هو صاحب الإثني عشر عاما عندما رأى مدام روبنسون، فقد كانت أول إمرأة تشعل فيه لهيب الرجولة يقول:" وصلت القاهرة، فوجدت مستر رونسون و زوجته في إنتظاري.... قدمني إلى زوجته.... و رائحة جسمها رائحة أروبية....شعرت أنا الصبي إبن الإثني عشر عاما بشهوة جنسية لم أعرفها من قبل.... و أحسست كأن القاهرة إمرأة أوروبية"[2].

حتى "ود الريس" الشيخ الكحيان مازال يجري وراء شهواته الجنسية، و يتعطش لاحتضان الأنثى الغربية[3]، و التمتع بجسدها المثير يقول " ود الريس" للراوي، بعد أن يضربه بكوعه "نسوان النصارى شيء فوق التصور"[4]،فما سمعه عن جسدها الشهواني هو الذي زاد في إشعال لهيب رجولته و لهفته عليها.

حديث "ود الريس" بلهفة عن المرأة الغربية و متعة ممارسة الجنس معها ، جعل "بنت مجذوب" تغتاظ لذلك، فأطلقت العنان للسانها ، و بدأت تتباهى و نذكر مزايا بنت البلد الجنسية التي لها قدرة عجيبة على سحر الرجل و جذبه إلى فراشها ، على عكس الفتاة الشقراء التي تقوم بهذه الممارسة على أنها مجرد نشاط عملي روتيني[5] ، تقول بنت مجذوب : " حريم النصارى لا يعرفن لهذا الشيء كما تعرف له بنات البلد ،

---

[1]– المصدر نفسه، ص 56.

[2]– الطيب صالح، موسم الهجرة الى الشمال، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ط، 2004م، ص 47.

[3]– ينظر فوزية الصفار، أزمة الأجيال العربية، المرجع السابق، ص 130.

[4]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 89–90.

[5]– ينظر فوزية الصفار، المرجع السابق ص 131.

نساء غلف الحكاية عندهن كشرب الماء، بنت البلد تعمل الدلكة و الدخان و الريحة، و تلبس الفركة القرمصيص، و حين ترقد على البرش الحمر....يشعر الرجل كأنه أبو زيد الهلالي، الرجل.... إلما عنده همه يصبح له همته"[1]، لكن "ود الريس" يختلف معها في هذه النقطة بالذات، لأنه ملل من بنات جلدته، و عرف مزاياهن و خصائصهن يقول:" دعك من بنات البلد يا بنت مجذوب –النسوان البرانيات هؤلاء هن النساء"[2].

لم يكن "ود الريس" الجريء الوحيد الذي إستطاع أن يتحدث عن موضوع الجنس و يتفنن و يبدع في وصف بعض مشاهده، بل بنت مجذوب كانت أكثر جرأة، خاصة أنها كانت المرأة الوحيدة التي تجالس الرجال، و تتحدث عن الجنس بصفة عامة، و ممارستها مع أزواجها بصفة خاصة بكل صراحة[3]، تقول عن أحد أزواجها: "علي الطلاق يا حاج احمد، كنت حين يرقد زوجي.... صراخا تجعل منه البهائم المربوطة في مراحها في الساقية"[4]، و تواصل حديثها عن أفعالها الجنسية بالتفصيل الممل، و تذكر أحسن أزواجها "ود البشير" و تقول عنه:"....و أظل مشبوحة حتى يؤذن آذان الفجر، و كان حين تأتيه الحالة يشخر كالثور، حين يذبح، و كان حين يقوم من فوقي يقول ها الله الله يا بنت مجذوب"[5].

---

[1]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 90.

[2]– المصدر نفسه، ص 90.

[3]– ينظر فوزية الصفار، المرجع السابق ص 133.

[4]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 87.

[5]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 87.

لم تكتف "بنت مجذوب" بالحديث عن موضوع الجنس و مغامراتها الجنسية مع أزواجها الذين ماتوا كلهم بل تعدت حدود ذلك لتسخر بل و تهين زوج ابنتها[1] قائلة لها و هو يسمع ذلك " يا آمنة هذا الرجل لم يقصر في حقك، فمسكنك حسن، و ملبسك حسن، و قد ملأ يديك و رقبتك ذهب و لكن لا يبدو على وجهه انه يقدر على إشباعك في الفراش، فإذا أردت الشبع الصحيح فأنا أعرف لك زوجا إذا جاءك لا يتركك...."[2] و ما جرأة "بنت مجذوب" و "ود الريس" و لهفتهما على الجنس " إلا تعبير عن لهفة المجتمع الشرقي المحروم، و ما حديثهما في موضوع الجنس بكل طلاقة إلا تفجيرا لهذا الكبت و الإضطهاد التاريخي الذي يعاني منه الشرقي على جميع المستويات، إقتصادية كانت أم سياسية أم إجتماعية أم جنسية"[3].

باريس أو الغرب و مدى تأثيره على الشاب العربي، باريس كانت ملجأ و ملاذا قصده الشاب العربي و ارتمى في أحضانها، و هي إحتوته بصدر رحب فقد مثلت باريس– البيئة البديلة– و المتنفس الوحيد الذي إستنشق من خلاله هواء جديدا، هواء حرا طلقا، يستطيع من خلاله تعويض الحرمان و الكبت الذي عانى منهما في وطنه، فقد منحت باريس " هذا الشاب المأزوم حرية التحرك في العالم الحقيقي، و تفسح له

[1]– ينظر فوزية الصفار، المرجع السابق ص 134.

[2]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 88.

[3]– فوزية الصفار، المرجع السابق ص 134.

مجال إشباع رغبته الغريزية إلى الجنس، و تمنحه الوسيلة التي تطاوعه على كسر الإستبداد العقائدي الموروث...."[1].

ففرصة البطل الشرقي الآن لا تعوض، أمامه الآن فتاة أروبا الشقراء التي ستحل له مشكلة كبته الجنسي و تساعده على تعويض هذا النقص، و من جهة أخرى أمامه الآن مدينة حضارية عظيمة " شوارع فسيحة ليست في بلاده، و لا في الشرق كله، مثلها جمالا و نظافة و إنتظاما و أبنية فخمة مرتفعة كأحدث الأبنية الكبرى التي بدأت منذ حين تنتصب في الشوارع الرئيسية من عاصمة وطنه، ينبغي أن تكون هذه أسطورية العظمة حتى يستحق الطلاب فيها حيا كالحي اللاتيني"[2]،فهي تسلب عقل كل زائر و تبهره و تفتح له آفاقا جديدة كثيرة.

إن " الشباب العربي، في أرض وطنه، يعاني من حالة شلل و عجز في إقامة علاقة تجاوب و انسجام بينه و بين البنية الاجتماعية التي تمارس الإستبداد و قمع الحريات، و باريس هي التي كسرت هذه العلاقة لإنشاء علاقة تتحقق فيها ذاتية هذه الشبيبة العربية لترفع راية الحرية..."[3]، فباريس هي بلاد النور التي لا يستطيع مفارقتها و مغادرتها أي زائر، "فسامي" صديق بطل " الحي اللاتيني" أحس بالحزن و الأسى عندما كان يتهيأ للسفر و العودة، يقول سامي:" لا تذكرني بالغد.... ليتني لم

[1]– بوجمعة الوالي، الصراع الحضاري في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 33.

[2]– سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 9، 10.

[3]– بوجمعة والي، المرجع السابق، ص 35.

أجئ إلى باريس أوليتني لم أذق حلاوتها"[1] ، ونفس الشيء بالنسبة "لكامل" و "زهير" و "أسعد" الذين لم يستطيعوا مقاومة سحر أجواء باريس، فانساقوا وراء حياة الصخب و الحرية، تاركين وراءهم ذكريات الماضي المرير يقول:" كأنما هم ألقوا أثقال الرصانة التي كانت ترهق أكتافهم في بلادهم، و شعروا شعورا عميقا بأنهم مدعوون إلى أن يسوقوا في باريس حياة منطلقة لا يحد من حرتها قيد، فاستجابوا لهذه الدعوة بكل ذرة من ذرات وجودهم، و خلفوا وراءهم أغلال ماضيهم"[2].

إن إنبهار كل من "البشير" بطل رواية" ما تذروه الرياح" و "محسن" بطل رواية "عصفور من الشرق" بعظمة الحضارة الأروبية لم يكن له مثيل، فقد وقفا مشدوهان متعجبان للخيرات التي تمتلكها أروبا، "فالبشير" الساذج لم يهمه من هذه العظمة إلا البنايات و الجيوش و القوة .يقول عندما وصل إلى فرنسا " أتستطيع هذه الأرض التي يفصلها عن الجزائر بحر عظيم أن تكون سيدة على العالم؟ يا لعظمة هذه البلاد .... كم هو جميل أن يكون الإنسان موجودا هنا..."[3]، أما محسن المثقف فلم يهتم إلا بما يثري رصيده المعرفي الثقافي، من مسارح، و دار أوبرا، يقول محسن عندما دخل إلى دار الأوبرا:" أية عظمة و أي ثراء يشعران بالدوار؟.... و أي أنوار؟!... عندئذ أدرك

[1]– سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 44.

[2]– المصدر نفسه، ص 17.

[3]– عرعار محمد العالي المصدر السابق، ص 55.

فورا معنى مجسما لكلمة (الحضارة الغربية) التي بسطت جناحيها على العالم!..."[1] ، و يقول:" و خيل إلى محسن أنه قد دخل بين هؤلاء القوم بالغش و التدليس و أن هذا السلم الشهير يأنف من حمله....، و لعله المكان الوحيد الذي لا شك قد وطأته أقدام جميع الملوك، فليس ببعيد أن يغضب السلم في هذه اللحظة و يزلزل لمحسن صائحا: " لم يبق على آخر الزمان إلا أن يطأني بنعله، مثل هذا الصعلوك القادم من الشرق!..."[2]، فقد أحس محسن أن ملابسه ليست في مقام هذا المكان الراقي.

أحب محسن المسرح الفرنسي كثيرا و عشق كل ماله علاقة بالفن لأن محسن محب للفن، و لعل هذا ما جعله يترك فرع القانون، لينخرط في مجال الفن و الأدب[3]، و لم يجد بلدا أحسن من باريس يقدر قيمة الفن، لذلك قصدها، يقول الحكيم:" ضاقت بي مصر فرحلت إلى فرنسا بعد أن كنت سجلت إسمي في جدول المحامين و مهدت لحياة مجدية"[4]، و يقول أيضا " نحن نعيش اليوم في عصر حضارة عظيمة هي الحضارة الأروبية، فأي جهل منا بفرع من فروع هذه الحضارة معناه التخلف و القعود"[5].

---

[1]– توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، د.ط، د.ت، ص 22.

[2]– المصدر نفسه، ص 23.

[3]– ينظر حسن عليان، العرب و الغرب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 27.

[4]– توفيق الحكيم، مجلة (الرسالة) نقلا عن سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت ط 1، 1998م، ص 351.

[5]– توفيق الحكيم، زهرة العمر، نقلا عن سالم المعوش، المرجع نفسه، ص 63.

من قال أن الشرق و الغرب لا يتفقان فهو مخطئ، فمن يومهم متفقان على أن الشرق ينجب الأبناء و الشباب و الغرب يتبناهم و يرعاهم، لأن كل الوسائل العلمية و التثقيفية موجودة في الغرب، و استطاع أن يوفرها الغرب لأبنائه و غير أبنائه، على عكس الشرق الذي لم يستطيع ذلك، خاصة أن الغرب إستعمل سلاحا آخر فتاكا يغري كل شاب و هو الفتاة الشقراء التي كانت طيفا يحوم حول الرجل أو البطل الشرقي، و لم يهدأ باله حتى قصد بلادها لامتلاكها، و هنا يمكن أن نقول أن البطل الشرقي كان مسلوب العقل، و مادام البطل الشرقي قد عاين الغرب عن قرب واحتك بالمرأة الغربية، فما هو الانطباع الذي أخذه عنها، أو ما هي الصورة التي رسمها في ذهنه عنها .

## المبحث الثاني: صورة المرأة الغربية

يسعى المرء دائما ليحقق ذاته و إستقلاليته و حيثما وجد الزمان و المكان مناسبان لذلك فهو لن يضيع فرصة تحقيق ما يصبو اليه، و قد كان الغرب دائما المكان المناسب للكثير من الشباب العرب الذين ضاقت بهم الدنيا و اختنقوا من نظام مجتمعاتهم، فتنفسوا و وجدوا راحتهم في أروبا، و لعل قرب البطل العربي من المرأة الغربية ساعدنا في أن نرسم و نكون صورة نموذجية عنها و عن طباعها.

### المطلب الأول: المرأة و حرية ممارسة الجنس

إذا قلنا سابقا أن الرجل الشرقي و المغربي قد يقيم علاقات جنسية غير مشروعة في الخفاء، خوفا من قوانين المجتمع العربي المحافظ و عاداته، فإن المرأة الغربية ليس لديها اي مشكلة مع تقاليد مجتمعها، لذلك لا تولي هذه الأمور أي اعتبار و أي أهمية، بل ترى أن هذه العلاقة الجنسية هي حقها الطبيعي، لذلك لا تتحرج من ممارستها علنية أمام أعين الناس، فمجتمعها لا يمانع ذلك و لعل هذا ما أغرى شبابنا العرب للسفر إلى هناك، باحثين عن لذاتهم، متأكدين أنهم سيجدون طلبهم، و قد إتضح لنا ذلك من خلال العينات المدروسة، التي توضح إباحية المرأة الغربية في ممارستها الجنسية علنا .

**1/صورة المرأة الجريئة (حفلة سوربريز بارتي):**

ففي رواية "الحي اللاتيني" يصف لنا البطل أجواء باريس و سلوك فتاة باريس المنحلة أخلاقيا، من خلال أول حفلة يحضرها في بيت صديقه كامل، فما إن وصل البطل و دخل بيت صديقه حتى وجده يعج فتيانا و فتيات، و صوت الموسيقى يدوي في كل أرجاء البيت، فعرفه كامل بهم:" و لكن .... إقترب يا عزيزي و صافح كلا منهم، فنحن هنا أسرة،..... أولا سيمون، جانيت، سوزان، هيلين،..... و زينة، إننا نسميها زينة لأنها تشبه البدويات، ألا ترى ذلك؟ و لعلك تعرف بعد ذلك هذه الأنصاف الخشنة؟ صالح من بيروت، و سعيد من دمشق و أحمد من العراق، و ربيع من تونس ...."[1]، أي أن كل شاب له فتاته و هو ما يسمى عندهم " بسوربريز بارتي" إلا هو فقد كان الدخيل الوحيد بينهم.

ما أثار دهشة البطل و حيرته هو الجرأة التي تمتلكها هؤلاء الفتيات للمجيء إلى ذلك البيت و ملاقاة أحبابهن في غرفة صغيرة أمام أنظار الجميع، يقول:" و لكن كيف أتيح لهم أن يجتمعوا كلهم هنا؟ أية جرأة في إهاب كل من هاتيك الفتيات أن تسعى إلى لقاء حبيبها في غرفة صغيرة أمام الجميع؟ كفاك هذرا! أنت تنسى مرة أخرى

[1]– سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 18.

أنك في باريس؟....."[1]، فبطلنا في آخر لحظة تذكر انه في باريس و كل شيء جائز و مسموح في باريس.

لقد ظل البطل يراقب حركات الفتيات و يمتع نظره بجمالهن، فقد أعجب بجاذبية سيمون، و اثارة زينة، يقول:" هذه التي يدعونها زينة .....إن في نظراتها تحديقا عميقا يبعث على الخوف، و على شفتيها الريانتين شهوة تسيل"[2]، و بالاضافة إلى جمالها فهي جريئة، بل أكثر جرأة منه، فبعد أن تردد هو في دعوتها الى الرقص خوفا من رفضها، سبقته هي بالدعوى تقول له:" ألا يحب الشاعر الرقص؟ فانتفض من مجلسه، ثم إبتسم، و نهض دون ما تريث: بلى، و إن كان لا يحسنه كثيرا و يسعده أن يراقص زينة..... و نهضت تشع على شفتيها الممتلئتين بسمة رائقة...."[3].

لقد كانت بيوت باريس و حفلاتها، مكانا للمواعيد الغرامية، فما أن أنهى الشباب أكلهم حتى أخذهم جو الرقص و الموسيقى، جو الصخب و اللهو، و هو ما يستهوي المرأة الغربية (الرقص و الخمر)، و ما ينعش حيويتها و حميميتها، فذاب الراقصون في بعضهم البعض، وحل الصمت و الرومانسية مكان الكلام " و نقل بصره بين الراقصين، فأحس بأن جوا حميما يغمرهم و يغرقهم..... ولاحظ ان "سيمون" تمنح ربيع شفتيها..... أما "سعيد" فكان يوسد " سوزان" ذراعه و قد استلقيا على ديوان في زاوية

---

[1]– المصدر نفسه، ص 19.

[2]– المصدر نفسه، ص 19.

[3]– المصدر نفسه، ص 20.

القاعة"[1]، فالكل إنشغل ببعضهم البعض، إلا هو بقي ينظر وحيدا من بعيد، و لم يحضى إلا بتمتيع نظره بجمال جسد الفتاة الشقراء الذي لم يستطع مقاومته لأنه ليس معتادا طبعا على جمال هذا الجسد الفاتن المغري، و بذلك فهو لم يفز في هذه السهرة إلا بالنظر و خيبة الأمل.

**2- صورة المرأة المومس :**

**ا-فتاة الرصيف**

هي فتاة ككل فتيات باريس، اللواتي يبعن اللذة مقابل المال، فخيبة الأمل التي مر بها البطل، و إنكسار خاطره هي التي جعلته يضطر لشراء هذا الجسد، مادام هناك فتيات يبعن جسدهن فهو ليس لديه أي مانع، المهم عنده هو أن يعصرها بين يديه و يمتص كل حلاوتها، كان لقاؤه معها في "بيغال" عندما رآها تمشي تبحث عن طالب لذة، فقصدها رغم أنه يعلم أنها فتاة شوارع، و إمرأة عاهر، فاصطحبها معه إلى الفندق لإشباع رغبته الجنسية مع العلم أنه لم ينظر إلى وجهها طوال تلك المدة[2]، تقول له الفتاة " أشهد أنك لطيف جدا، ولكني أعجب لشيء واحد: لماذا لم تنظر إلي"[3].

---

[1]- المصدر نفسه، ص 21، 22.

[2]- ينظر مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 150.

[3]- سهيل ادريس، المصدر السابق، ص 39.

هو الجوع و العطش اللذان دفعا البطل الى طلب هذا الجسد من دون النظر إلى وجه الفتاة " إنها صورة المعاناة و التمزق، و مرارة الإكتشاف الأول! أجل فلقد كانت المرأة و ستظل في حياته دائما، الأداة الرئيسية في محاولته الضخمة، أو في مغامراته الكبرى لإكتشاف ذاته"[1]، فوضع البطل حقا يستحق الشفقة و الرثاء.

**ب/مارغريت**

مارغريت هي فتاة جميلة " ذات عينين تتفجران حيوية .....عينان يحسب أن عينيه لن تقاوما نظرتهما طويلا إذا شاءتا أن تقابلاهما و كان شعرها كستنائي اللون قصيرا، يكسب الوجه مزيدا من نضارة الشباب"[2]،جريئة بحيث كانت أول من بادرت بالحديث و هذا الأمر عهدناه عند المرأة الغربية يقول " و لم تتح له أن يمضي في تأملها إذ مدت ذراعها نحو الطاولة التي كان يجلس إليها، فتناولت جريدة، و قالت في لامبالاة: هل هي جريدة اليوم؟"[3]، و بهذه المبادرة إغتنم البطل الفرصة ليدعوها إلى غرفته، فكانت بالنسبة له صيدا سهل المنال، إستطاع بعد ذلك إستدراجها بسهولة إلى غرفته بحجة شرب القهوة، و تجريدها من ملابسها و الإلقاء بها على سريره[4].

---

[1]– غالي شكري، أزمة الجنس في القصبة العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، د.ط، 1971م، ص 172.

[2]– سهيل ادريس، المصدر السابق، ص 66.

[3]– سهيل ادريس، المصدر السابق، ص 66.

[4]– ينظر جورج طرابشي، شرق و غرب الرجولة و انوثة، دار الطليعة، بيروت، د.ط، د.ت، ص 80.

و بعد الممارسة معه تبدي إنزعاجا و غضبا شديدين، فتخرج غاضبة من غرفته[1]، و هي تردد " إبتعد عني..... كلكم هكذا أنتم الرجال ....أنانية قذرة"[2]، فما سبب إنزعاج مارغريت و خروجها من الغرفة بهذه الطريقة، بعدما كانت مبادرة و مرحبة بهذه العلاقة الجنسية؟.

"يعود غضب مارغريت إلى الخيبة التي أصابتها من سلوك البطل الجنسي، حيث أظهر هذا الأخير أنانية في تعامله معها، كل ما يهمه هو إشباع غرائزه، فهو لا يعتبرها إنسانا لها أحاسيس و رغبات بل هي مجرد شيء يأخذ منه مراده"[3]، و تصرفها و سلوكها هذا أوحى أنها فتاة جد جريئة، و هي طبعا مثلت سلوك المرأة الغربية القوية الشخصية، لأنه لو حدث هذا مع فتاة شرقية لسكتت و تركتها غصة في قلبها[4].

**3/صورة المرأة المتعالية المتسلطة ‹‹ جين مورس››:**

هي إمرأة مومس بكل معنى الكلمة، حقيرة وضيعة، فهي من معدن و صلب أروبا لذلك لا ترى أي عيب في تصرفاتها، ظلت تمنع جسدها عن " مصطفى سعيد" بعد الزواج لمدة طويلة، إلى أن رضيت عليه و وهبته جسدها في حديقة عامة أمام أعين الناس ، و هذا حتى تهين ذلك الشرقي الجوعان الذي ظل يطاردها و يئن من ألم

---

[1]– ينظر مصطفى فاسي، المرجع السابق، ص 151.

[2]– سهيل ادريس، المصدر السابق، ص 69.

[3]– جميلة بوعبد الله، القيم و الايديولوجيا، في رواية الحي اللاتيني، من البنية العميقة الى البنية السطحية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000–2001م، ص 157.

[4]– ينظر المرجع نفسه، ص 157.

بعد جسدها عنه شهور طوال، و هي إمرأة فاحشة متسلطة، غايتها ليس حب مصطفى سعيد، بل إذلال رجولته و كبريائه، و لعل هذا التصرف هو ما جعله يحس بأنه مجرد متسول أخذ صدقة يقول:" و ذات يوم أخذته غرة فعانقته و وهبته نفسها و لكن على مرأى من الناس في إحدى حدائق المدينة، صورة من الشبق المحموم جعلها تتحدى الناس و لا تبالي بالأخلاق العامة؟ فتسمح له بجسدها تأبى عليه نعرتها إلا أن يكون ذلك في شكل مهين له و لها...."[1].

لم تقف جين مورس بأفعالها و سلوكها المشين عند هذا الحد فقط، بل بلغ بها الأمر ان تعاكس الشباب أو الرجال في الطريق و تغريهم بجسدها، و مصطفى سعيد بجانبها، و هذا حتى تهين رجولته. يقول "مصطفى سعيد"‹‹ و تستفز الناس بعد ذلك في الشوارع و المحافل تغريهم بنفسها و زوجها الى جانبها كأنها تريد بذلك أن تخرج زواجها مخرج العهارة، فتتعمد أن تظهر بمظهر المومس"[2].

على كل حال ليست "جين مورس" الفتاة الغربية الوحيدة التي قامت بهذه الأفعال بل أمثالها كثيرات، و هذا راجع الى الحرية الجنسية التي منحتها لها أروبا، حتى أصبحت لا تضع إعتبارا لوالدها او لزوجها، و لا للمكان العام الذي تكون فيه أثناء الممارسة الجنسية (الحافلة او القطار)، فقد إعتدنا أن نرى الزوجة الغربية مع زوجها

[1]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 20.

[2]– المصدر نفسه، ص 20.

ويأتي صديقها و يعانقها و يقبلها أمام زوجها، و الزوج لا يأبه لذلك، و لعل هذا ما أعطى صورة مشينة للحضارة الغربية، و الأمثلة على ذلك كثيرة من بينها ما رآه بطل "الحي اللاتيني" أمام باب الفندق هو و أصدقائه " أنظر هناك شبحان متعانقان يتحركان بين لحظة و لحظة فينفصلان، ثم يلتصقان دون نأمة: ظلان أسودان ينصهران ظلا واحدا ...."[1] .

كما نضيف إلى ذلك ما رآه بطل عصفور من الشرق " محسن" أمام المسرح و أمام كل الناس:" .....و لم يقطع عليه تأمله غير حركة فتى و فتاة من أهل باريس، يتعانقان خلفه، و يقبل أحدهما الآخر علنية، كما إعتاد البارسيون أن يفعلوا غير حافلين بعاذل أو رقيب"[2]، فانزعج محسن و اشمئز من هذا الموقف المحرج الذي ينبغي ان يبقى محفوظا في صدور العاشقين " فازور "محسن" عنهما برأسه، غير راض أن تعرض العواطف هذا العرض، في الشوارع و الطرقات، فتبتذل"[3] و تصرف محسن هذا هو تصرف الرجل الشرقي المحافظ الذي يعرف معنى و قيمة الحب العفيف، و يعرف كيف يقدسه، و يحافظ على شرف زوجته أو خطيبته، على عكس الرجل الغربي الذي لا يبالي لهذه القيم .

[1]– سهيل ادريس، المصدر السابق، ص 14.

[2]– توفيق الحكيم، المصدر السابق، ص 48.

[3]– المصدر نفسه، ص 48.

**4/صورة المرأة المتحررة« سوز»:**

هي فتاة لطيفة حنونة، محبة للحياة، كلها حيوية و أمل، جمعتها الصدفة بالبطل "محمد" في البحر، عندما كان يمشي باحثا عن ما يشبع نزواته، و ما إن رأى "سوز" تنظر اليه حتى تقدم إليها ليدعوها لشرب القهوة، و كانت هذه فرصة لتعارفهما و تقربهما من بعضهما البعض.

لا تختلف "سوز" عن " جين مورس" أو عن أي إمرأة غربية أخرى فهي إبنة أروبا الحرة المتحررة التي لا تتحرج من أفعالها المشينة المخلة للأدب، و هذا الإنطباع هو ما قدمته لنا سوز عندما مارست الجنس مع البطل أمام الملأ دون أن تعير أي إهتمام للمارين من حولها يقول البطل " .... قليلون هم الذين يفعلون مثلنا يتعانقون بقوة بقوة بقوة أمام الملأ ...."[1]، فقد كانت هذه فرصة لا تعوض بالنسبة لهما لذلك لم يأبها لأي أحد.

إن قلة حياء سوز لم تقف عند حد ممارسة الجنس في الطريق بل تعدتها إلى أكثر من ذلك عندما دعت البطل "محمد" ليعيش معها في البيت، و هنا تكون سوز قد تجاوزت كل الخطوط الحمراء، فكيف لإمرأة تعيش لوحدها ان تدعو رجلا غريبا للعيش معها، لكن الحرية المطلقة التي منحتها لها أروبا تسمح لها بذلك، و بالطبع كان عرضها عرضا مغريا بالنسبة للبطل الذي يريد ان يعوض كل ما حرم منه،

[1]– محمد زفزاف، المصدر السابق، ص 36.

فتتطور العلاقة بين "سوز" و "محمد" بسرعة كبيرة، و تكثر لقاءاتهم و علاقاتهم الجنسية يقول "محمد" "وضعت سوز كل جسدها الآن تحت تصرفي ..."[1]، و هنا أحس البطل كأنه إمتلك كل الكون بين يديه و أن كل هموم الماضي خفت و زالت عنه بفضل "سوز".

[1]– المصدر نفسه، ص60.

## المطلب الثاني: المرأة الغربية الإستغلالية الخائنة

### 1/ صورة المرأة المخادعة (فتاة السينما):

ما إن وطأت قدما البطل أرض باريس حتى هب لاهتا، متلهفا يبحث عن فتاة أروبا الشقراء، و يجول شوارع باريس شارعا شارعا إلى أن وصل إلى السينما و فيها كان له أول لقاء مع فتاة جميلة جلست إلى يساره، فإنتقل إهتمامه من الشاشة إلى جسد الفتاة[1] " و استرخى في مقعده سعيدا كالطفل، فرحا بقرب هذه الفتاة التي يشعر بنكهة الفتوة تفيض من أردانها..... كان شعرها مرسلا في وحشية لذيذة.... أما وجهها فلم ير إلا الجانب الأيمن منه: وجه طفل تبرق فيه عين زرقاء، و شفتان تلتمعان بحمرة شفافة..."[2]، فنعومتها أخذت كل عقله و شغلت تفكيره، " لم يكن يعنيه من الفيلم بعد ذلك شيء، فهذه الفتاة تملأ الآن فكره و وجوده"[3].

تجرأ البطل و لمس ساقها و هي لم تمانع " و ها هي الآن يده مستقرة على ساقها، كأنما إعتادت ذلك....."[4]، فعدم ممانعتها للمسها يدل على تحررها من قيود الأسطوانة الشرقية "تقديس الجسد"[5].

---

[1]– ينظر جورج أزوط، سهيل ادريس في قصصه و مواقفه، المرجع السابق، ص 108.

[2]– سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 28.

[3]– المصدر نفسه، ص 29.

[4]– المصدر نفسه، ص 300.

[5]– ينظر أبو جمعة الوالي، الصراع الحضاري في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 55.

بعد هذه الخطوة لم يتردد و دس في يدها ورقة يواعدها فيها للقاء مجددا في يوم الغد، فوافقت على الموعد يقول:" إلتفتت إليه و سمعها تهمس "وي" فأدرك أنها توافق على الموعد"[1]، و بالفعل إنقضت الليلة و بطلنا يعد النجوم ليلتقي فتاته التي لا يعرف لا وجهها و لا إسمها، إلا أنها ترتدي بنطلون، فانتظر البطل، و صبر على الانتظار متأملا أن تأتي فتاته يقول:" لا بأس في ذلك، لن ينفذ صبري، يجب أن أترك لها بعد الموعد هامشا مقداره ربع ساعة، تلك هي لياقة الانتظار، بل هو قانون الإنتظار"[2]، لكن بعد طول إنتظار مل البطل و أحس بالإهانة و السخرية و الخداع لعدم مجيء الفتاة في الموعد المحدد، و هذا الأمر سبب له الما كبيرا لأنه فشل عند أول لقاء بالمرأة الغربية، يقول " و اتجه الى بولفارسان ميشال، و هو يبتسم ابتسامة بلهاء، ما لبث أن تحولت الى كزازة في وجهه و حنق في صدره"[3].

**2/صورة المرأة الماكرة (ليليان):**

هي ثالث إمرأة غربية يلتقي بها بطل "الحي اللاتيني"، و لا يرجع الفضل في هذا اللقاء له، بل لصديقه "سامي" الذي قدمها له:" سأقدمك الى ليليان.... و أنت حاول أن تعجبها فتظفر بها بعد ذهابي"[4]، و بالطبع لم يرفض البطل العرض لأنه مغري،

---

[1]– سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 32.

[2]– المصدر نفسه، ص 35.

[3]– المصدر نفسه، ص 36.

[4]– المصدر نفسه، ص 45.

فليليان فتاة جميلة تشتهى " ممشوقة القامة سوداء العينين، دقيقة تقاسيم الوجه، و كان ثوبها الأسود الأنيق مشقوق الصدر عن عاج شديد البياض، و كان من الواضح أنها تجاورت الثلاثين غير انها تحتفظ بنضارة إبنة العشرين"[1]، فهي بالنسبة له صيد لا يعوض " صيد سمين .....إنني سأخلي لك المكان، و لن أعود إلا في ساعة متأخرة"[2].

إن هذه المرأة "ليليان" بالنسبة لهما مجرد بضاعة، فهي فاكهة حلوة يشتهيها كل من يراها فتؤكل ثم تلفظ كالنواة، لأن جسدها وجد للمتعة فقط[3]، و هذا بالضبط ما قام به البطل مع ليليان الشاعرة عندما أخذها إلى الفندق فأمضى ليلة رومانسية ساحرة معها، و التي كانت تنشده القصائد و كشفت له عن كل أسرارها " لكن أليس هذا طبيعيا؟ أن تكشف له جميع صفحات حياتها مادامت كشفت له جميع صفحات جسدها"[4].

و ككل مرة لا تكتمل سعادة البطل ، فسرعان ما يستيقظ صباحا ليكتشف أن ليلته مع " ليليان" كلفته محفظة نقوده ، و ليكتشف أيضا أنها شاعرة مزيفة كاذبة ، فالقصيدة التي أنشدته اياها لم تكن لها ، بل لشاعر مشهور إسمه جاك بريفر

---

[1]– المصدر نفسه، ص 45، 46.

[2]– المصدر نفسه، ص 51.

[3]– ينظر جورج أزوط، المرجع السابق، ص 108.

[4]– سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 56.

و القصيدة هي بعنوان "كلمات"[1]، فتجربته هذه مع ليليان كانت أكبر صدمة و خيبة يتلقاها البطل، لأن ليليان كانت مجرد عاهر مزيفة، و مخادعة، ماكرة هزئت منه، و من ثقافته، و طعنت كبريائه[2].

**3/صورة المرأة اللاهية الأنانية (سوزي):**

إذا جاءت رواية سهيل إدريس "الحي اللاتيني"، و رواية الطيب صالح "موسم الهجرة الى الشمال" حافلة بشخصيات نسائية غربية متنوعة، و خاض أبطالها معهن عدة مغامرات، فإن رواية توفيق الحكيم "عصفور من الشرق" إقتصرت على إمرأة غربية واحدة و هي "سوزي ديبون"، و هي المرأة الغربية الوحيدة التي كان الرجل الشرقي محسن على علاقة بها[3].

تجسد هذه الرواية قصة حب عفيف طاهر لرجل شرقي، ولهان "محسن" عشق و تيم بعاملة بسيطة في مسرح الأوديون "سوزي"، و هو على الرغم من حبه لها، لا يتجرأ على الكلام معها، بل يكتفي بالنظر إليها من بعيد، و هذا راجع " لحكم تربيته الشرقية، و خلفيته الدينية و الإجتماعية، و وفق ما وقر في نفسه و مخزونه الثقافي، و وفق ما ثقفه من مفهوم رومانسي بين الرجل و المرأة التي لا يجوز تدنيسها بالمادية و العلاقات المفتوحة"[4]، وظل على هذه الحال أياما عديدة، إلى أن أتى اليوم الذي قرر

---

[1]- ينظر جورج طرابيشي، شرق غرب، رجولة و أنوثة، المرجع السابق، ص 79-80.

[2]- ينظر مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 151.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص 198.

[4]- حسن عليان، العرب و الغرب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 91.

فيه الكلام معها، و أول ما قام به هو السير وراءها خفية حتى يعرف مكان إقامتها، و لما علم أنها تقيم في فندق إستأجر غرفة فوق غرفتها، و تمكن من معرفة إسمها من خلال عاملة الفندق، و أول تعامل له معها كان من خلال طلبه منها دفع فاتورة الحساب عنه، فتستغرب هي ذلك، و لكي يكافئها على هذه الخدمة قرر أن يقدم لها هدية بشرط أن تكون هدية مميزة و غير عادية، لأن فتاته هي فتاة مميزة و خاصة، فابتاع لها ببغاء و هي هدية غير مألوفة[1].

من هنا يبدأ الكلام و تكثر اللقاءات بينهما و يتمكن "محسن" من إقتطاف القبلات من فاتنته، لتنتهي اللعبة على صوت صديقه الفرنسي[2]، الذي يقول له " أرأيت أنها فتاة ككل الفتيات، عاملة كألاف العاملات تلك التي أسكنتها قصرا من قصور ألف ليلة و ليلة"[3]. و بهذا الكلام الذي وجهه له صديقه الفرنسي عن حقيقة فتاته أنها عادية جدا "أحس الفتى إحساس من يهوي إلى الأرض، و كأن قيم الأشياء في نظره قد تضاءلت، و كأن الحياة نفسها قد تجردت من غطائها"[4]،فالأسبوعان اللذان قضاهما "محسن" مع فتاته كانا نعيم الجحيم " فنعيم أن يعيش المرء حياة الواقع، و لكن الجحيم

---

[1]– ينظر مصطفى فاسي، المرجع السابق، ص 200.

[2]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 25.

[3]– توفيق الحكيم، المصدر السابق، ص 108.

[4]– المصدر نفسه، ص 109.

ألا يعود يهيم في مملكة الخيال، نعيم أن يعض من التفاحة المحرمة، و لكن جحيم أن يكتشف أنها ككل تفاح ألأرض حلوة و في داخلها الدود"[1].

لقد تعرض محسن لصدمة قوية سببتها له حبيبته خاصة عندماإكتشف أن فاتنته تخونه مع سيد عملها هنري[2]، يقول: "..... فقد فتح الباب، و ظهر شاب فرنسي جميل الطلعة، ما كاد يقع بصره على "سوزي" إلى جانب "محسن" حتى تغير وجهه، و ما كادت تراه الفتاة على هذه الحال حتى تغير وجهها، و إنقلب كل شيء فيها رأسا على عقب، و شعر "محسن" في تلك اللحظة ان مصيبة نزلت به، لا يدري بعد ما هي"[3].

بعدما سقط قناع "سوزي" المزيف عن وجهها و كشف أمرها، لم يستطع محسن أن يتمالك نفسه فاتهمها بالشقراء اللاهية، العابثة المادية الأنانية، و كانت هذه فرصته في ممارسة هوايته المفضلة و هي "معاداة النساء" ، " عن طريق إقامة علاقة مساواة و مماهاة بين سوزي ديبون و المرأة"[4] ، و لم يكتف بهذا فقط بل ساوى بين سوزي و أروبا ( الغرب ) فأروبا مثل سوزي "شقراء، جميلة، رشيقة، لكنها أنانية ، لا يعنيها إلا نفسها و إستعباد غيرها "[5]، و أنهى تلك العلاقة الإستغلالية برسالة يقول فيها "سوزي" : " لست أحب يا سيدتي أن أتهمك " بالأنانية " ، و لكن عتبي عليك لا يعد و أمرا واحدا صغيرا : كان يحسن بك أن تخبريني بمهمتي ، حتى أحترق على علم ، و أفيد

[1]– جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 26.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص 26.

[3]– توفيق الحكيم، المصدر السابق، ص 117، 118.

[4]– جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 27.

[5]– المرجع نفسه، ص 27.

الغير عن رضا، و لكنك شئت أن تسخري بي من تحت "قناعك" حتى تكون لك المتعتان!...."[1]، فسوزي الماكرة إذن عرفت كيف تستغل طيبة و رومانسية صديقنا الشرقي لقضاء مصلحتها .

**4-صورة المرأة اللعوب« فرنسواز»**

هي إمرأة فاتنة ماكرة، في الثلاثين من عمرها، أول لقاء جمعها بالبطل كان لقاء جافا، لم تعره " فرنسواز" إهتمامها بل كل ما فعلته هو توبيخه، تقول " فرنسواز" بعدما شعرت أن "البشير" يلاحقها:" أيها السيد المحترم ..... لماذا تلاحقني منذ زمن طويل؟ ألا تستحي من فعلك الخسيس"[2].

لم يكترث البشير لكلام السيدة، بل بقي واقفا يتأمل السيدة الجميلة التي تقف أمامه، فإغتاظت لسكوته و لامبالاته، و تركته مهددة إياه أنه إن تبعها فستتوجه إلى الشرطة، و ما إن مشت السيدة قليلا حتى سمعته يسقط أرضا، فرأفت لحاله و أخذته معها إلى البيت يقول:" بعد مجهود عظيم بذلته السيدة، بكل بسالة إستطاعت أن تصل إلى الطابق الثاني، حيث سكناها .....ثم أجلست البشير الفاقد الإدراك على أريكة"[3]،فاهتمت به إلى أن إستعاد وعيه و أفاق، فوجد المرأة الجميلة التي بحث عنها تعتني به يقول: إضحكي، إضحكي ، مثلما تريدين ..... لكن لا تخشي ، فلن افر و لن أبتعد عنك .... فأنا أبحث عن إمرأة مثلك .... لآخذها كمؤنسة في أيامي هذه

[1]- توفيق الحكيم، المصدر السابق، ص 129.

[2]- عرعار محمد العالي، ما تذروه الرياح، المصدر السابق، ص 101.

[3]- المصدر نفسه، ص 106.

التي بلغ فيها يأسي درجة لا تتصور"[1]، فلم يضيع كلاهما الفرصة في أن يظفرا ببعضهما البعض، فأمام فرنسواز الآن شاب في مقتبل العمر تحلم به كل فتاة تقول "فرنسواز":" يا للفتى الجميل ..... يجب علي أن لا أتركه يفر من بين يدي سأنسج حوله حبائلي، و أروعه بمفاتني، حتى لا يعود يقدر على نسياني لحظة واحدة"[2].

توطدت العلاقة بين البشير و فرنسواز و أصبحا يتواعدان، مسروران بهذه اللقاءات الرومانسية إلى أن يتفاجأ البشير بخبر إبن فرنسواز، فقد أخفت عنه فرنسواز أن لديها إبن يقارب سبع سنوات، و أنها أرملة لجندي فرنسي، يقول البشير"....حدثت مفاجأة للبشير.... فقد كان في ذلك اليوم يجلس مع فرنسواز منفردين في بيتها .... ، و بينما هما يتحدثان.....إذ بطفل .....يدفع الباب دفعا دون سابق إنذار ، و يلج الغرفة و كأنها غرفته ...."[3]، إندهش البشير لذلك و سأل فرنسواز عن ذلك الطفل فإرتبكت و إحمر وجهها قائلة:" إن هذا الطفل إبني يا جاك .... إنه بيير"[4] ، فإنزعج البشير من تصرفها هذا و لامها على إخفائها عنه ماضيها، فقصتهما لم تتبن على الصدق و الصراحة بل كلها كذب و تلاعب، فهي إمرأة لعوب متمكنة ، يقول البشير عندما رآها لأول مرة " هي مثل المرأة اللعوب، التي ينكشف سرها لكل عين ، و يميل الى نيل ودها كل بغيض ..... لا حياء فيها .... تأخذ القلب من أول نظرة ....

---

[1]- المصدر نفسه، ص 117.

[2]- المصدر نفسه، ص 112.

[3]- المصدر نفسه، ص 123.

[4]- المصدر نفسه، ص 123.

و تسقط من القلب و الفكر عند أول نظرة"[1]، كان هذا هو شعوره من ناحيتها عندما رآها لأول مرة، لكن كان عليه أن يسايرها حتى تلبي رغباته.

مع العلم أن "البشير" كان حريصا على إخفاء سر ماضيه، إلا أن "فرنسواز" اللعوب المخادعة تمكنت من كشفه بكل سهولة و عرفت كيف توقعه في شباكها بكل براعة، فحب فرنسواز للبشير لم يكن حب المرأة للرجل بل حبا للاستطلاع "فهي تعاشره لتستطلع منه أسراره.... و هي ترافقه لتستلهم من كلامه مادتها، .... و هي ترضى بتصرفاته لتكشف سلوكه..... فالبشير بالنسبة لها موضوع للدراسة و الاكتشاف و التجربة"[2]، حتى أن تلك الأحياء العربية التي كانت تزورها مع البشير كان ورائها سر و هدف كبير، و هذا ما لاحظه الإخوة المجاهدين الذين كانوا يراقبون تحركات "البشير" يقول أحدهم:" إن المرأة التي تصاحب البشير تتردد كثيرا على الأحياء العربية، التي يقطن فيها الجزائريون بصفة خاصة.... سواء أكانت بصحبته أو لم تكن، فهي إمراة غريبة، تمضي كثيرا من ساعات يومها تراقب المهاجرين .... و قد تشكك في أمرها كثير من الناس .... أن هذه المرأة يمكن أن تكون جاسوسة...."[3].

---

[1]- المصدر نفسه، ص 109.

[2]- المصدر نفسه، ص 139-140.

[3]- المصدر نفسه، ص 154.

**المطلب الثالث: المرأة الغربية و سحر الشرق**

**1/صورة المرأة الضحية :**

**ا-شيلا غرينود:**

كانت أولى الضحايا التي إبتلعت الطعم هي "شيلا غرينود"، و هي فتاة مكافحة، تعمل خادمة في مطعم بالنهار، و في الليل تواصل دراستها، جميلة المنظر، و حلوة الحديث، و هي فتاة طيبة جدا، و قد عرف مصطفى سعيد كيف يستغل هذه الطيبة، فأغراها بالهدايا و دوخها برائحة الصندل المحروق و الند إلى أن أدخلها إلى فراشه، " دخلته بكرا و خرجت منه تحمل جرثومة المرض في دمها"[1]، فحولها إلى عاهر رخيصة يقول " كانت تلحس وجهي بلسانها و تقول لي لسانك قرمزي بلون الغروب في المناطق الإستوائية.... تقول لي:" ما أروع لونك الأسود لون السحر و الغموض و الأعمال الفاضحة"[2].

إن ولع "شيلا غرينود" بالشرق أعمى عينيها و جعلها عاجزة عن مقاومة كل الخرافات السحرية التي كان يؤلفها و يرويها لها مصطفى ، لأنها كانت " ترى فيه مرتعا للنشوة الشيطانية"[3] ، فرومانسيتها الحالمة و الساذجة جعلتها تظن انه سيأتي اليوم "الذي تمحو بها فوارق الجنس و الطبقات بين الناس حتى يستووا في الأخوة ، فلا

[1]- الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، المصدر السابق، ص 55.

[2]- المصدر نفسه، ص 16.

[3]- بوجمعة الوالي، المرجع السابق، ص 80.

أغنياء و لا فقراء و لا أقوياء و لا مستضعفين و لا بيض و لا ملونين"[1]، لكن هذا الحلم سرعان ما تبخر و تبدد عندما إصطدمت بواقع و حقيقة مصطفى، و تكتشف أكاذيبه و حقده، فتشوهت كل أحلامها و قررت الإنتحار بالغاز، يقول مصطفى:" فما علمت المسكينة إلا مؤخرا بأن الوقت لم يحن بعد لتتغلب الطيبة الإنسانية على الأحقاد الموروثة فشوه عنف التاريخ مثلها و فسق بأحلامها البريئة، فإنتحرت بالغاز ذات يوم كاتمة بلاءها في نفسها إلى الأبد"[2].

**ب/ ( آن همند):**

أما ثاني ضحاياه فقد كانت "آن همند" و هي طالبة في قسم اللغات الشرقية بأكسفورد، جميلة المنظر "كانت حية، وجهها ذكي مرح و عيناها تبرقان بحب الإستطلاع، رأتني فرأت شفقا داكنا كفجر كاذب"[3]، لقد كانت آن همند مفتونة بسحر الشرق " كانت تحن إلى مناخات إستوائية، و شموس قاسية، و آفاق أرجوانية"[4]، و كان مصطفى سعيد رمزا لكل هذا الحنين فقد وجدت فيه أميرها الشرقي الذي كانت تبحث عنه، كانت تقول له " أنا أيضا تقفيت أثرك عبر القرون، و لكنني كنت واثقة أننا سنلتقي، و ها أنتذا يا حبيبي مصطفى، لم تتغير منذ إفترقنا"[5].

---

[1]– الطيب صالح ، المصدر السابق، ص 16.

[2]– المصدر نفسه، ص 17.

[3]– المصدر نفسه، ص 52.

[4]– المصدر نفسه، ص 134.

[5]– المصدر نفسه، ص 135.

إن تأثر آن همند بالشرق جعلها تتقمص و تمثل دور الجارية الطائعة، و مثل هو دور السيد الآمر، يقول:" ركعت و قبلت قدمي و قالت: أنت مصطفى مولاي و سيدي و أنا سوسن جاريتك.... حضرت الحمام ثم غسلتني بالماء الذي صبت فيه ماء الورد .... لبست عباءة و عقالا و تمددت انا على السرير ...."[1]، و بعد هذه الخطوة لم يجد مصطفى صعوبة في أن يجرها مثل أي عبدة وضيعة إلى فراشه و يحولها إلى عاهرة و هي لا تناهز العشرين من عمرها[2].

إن الحب الذي تحمله "آن همند" للشرق ما هو إلا رمز لمدى حب الأروبيين عامة للشرق و إفريقيا بأدغالها و صحاريها الشاسعة، فآن همند لم تحب سيدها و مولاها "مصطفى" لشخصه، بل أحبت قصور "الشرق" التي يسكنها هذا الأمير، و هو بطبيعة الحال إغتنم الفرصة و إنتقم من ذلك الأروبي المستعمر في شخص "آن همند"[3]، و عندما تكتشف هي لعبته القذرة المبنية على الحقد و الإنتقام تنتحر بالغاز تاركة له ورقة تقول له فيها:" مستر سعيد لعنة الله عليك"[4].

**ج-ايزابيلا سيمور :**

إيزابيلا سيمور فريسة أخرى مولوعة بسحر الشرق ، فقد عرفها و هي في الأربعين من عمرها، متزوجة و أم لثلاثة أطفال " .... كانت زوجة لجراح ناجح ، أم

---

[1]- المصدر نفسه، ص 137.

[2]- ينظر المصدر نفسه، ص 52.

[3]- ينظر حفناوي رشيد بعلي، الطيب صالح و الابداع الكتابي، دار اليازوري، عمان، ط1، 2015م، ص 356.

[4]- الطيب صالح، المصدر السابق، ص 53.

لبنتين و إبن، قضت إحدى عشر عاما في حياة زوجية سعيدة...."[1]، إستطاع أن يخدعها بسهولة بأكاذيبه، خاصة و هو يعلم أن عقلها مخدر بسحر الشرق، فزاد هو من جرعة هذا المخدر بأحاديثه الملفقة التي كان يسمعها إياها سألتني و نحن نشرب الشاي عن بلدي رويت لها حكايات ملفقة عن صحاري ذهبية الرمال، و أدغال ....، قلت لها أن شوارع بلادي تعج بالأفيال و الأسود .... أحسست أنني انقلبت في نظرها مخلوق بدائيا عاريا، يمسك بيده رمحا و بالأخرى نشابا، يصيد الفيلة و الأسود في الأدغال"[2].

و ما زاد دهشتها هو ذكره للنيل، مدعيا أن والديه غرقا في مركب كان يعبر النيل يقول:" لمعت عيناها و صاحت في نشوة: نايل؟، نعم النيل، أنتم إذا تسكنون على ضفاف النيل"[3]، و بهذا الكلام المنمق المزيف صار مصطفى في عينيها "غول إفريقي" تقول له:

"إغتلني أيها الغول الإفريقي و أحرقني في نار معبدك، أيها الإله الأسود و دعني أتلوى في طقوس صلواتك الغريبة المهيجة"[4]، و صارت هي فريسة جاهزة و مستوية، يقول " الطائر يا مستر سعيد قد وقع في الشرك .... ما هو إلا يوم .... حتى أضرب

---

[1]- المصدر نفسه، ص 132.

[2]- المصدر نفسه، ص 57، 58.

[3]- المصدر نفسه، ص 58.

[4]- المصدر نفسه، ص 18.

خيمتي و اغرس وتدي في قمة الجبل"[1]، فالوقت صار مناسبا لنفث كل حقده في أحشائها، لينتهي حبها في النهاية بالإنتحار كما إنتحرت مثيلاتها لأنهن حقن بقطرة من سم العنف " و تنتحر إيزابيلا كما إنتحرت شيلا و آن همند من قبل .... لأنها و هي الأروبية المتمدنة قد هاجت فيها البدائية المتوحشة فأفحشت لأنها و هي الزوجة الوفية قد تحركت بركتها فزنت و إن سعدت بذلك كله"[2].

**2/صورة المرأة المولوعة بالشرق و صحرائه (جانين):**

جانين مونترو، فتاة شقراء جميلة، تتمتع بجاذبية أخاذة، وجه أبيض و عينان زرقاوان، كانت تقيم في نفس الفندق الذي يقيم فيه البطل، و هي شخصية هادئة ، مثقفة و واعية تختلف عن الشخصيات النسائية اللواتي عرفهن بطل "الحي اللاتيني" سابقا[3]، جمعتهما علاقة حب كبيرة، و كانت ككل الفتيات الغربيات اللواتي فتنوا بالشرق وجماله، و لعل ما جذبها إليه هو أنه رجل شرقي ، و قد إتضح ذلك عندما تعجبت من معرفتها بأنه شرقي، و تحمست و فرحت لذلك يقول : " و عجبت بعض العجب حين أخبرها أنه من الشرق العربي و قالت موضحة : لقد أنبأتني تقاطيع وجهك أنك لست أروبيا ثم روت له بأنها قرأت بعض ما كتبه أدباء فرنسيون زاروا الشرق " كلامارتين"* و " غوته "*، و "فلوبير"* ، و أضافت أن ما كتبه فلوبير خاصة قد

---

[1]- المصدر نفسه، ص 59.

[2]- المصدر نفسه، ص 18.

[3]-ينظر مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 153.

*- الفونس دولامارتين (1790-1869م) شاعر و سياسي فرنسي، يعد أحد أكبر شعراء المدرسة الرومانسية الفرنسية من اشهر أعماله (تأملات شعرية).

*- غوته (1749-1832)هو أحد أشهر أدباء ألمانيا المتميزين من أشهر أعماله فاوست.

- غوستاف فلوبير (1821- 1880م) روائي فرنسي، رواياته المشهورة سالامبو، تجربة القديس أنطونيوس.

أثار حنينها يوما إلى زيارة الشرق و رؤية الجمل و النخيل و الصحراء"[1]، فجانين هي من الناس الذين تستهويهم حياة الصحراء و الرمال، لذلك فهي تتحرق شوقا لرؤيتها و زيارتها يوما، وهذا ما وضحته و صرحت به في رسالتها:" أنظر الآن و أنا أخط هذه الكلمات إلى هذين الأعرابيين اللذين يدخنان ما تدعونه " النارجيلية" فيستخفني الحنين إلى الشرق و الصحراء و الجمال .... أترى يتاح لي يوما أن أشاهد تلك الرمال"[2].

حب جانين الكبير و الشديد للبطل جعلها تعمل و تجتهد لأن تكون مثل المرأة الشرقية في عشقها للرجل العربي تقول:" سأصارح حبيبي العربي بأني سأحبه كما تحب المرأة الرجل في الشرق، لا تطلب مقابلا، و لا تنتظر عروضا، لا أدري أين قرأت هذا، و لكني أعتقد أنه الحب الصحيح، لأنه التفاني كله و الإخلاص...."[3]، فمحاولتها ورغبتها هذه تثبت و تؤكد مدى حبها له، و لعل حبها هذا هو الذي غدى نفسيته المتألمة و أعاد إليها توازنها، و ساعده على تحمل مرارة و قساوة الغربة، حتى و لو أن جانين مونترو " تفهم الشرف على نحو مغاير لما تفهمه المرأة الشرقية، فالشرف عندها هو (الإخلاص) و ليس المحافظة على بكارتها"[4]، و هنا يمكن أن نقول أن حب جانين و وفائها لحبيبها الشرقي أعطى صورة مغايرة مشرقة مشرفة عن المرأة الغربية فغيرت تلك الرؤية السلبية التي أخذناها عن المرأة الغربية من خلال "سوزي" و "ليليان" الخائنة المستهترة، فالنساء الغربيات ليسوا كلهن وضيعات.

---

[1]– سهيل ادريس، الحي اللاتيني، المصدر السابق، ص 94.

[2]– المصدر نفسه، ص 204.

[3]– المصدر نفسه، ص 164.

[4]– بوجمعة الوالي، المرجع السابق، ص 64.

**المطلب الرابع: نشاط المرأة الغربية (العمل)**

**1/صورة المرأة الغربية العاملة:**

**ا-جانين**

لطالما عرف الغربيون بنشاطهم و جديتهم في العمل، و تفانيهم فيه، و لعل هذا ما ميزهم و جعلهم يتفوقون على الشرقي الذي عرف بكسله و خموله، و لهذا أعجب الكثيرون بطريقة عمل الغربي،ومن بين هؤلاء "محمد فكري"و"أحمد زكي" و غيرهم....، وفي ذلك يقول "أحمد زكي" عنهم:" أنظر إلى أين وصل التفنن بهم (أي الغربيين) في فعل الخيرات و نفع الجنس البشري، فيا حبذا لو قرأ هذه السطور بعض أبناء الأغنياء في بلادنا و تنافسوا في هذه الطريق بدلا من الطرق الأخرى المعروفة لديهم"[1]، فإتقان العمل و التفاني فيه هو الذي جعل الرجل الغربي يحظى دائما بمنزلة رفيعة و يضرب به المثل في إخلاصه للعمل.

إن نشاط المرأة الغربية لا يختلف عن نشاط الرجل الغربي، فالمرأة الغربية إنسانة عملية لا ترضى أن تكون عالة على أحد[2]، لذلك تجدها تشقى و تعمل حتى تكسب لقمة عيشها و لا تحسس أي أحد بنقصها، فجانين بطلة "الحي اللاتيني" مثلا عندما نفذ المال منها قررت أن تبحث عن عمل و تتحمل مسؤولية عيشها من دون أن تشعره بذلك و تفرض نفسها عليه و " حين بات الإغضاء عما هي مقبلة عليه من ضيق لا

[1]- أحمد زكي نقلا عن نازك سابا يارد، الرحالون العرب و حضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، المرجع السابق، ص 228.

[2]- ينظر حسن عليان، العرب و الغرب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 115.

جدوى فيه، عزمت على أن تبحث عن عمل تعينها أجرته على متابعة درسها، و هي لم تشأ أن تستبدل غرفتها فتكشف له عن حقيقة الأمر، و تحمله هما هو في غنى عنه ...."[1].

تصرف جانين هذا هو دليل على عزة نفسها و قوة شخصيتها، فهي لم تطمع في مال البطل، بل اتكلت على نفسها، و اشتغلت بائعة في محل ثياب الأطفال "البرانثان"، تقول له ضاحكة:" أتحسب أني أرضى بأن أقاسمك قرشك إذ كان بوسعي أن أحصل مثله بالعمل؟"[2] فالمهم عند جانين أن هذا المال من تعبها، و على الرغم من أنها كانت تأتي منهكة من العمل ليلا، إلا أنها كانت تجتهد لتعوض ما فاتها من دروس الصحافة، فهي إنسانة طموحة و عملية جدا، و حتى لو كان هذا التعب و العمل على حساب صحتها فهي لا يهمها ذلك، تقول "جانين" للبطل الذي خيرها بين أمرين:" أراك تحاول يا عزيزي أن تخيرني بين أمرين و ذلك حرصا على صحتي دون ريب.... ألا تظن أن استحقاق هذه النعمة يقتضي منا بذل أعظم ما تستطيعه من جهود؟"[3]، و لعل هذا الجهد الزائد المبذول كلفها صحتها يقول:"....إلى أن سقطت جانين بعد أسبوعين صريعة هذا الإرهاق الذي إرتضته...."[4].

---

[1]- سهيل ادريس، المصدر السابق، ص 150.

[2]- المصدر نفسه، ص 151.

[3]- المصدر نفسه، ص 154.

[4]- المصدر نفسه، ص 154.

**ب/ المرأة تريز:**

إن العمل عند المرأة الغربية له معنى و قيمة كبيرة، فهو مكسب للرزق من جهة، و مكسب و حافز و دلالة على قوة شخصية المرأة و تحررها[1] من جهة أخرى، و لذلك فهي دائما تسعى للعمل خاصة إذا كانت ظروفها قاسية، فالخادمة "تريز" مثلا ظروفها الصعبة هي التي فرضت عليها الخروج للعمل، فهي أرملة و أم لأربعة أطفال صغار، ليس لهم من يعيلهم إلا والدتهم "تريز" التي إشتغلت من أجلهم خادمة في الفندق من اجل تلبية حاجات أبنائها الصغار يقول:" و قد رغب إليها يوما أن تحدثه عن أولادها، فراحت تروي له بعض ما تعانيه في تربيتهم بلهجة تنبض بالحب و التفاني، و هزه حديثها ذلك اليوم .... فأعطاها بعض نفقته الشهرية ...."[2]، رأفة لحالها.

على الرغم من أن "تريز" في حاجة إلى المال الذي تقبضه من الفندق، لكنها إنسانة مخلصة و صاحبة واجب و خير، فعندما، إعتاز البطل إلى المال، لم تتردد "تريز" في إعطائه إياه، تقول "تريز" معاتبة إياه :" ....إنك فتى غير لطيف، لم ترددت طويلا في أن تطلب إلي ذلك؟ لابد أنك محتاج إلى المال من ايام كثيرة، إنك فتى لطيف بالإجمال، ألم تعاهدني على ألا تتردد في طلب معونتي....؟.... ألف فرنك"

---

[1]- ينظر حسن عليان، المرجع السابق، ص 115.

[2]- سهيل ادريس، المصدر السابق، ص 99.

صحيح أنني لست صاحبة ملايين، و لكن بوسعي أن استغني عن ألف فرنك، و من حسن الحظ أنني قبضت هذا الصباح بالذات أجرتي الأسبوعية"[1].

**ج/جرمين**

لقد بينت رواية "عصفور من الشرق" معاناة الأسرة الفرنسية من الوضع المزري الذي كانت تعيشه فرنسا آنذاك، فأسرة "أندريه" صديق "محسن" و المتكونة من والديه العجوزين و زوجته "جرمين" و إبنهما الصغير "جانو" تجد صعوبة كبيرة في الحصول على قوتها، "فأندريه" و زوجته استنزف منهما عمل المصنع كل طاقتهما[2]، يصف "محسن" جرمين و هي تدخل البيت منهكة من العمل فيقول:" و ظهرت إمرأة في مقتبل العمر، جذابة الوجه .... و عليهما– هما الإثنان– مظهر التعب و القوى المنهوكة، و مسحت العجوز يديها.... و أقبلت على زوج إبنها تعانقها، و تتأمل وجهها و تقول في حسرة متصنعة: إنك متعبة منهوكة القوى يا جرمين!.... إننا أماه نعمل ثماني ساعات في النهار!.... يا لها من وحشية.... إن هذا لم يسمى عملا، إنما هو الإسترقاق...."[3].

إذن لم تخرج جرمين من بيتها إلا لحاجة ماسة، فأجرة زوجها لا تكفي قوتهم لذلك أرادت أن تساعد زوجها، ما دام الأمر يستدعي ذلك، لكن عمل المصنع اخذ كل وقتها فهي لا تجد وقتا حتى لتربية إبنها "جانو" ، و تقول العجوز: " لم يبق لي جلد على

---

[1]– المصدر نفسه، ص 147.

[2]– ينظر مصطفى فاسي، المرجع السابق، ص 192، 193.

[3]– توفيق الحكيم، المصدر السابق، ص 32، 33.

تهذيب هذا الغلام، و إني أصارحكما القول:" هذا ليس من عملي، إنما هو من عمل الأبوين.... فأجاب "أندريه" في غير إكتراث:- و هل تظنين يا أماه أن هذا من عملنا نحن؟...هذا من عمل المدرسة....، أما نحن فلدينا عمل آخر كما تعلمين!....نعم....المصنع"[1]، و حسب كلام "جرمين" لم تبق هناك أسرة اليوم، لأن العمل شتت كل افرادها، مادام ليس للأم وقت لرعاية طفلها، "صدقتما، لم تعد هناك أسرة ....الرجل و المرأة في المصنع طول النهار!.... يا له من زمن عجيب!..."[2]، فظروف المعيشة القاسية حتمت على المرأة أو الفتاة أن تكون مثل الشاب الذي يكد للحصول على لقمة عيشه .

[1]- المصدر نفسه، ص 37.

[2]- المصدر نفسه، ص 38.

**المطلب الخامس: المرأة المثقفة**

تحتل القراءة أو المطالعة مكانة هامة و أساسية في حياة الغربيين، فهم لا يجدون متعتهم و راحتهم إلا من خلال القراءة التي ترفه عنهم و تثري رصيدهم المعرفي، فهم لا تستهويهم مشاهدة التلفزيون بقدر ما تستهويهم المطالعة، لذلك تجدهم يقرؤون طوال أيام الأسبوع، ماعدا يومي السبت و الأحد فيفضلون السهر خارجا و هذا لكسر الروتين فقط[1].

ليس شرطا أن يكون للإنسان المطالع مستوى تعليمي عال، فالمطالعة لا تتطلب ذلك، فكل إنسان يأخذ الكتاب الذي يناسبه و يناسب مستوى تفكيره، لذلك نجد العامل الغربي البسيط يخصص نصيبا من أجرته الشهرية لشراء الكتاب المناسب و من بعدها تكوين مكتبة صغيرة خاصة في بيته يمضي فيها معظم وقته لأنه يدرك جيدا أهمية القراءة و ضرورتها، فهي وسيلة للمعرفة و الثقافة، فالقراءة هي زاده، " فالكتاب و الخبز من الأشياء الأساسية في حياة الفرد الباريسي ففي أحيان كثيرة تشاهده في الشوارع يحمل كلا منهما، كتاب و رغيف من الخبز "[2].

إن مكان القراءة ليس مهما عند الغربيين ، المهم أن يقرأ سواء في حديقة أو مقهى، و لعل هذا ما أدهش بطل "الحي اللاتيني" عندما خرج يمشي كئيبا لوحده تحت المطر، و فجأة رأى فتاة تمر من أمامه و في يدها كتاب تقرؤه ، غير مكترثة

---

[1]– ينظر سمير سعيد حجازي، ثقافة العرب و ثقافة الغرب في قراءة العصر مؤسسة طيبة للنشر، القاهرة، ط1، 2005م، ص 334.

[2]– المرجع نفسه، ص 334.

و آبهة لسقوط المطر يقول البطل:" و إذ هو في إرتباكه، و المطر لا يخف هطوله، مرت بقربه فتاة تقرأ في كتاب و هي تمشي الهوينا، غير عابئة بالمطر، و شعر فجأة بأن موجة من ضياء تغمر كيانه، فتقشع عن نفسه غيوم الاضطراب و القلق .... هنا في صفحات هذا الكتاب سيجد راحة ضميره ...."[1]، و تواصل هذه الفتاة طريقها و هي تقرأ و البطل يتبعها من بعيد حتى عندما قفزت إلى الأتوبيس ظلت تقرأ غارقة في كتابها، فهذه الفتاة هي رمز و نموذج للمرأة الغربية المثقفة، فنسبة القراءة و المطالعة في أروبا أكثر مما هي في الوطن العربي.

**فرنسواز و جانين:**

فرنسواز هي فتاة فرنسية،جميلة و جذابة، هي حبيبة فؤاد صديق بطل "الحي اللاتيني"، تعمل في إحدى مكتبات باريس، ذات ثقافة عالية و رفيعة، و قد إتضح ذلك عندما خرجوا من المسرح و أخذوا يعقبون على المسرحية التي حضروها، يقول:" لقد أخذت تتحدث عن فن "بيراندالو"* في التأليف المسرحي، و تشير إلى مواقف معينة من مسرحيته فتحللها بعمق، ثم تنوه بالحس النقدي الذي يملكه هذا المؤلف..."[2] فمناقشة فرنسواز هذه، و تحليلها الدقيق لهذه المسرحية دليل على قوة شخصيتها، وسعة ثقافتها مما جعل الكل يعجب بها يقول البطل:" و مضت دقائق، و هم يسيرون ببطء.... قبل

---

[1]– سهيل ادريس، المصدر السابق، ص 43.

* بيراندللو لويجي (1867–1936م)، كاتب و مسرحي و شاعر إيطالي، حصل على جائزة نوبل للآداب عام 1934م.

[2]– سهيل ادريس، المصدر السابق، ص 144.

أن تنخرط جانين و فرنسواز في حديث نسوي، فانتهزها هو فرصة ليحدث صديقه و يثني على هذه الفتاة ثناء عظيما، و قد علق فؤاد على ذلك يقول:" الحق أني شديد الإعجاب بفرنسواز، و لست لأكتمك أنها ترضي معظم نزعات نفسي...."[1].

إذن فرنسواز هي صورة للمرأة المثقفة، و جانين مونترو مثلها تماما فهي تمتلك قدرا كبيرا من الثقافة و المعرفة، فهي إمرأة متعلمة، و قد إكتشف البطل ذلك عندما ذهبا إلى المتحف يقول:" و قد إقترحت عليه جانين يوما أن يزورا بعد ظهر يوم الأحد متحف "رودان" و هنا إكتشف أنها فتاة ذات ثقافة فنية، و أنها تتذوق الأثر تذوقا مرهفا، وكان يدرك هو أنه مقبل في ذلك على أمر شاق، شأنه في هذا شأن كل شرقي تعوزه الثقافة الفنية غالبا"[2]، و في كلام البطل هذا إعتراف صريح و واضح أن الشرقي قليل الثقافة مقارنة بالغربي، و لعل هذا ما جعل ليليان تهزأ من ثقافته عندما انتحلت قصيدة جاك بريفر.

من خلال دراستي لصورة المرأة الغربية لاحظت أن الأدباء رسموا صورتين متناقضتين للمرأة الغربية صورة إيجابية و صورة سلبية سنبينها في الجدول الآتي :

[1]– المصدر نفسه، ص 145.

[2]– المصدر نفسه، ص 110.

جدول ملخص لصورة المرأة الغربية في الرواية العربية :

| المرأة الغربية | الصورة السلبية | الرواية |
|---|---|---|
| –سيمون–جانيت وسوزان وهيلين. | فتيات جريئات.جميلات .مثيرات .يعشقن الرقص و الموسيقى .تعرف عليهن البطل في بيت صديقه عندما قدمن للقاء أحبابهن . | الحي اللاتيني |
| –فتاة الرصيف | –فتاة شوارع .عاهر .همها الوحيد هو كسب المال بأي وسيلة. ساقطة . | |
| –مارغريت | هي فتاة جميلة .حيوية .شعرها كستنائي اللون .جريئة .و قوية الشخصية .<br>–مغرية و سهلة المنال . | |
| –فتاة السينما | –وجه جميل .عينان زرقاوان.<br>–مخادعة و كاذبة فقد اهانت البطل بعدم مجيئها الى الموعد ‹‹سخرية و إهانة›› . | |
| –ليليان | –وجه جميل .سوداء العينين . دقيقة تقاسيم الوجه .<br>–في الثلاثين من عمرها .<br>–إدعت أنها شاعرة ‹‹مزيفة و كاذبة ››.<br>–عاهر . مخادعة .<br>–ماكرة . سارقة ‹‹ سرقت محفظة نقوده›› | |

| | | |
|---|---|---|
| باريس | -مدينة الحرية المطلقة و بيروت هي رمز للقيود و الضوابط.<br>-مدينة حضارية عظيمة . شوارع فسيحة . النظافة و الإنتظام .<br>-أبنية فخمة . | الحي اللاتيني |
| -جين مورس | -إمرأة مومس و وضيعة .<br>-متعالية و متسلطة .<br>-إذلال و إهانة رجولة مصطفى سعيد .<br>-مستفزة . | موسم الهجرة الى الشمال |
| -شيلا غرينود | -جميلة المنظر. فتاة طيبة .<br>-رومانسية حالمة .<br>-حولها مصطفى سعيد إلى عاهر رخيصة . | |
| -آن همند | -طالبة في قسم اللغات الشرقية بأكسفورد .<br>-جميلة المنظر .في العشرين من عمرها .<br>-ذكية .مرحة .<br>-هي الجارية الطائعة للأمير الشرقي مصطفى س .<br>-تحولت إلى عاهر وضيعة . | |
| -إيزابيلا سيمور | -متزوجة و أم لثلاثة أطفال .<br>-في الأربعين من عمرها .<br>-خائنة لزوجها تحولت إلى عاهر في الأخير . | |
| -لندن | -مدينة الثلوج .<br>-مدينة للعلم . | |
| -سوز | -فتاة لطيفة . حنونة .<br>-ممارسة الجنس مع البطل أمام الملأ | |

| | | |
|---|---|---|
| –إسبانيا | –شوارع فسيحة.<br>–رمز للحرية على عكس المغرب فهي رمز للظلم و التخلف . | –المرأة و الوردة |
| –سوزي | –عاملة بسيطة في مسرح الأوديون .<br>–أنانية خائنة . | –عصفور من الشرق . |
| –باريس | مسارح . دار أوبرا .تقدير قيمة الفن . | |
| –فرنسواز | ––إمراةٍ فاتنة .<br>–في الثلاثين من عمرها.<br>–أرملة لجندي فرنسي .<br>–لعوب ماكرة .<br>–كشفت سر البشير و أخفت عنه حقيقة مرضه . | –ما لا تذروه الرياح |
| –فرنسا | –بلد الخيرات<br>–الإنبهار بعظمتها .<br>–حياة ممتعة . | |

| –المرأة الغربية | الصورة الإيجابية | الرواية العربية |
|---|---|---|
| –جانين | –شقراء جميلة . وجه أبيض و عينان زرقاوان .<br>–شخصية هادئة .<br>–مثقفة و واعية .<br>–مفتونة بسحر الشرق و الصحراء | –الحي اللاتيني |

| | | |
|---|---|---|
| | –وفية و محبة للبطل الشرقي.<br>–إنسانة طموحة و عملية .<br>–قوية الشخصية و نزيهة .<br>–لم تطمع في البطل بل إشتغلت بائعة في محل الثياب عندما نفذ منها المال ‹‹عزة النفس›› .<br>–العاشقة المخلصة .و قد غيرت تلك الرؤية السلبية عن المرأة الغربية . | |
| –المرأة تريز | –خادمة في فندق .<br>–أرملة و أم لأربعة أطفال صغار .<br>–متفانية في عملها .<br>–إمرأة مخلصة و صاحبة واجب . | الحي اللاتيني |
| –فرنسواز | –فتاة فرنسية . جميلة و جذابة.<br>–ذات ثقافة عالية و رفيعة. | |
| –جرمين | –زوجة أندريه صديق محسن.<br>–جذابة الوجه .<br>–عاملة في مصنع .فظروف المعيشة حتمت عليها أن تشتغل لتحصل على لقمة عيشها . | –عصفور من الشرق . |

**المطلب السادس: بين المرأة الشرقية و المرأة الغربية**

إن الوضع المزري و القاهر الذي تعاني منه المرأة العربية في الشرق حرك الكثير من الأدباء و المصلحين لدراسته و تحليله، و العمل جاهدين لإيجاد حلول سريعة لهذا الوضع الذي يزداد تأزما، فنادى "قاسم أمين" مثلا بتحرير المرأة العربية، كما عبرت الكاتبة الفلسطينية "سحر خليفة" في كتابها " لم نعد جواري لكم" عن حال المرأة الشرقية بقولها:" لقد كتب على المرأة أن تعيش محنطة في هذه البلاد هذا هو المطلوب من المرأة ان تكون هنا مجرد أنثى محنطة! و عليك يا عزيزتي أن ترضى بهذا"[1]، كما إنتقد "الريحاني" تقاليد الشرق التي تكبل و تظلم المرأة الشرقية بقوله:"و الأخلاق التي تنمو في ظل الاستعباد و تحت نيره، و إن كانت شريفة كالصبر و الطاعة و الصدق و الوفاء، فإن هي إلا أخلاق العبيد، فالمرأة التي تحب كرها، و تكون كرها من الصابرات الطائعات الساكتات تربي نفسها و في نسلها و في أمتها بذور العبيد. و على المرأة الشرقية أن تسعى قبل كل شيء في تحرير نفسها..."[2].

لقد حاول الأدباء مساندة المرأة الشرقية المقهورة المكسورة فضموا أصواتهم إلى صوتها الحزين المكبوت، و دعوا إلى تحريرها لأنها إنسان من لحم و دم ، إنسان مرهف الشعور ، لا قوة على مواجهة هذا الوضع القاسي المفروض عليها ، إلا الصبر و التحمل إلى أن يأتي الفرج أو التمرد على هذه التقاليد التي تلغي شخصيتها

[1]– سحر خليفة، لم نعد جواري لكم نقلا عن فوزية الصفار، المرجع السابق، ص 138.

[2]– الريحاني نقلا عن نازك سابايارد، المرجع السابق، ص 388.

و صوتها، و هذا الوضع و هذا التمرد هو ما قامت به و جسدته المرأة العربية "حسنة بنت محمود" في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح.

"فحسنة بنت محمود" هي رمز و صورة للمرأة القروية المظلومة، تزوجها "مصطفى سعيد" بعد عودته من لندن، و عاملها معاملة حسنة لا تخلو من الطيبة و الإحترام، فغير البعض من سلوكها و طباعها التي توحي بالتخلف، حتى أصبحت مثل نساء المدن، جمعتها "بمصطفى س" علاقة جميلة طيبة فعاشت معه عيشة هنيئة كريمة، لكن هذه العلاقة للأسف الشديد، لم تستمر طويلا، لوفاة " مصطفى س" غرقا، و هنا تبدأ معاناة " حسنة بنت محمود" و تبدأ سلطة الأعراف و التقاليد التي تفرض عليها الزواج مرة أخرى، حتى و إن أبت ذلك[1].

بعدما أصبحت "حسنة " أرملة و وحيدة إغتنم "ود الريس" العجوز التعبان الفرصة و طلبها للزواج، فهي إمرأة جميلة و جذابة، و ممتلئة الجسم و هو لن يضيعها من بين يديه، فقد كان "ود الريس" رجلا بلهموطي، لا يهمه في المرأة سوى "فرجها" الذي يشبع جشعه و نهمه الجنسي، فهو رجل لا يشبع من النساء ، يتزوج المرأة لسنة و عندما يرتوي منها يرميها و يأتي بغيرها[2]، لكن هذه المرة "حسنة بنت محمود" تكسر شوكته و ترفض الزواج به تقول: "إذا أجبروني على الزواج به ، فإنني سأقتله و أقتل نفسي"[3] ، و سرعان ما سمع " ود الريس" هذا الخبر فوقع على رأسه كالصاعقة و جن جنونه

---

[1]– ينظر فاطمة موسى، في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، د.ط، د.ث، ص 250.

[2]– ينظر بوجمعة الوالي، المرجع السابق، ص 116.

[3]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 101.

قائلا:" قال و عيناه الذكيتان لم تعودا ذكيتين، أصبحتا كرتين من الزجاج قد إستقرتا على حالة واحدة جامدة: لن أتزوج غيرها، ستقبلني و أنفها صاغر، هل تظن أنها ملكة أو أميرة؟....تحمد الله أنها وجدت زوجا مثلي"[1].

و بكلام "ود الريس" هذا تثور "حسنة" و تتمرد على السلطة الذكورية و على تلك التقاليد الرجعية[2]، فهي على الرغم من انهم زوجوها رغما و غصبا عنها لكنها لم تترك "ود الريس" يقربها الى أن أتى اليوم المشؤوم و قررت أن تتخلص منه، تروي "بنت مجذوب":

"بعد صلاة العشاء بزمن إستيقظت على صراخ "حسنة بنت محمود" في دار "ود الريس" .... ظننت أن ود الريس" أخيرا نال حقه منها .... الرجل المسكين أشرف على الجنون، أسبوعين مع المرأة لا تكلمه و لا تدعه يقربها.... ثم سمعت "ود الريس" يصرخ بأعلى صوت:.... بنت محمود قتلتني ...."[3].

إن هذا التصرف أو هذا السلوك الذي قامت به " حسنة بنت محمود" هو نقطة تحول كبيرة في تاريخ السودان، فطعنتها لود الريس هي طعنة لكل رجال قرى السودان ، فهي أول إمرأة تجرأت على هذا الفعل[4] يقول: " لا حول و لا قوة إلا الله ، أول مرة

[1]- الطيب صالح، المصدر السابق، ص 101.

[2]- ينظر بوجمعة الوالي، المرجع السابق، ص 116.

[3]- الطيب صالح، المصدر السابق، ص 121.

[4]- ينظر بوجمعة الوالي، المرجع السابق، ص 117.

يحصل شيء مثل ذلك في هذه البلد منذ خلقها الله، محن آخر الزمن"[1]، إذن لم يعالج الطيب صالح في روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" الصراع الخارجي بين الشرق والغرب فقط، بل الصراع الأصعب كان في داخل القرية صراع الأنثى الشرقية (حسنة) التي تمثل جيل الشباب التي ترفض أن تكون " مجرد وعاء للذة الجنسية بقدر ما تريد أن تكون طرفا في المعادلة، فالجنس عندها ليس مجرد لذة عابرة يمارسها الرجل الشرقي حسب مشيئته بقدر ما هي ألفة و تآلف بين إثنين"[2]، مع جيل الشيوخ "ود الريس" الشرقي الذي لا يبحث إلا عن لذته فهو عجوز نهم.

إن "عملية قتل" "مصطفى س" لجين مورس، و قتل " حسنة بنت محمود" "لود الريس" تنتقل بنا من جو الإجرام و القتل إلى جو الجنس و اللذة و فرض الذات ، فهو قتل الإضطهاد الأروبي من جهة و سحق لعقلية رجعية في صميم الشرق نفسه "[3] .

في كتابه " تحت شمس الفكر" يحذر توفيق الحكيم تحذيرا شديدا من خطر تقييد حرية المرأة و حبسها، لأن في ذلك خطرا على المجتمع كله، المرأة هي روح المجتمع و كيانه، و إقصائه من المجتمع هو قتل لشخصيتها و عقلها فـ: " عقل المرأة إذا ذبل

[1]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 120.

[2]– فوزية الصفار، المرجع السابق، ص 135.

[3]– فوزية الصفار، المرجع السابق، ص 135.

ومات ! فقد ذبل عقل الأمة كلها و مات...."[1]، لذلك دعى الحكيم إلى تحريرها و معاملتها معاملة الإنسان للإنسان[2].

و في رواية "الحي اللاتيني" يرسم سهيل إدريس صورة المرأة الشرقية "ناهدة" التي تعشق الرجل بخوف و صمت و رعب من العادات و التقاليد التي تفرض عليها كبت مشاعرها إزاء الرجل، تلك التقاليد "التي جعلت من المرأة الشرقية روحا مذعورة من شبح الرجل، تتوجس منه و تخافه و تحذره"[3]، فصارت فتاة معقدة، و عقدت معها حتى الرجل الشرقي الذي أصبح يظن أنه شخص مخيف للمرأة، لأنها تخاف حتى من الوقوف أمامه[4]، يصف البطل ذلك:" و التقت أعينهما إذ أحس كل منهما بأنه يقاطع الآخر، ثم رآها تتراجع فجأة في عينيها أثر من خوف، كأنما شعرت بأنها قريبة إليه قربا لم تكن تقدره، ولا يدري أي عالم انفتح له ففي هذه الخطوة المتراجعة: لقد رأى الفتاة الشرقية، الفتاة العربية، تتراجع أمام الشباب، أي شاب عربيا كان أم أجنبيا، أمام "الرجل" و عيناها طافحتان بالخوف منه، رواسب من الخوف تجمعت"[5].

إن حال "ناهدة" هذا مثيلاته كثر، فقد تربت المرأة في مجتمع شرقي له قوانينه، و القانون الذي وضع لها خصيصا هو تقديس جسدها[6]، يقول البطل " و قد ظل برهة

---

[1]– توفيق الحكيم، تحت شمس الفكر، دار مصر للطباعة، د.ط، د.ث، ص 162.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص 135.

[3]– حسن عليان، المرجع السابق، ص 122.

[4]– ينظر حسن عليان، المرجع السابق، ص 122.

[5]– سهيل ادريس، المصدر السابق، ص 196.

[6]– ينظر حسن عليان، المرجع السابق، ص 122.

ينظر إلى ناهدة، فلا يراها هي، و إنما يرى آلافا و آلافا من هاتيك العربيات المنتشرات في أرجاء الوطن الكبير، يقيم الحذر بينهن و بين الرجل حواجز صفيقة يستحيل معها كل تعاون مثمر و كل مشاركة مجدية"[1]، و من ثم كبت شهوتها و دفن مشاعرها يقول:" لقد تراجعت ناهدة لا لشعورها بأنها هي كإنسانة قريبة منه هذا القرب.... و إنما لشعورها بأنها هي كذلك كجسد، و لقد تعلمت أن تقدس هذا الجسد، لا تقديس حب و عبادة، و إنما تقديس خوف و حذر، إنه مستودع عواطف و نزوات و مخزن مشاعر و شهوات، حكم عليها بأن تكبتها و تعيش في تآكلها..."[2].

لقد أشفق " سهيل إدريس" على حال المرأة الشرقية المؤلم، خاصة عندما رأى بأم عينه الحرية التي تتمتع بها المرأة الغربية التي لا تعرف أي خوف و ذعر من الرجل أو غيره، فهي تعيش حياتها من دون أي عقد على عكس المرأة الشرقية التي حرمت من أدنى حقوقها،كمواصلة تعليمها الجامعي مثلا، حتى عندما سألها البطل عن التخصص الذي تريده لم تجب هي، بل أجابت أمها بدلا عنها، و هذا يعني أن ليس لها أي كلمة أو رأي، أمها هي التي تحدد مصيرها و مستقبلها يقول: " إذن فقد نجحت" ناهدة" في البكالوريا.....أي فرع تنوين ان تتخصصي فيه .... فقلبت ناهدة شفتها السفلى و لم تجب .... و كانت أمها هي التي أجابت ..... ليس في النية أن

[1]- سهيل ادريس، المصدر السابق، ص 196- 197.

[2]- المصدر نفسه، ص 197.

تتم ناهدة التخصص[1]، فناهدة لا تشبه لا "ليليان" المسترجلة التي تجرأت و سرقت ماله و ضحكت عليه، و لا "جانين" المحبة الصريحة التي صارحت البطل بحبها و عشقها له، مع العلم أن "ناهدة" تحبه كذلك لكنها فضلت أن تكتم كل ذلك في صدرها.

إن وضع "ناهدة"، و وضع المرأة الشرقية لم يعجب البطل لذلك نجده يدعوها للتحرر من خلال عقد مقارنة بينها و بين المرأة الغربية يقول:" صور نساء عرفهن ، لا يخشين أجسادهن لأنهن لا يقدسن كبت نوازعهن، و لأنهن يشعرن بأنهن شيء آخر غير جسدهن"[2]، و هذا الكلام هو خير دليل على دعوى البطل الى انفتاح و تحرر المرأة الشرقية و المجتمع الشرقي من عقده الجنسية ، و السماح للناس بممارسة هذه العلاقة الجنسية خارج الزواج[3].

إن التحرر الذي نادى به سهيل إدريس تحرر مبالغ فيه، لأن المرأة العربية الشرقية لها قيمها و مبادؤها، ليست تلك القيم التي يدعي البعض أنها تكبل المرأة الشرقية، و لكن القيم التي تحفظ لها شرفها و كرامتها، على عكس المرأة الغربية الأروبية التي ليس لها ضوابط تصونها و لذلك نجد محمد مندور ينتقد سهيل إدريس فيقول : " .... لا نرى إلى أي حد كان يريد سهيل إدريس من الفتاة العربية أن تتحرر لكي تنقذ الشاب العربي من إستبداد غريزته الجنسية و طغيانها ، و ذلك ما لم يفصح عنه ، و ما نظنه يريدها أن تنزلق إلى مستوى مارغريت و ليليان بل و لا

---

[1]- المصدر نفسه، ص 194.

[2]- المصدر نفسه، ص 197.

[3]- ينظر جميلة بوعبد الله، المرجع السابق، 192.

مستوى جانين مونترو نفسها، و إلا نكب المجتمع بالاحتلال بنكبة المرأة في عرضها بل في إنسانيتها المعذبة"[1]، و هذا ما لن يرضى به المجتمع الشرقي.

إذا كان البطل الشرقي حقا متحررا إلى هذه الدرجة، فلما نجده يتراجع و ينصدم أمام خبر حمل "جانين" و يتنكر لجنينه منها، و وقف بالضبط أمام مسألة الشرف و غشاء البكارة، و غيرها من الأمور التي توحي بأنها شريفة ومحترمة و احتقر كل قيمها الغربية، وتمسك بقيمه الشرقية التي لن يجد أحسن منها، فهذا دليل على تناقضه، و هنا يمكن أن نقول أن البطل الشرقي في الحي اللاتيني شخص متناقض مع نفسه و أفكاره، فالتقاليد والأعراف الشرقية التي لم تكن تهمه، نجده يقف عندها بالضبط في الأخير، إذن الدعوة إلى التحرر قولا شيء، و الممارسة و التطبيق شيء آخر.

[1]– محمد مندور، قضايا جديدة في أدبنا الحديث، نقلا عن شتوح قنية، تأثير سارتر في أدب سهيل إدريس، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1984– 1985م، ص 97.

# الفصل الثالث

## مشروع الإنتقام

**المبحث الأول: مشروع الإنتقام و أسلحته**

**المطلب الأول الإنتقام بالحب الحي اللاتيني موسم الهجرة إلى الشمال**

**المطلب الثاني: بين عطيل و مصطفى سعيد**

**المطلب الثالث: الحب الخيالي و الإنتقام عند توفيق الحكيم**

**المطلب الرابع: غياب الإنتقام في الرواية المغاربية**

**المبحث الثاني: الحوار بين الشرق و الغرب**

**المطلب الأول: صورة الرجل الشرقي عند الغربيين**

**المطلب الثاني: بين الشرق و الغرب المادية و الروحية**

**المطلب الثالث: فشل الحوار بين الشرق و الغرب فشل الأبطال**

## المبحث الأول: مشروع الإنتقام و أسلحته

إن توظيف المرأة الغربية في الرواية العربية ما هو إلا وسيلة إستخدمها الروائي العربي لرصد الصراع القديم بين الشرق و الغرب، فالعلاقة بين الشرق و الغرب من يوم يومها علاقة دموية متوترة، لم تخلف وراءها إلا الدمار و الهلاك، و لم تترك إلا الحقد و الضغينة في القلوب إلى يومنا هذا، و لعل هذه الضغينة هي التي قوت و حفزت الرجل الشرقي و دفعت به إلى الغرب ليثأر من الرجل الأبيض الذي نهبه و إستولى على أرضه في يوم من الأيام، فصب كل حقده على المرأة الغربية التي تمثل شرفه و عرضه، و لعل هذا ما لاحظناه مع الأبطال العرب، فمع العلم أنهم كانوا مفتونين بجمال المرأة الغربية و بالحرية الغربية، إلا أنهم لم يضيعوا و يفوتوا فرصة الإنتقام و الثأر.

### المطلب الأول: الإنتقام بالحب "الحي اللاتيني، موسم الهجرة إلى الشمال"

إن بطل الحي اللاتيني شاب مسكين أمضى و ضيع كل وقته في مطاردة النساء الغربيات، فلم يأخذ منهن إلا الصفعة المؤلمة، فكل صفعة كانت أقوى خيبة و ألما من الأولى، إلى أن استيقظ و استفاق من آخر صفعة، و تذكر أن له مشروعا يجب عليه أن ينفذه. و يثأر به من الرجل الغربي الذي آذاه سابقا، من خلال المرأة الغربية اللعوب، و من هنا بدأ بطل الحي اللاتيني حسابه و انتقامه من تلك الفتيات الغربيات

اللواتي جعلنه أضحوكة و مهزلة، لكنهن لم يعلمن أن سخريتهن منه لم تزده إلا شراسة و حقدا، فكان رد فعل بطلنا الشرقي عنيفا جدا.

يصف جورج طرابيشي رد فعل البطل بعد خيبته و فشله الجنسي مع النساء فيقول:" و لكن ماذا كان رد بطلنا على ذلك الإحباط؟ لم يكن ردا، بل رد فعل،و بالتحديد رد فعل شرقي، فهو سينقل نفسه أولا من قفص الإتهام إلى منصة الإدعاء، و سيشهر ثانيا سلاح "الشرف" الشرقي ليندد بليليان و مارغريت لأنهما استسلمتا له منذ اللقاء الأول"[1]، فراح يتساءل " أي إحساس أيقظته في جسمه و نفسه هاتان المرأتان اللتان استسلمتا له منذ اللقاء الأول؟ هل أحس لإحداهما بأية عاطفة، هل إهتز في قلبه لهما وتر"[2]، و فتاة السينما فتاة غير محترمة لأنها غربية "لماذا ألأن فتاة أخلفت موعدها ، ينبغي أن أخضع لهذا الشعور اليائس، و هل هن جديرات بالإحترام، كل أولائك الفتيات الفرنسيات اللواتي يسقن هذه الحياة الفارغة العابثة....."[3].

فهؤلاء الفتيات أصبحن في نظره مجرد مومسات قذرات ، لذلك أراد أن يطهر نفسه من هذه القذارة و الوحل الذي تلطخ به ، و لم يجد حلا غير أن يتذكر كلام أمه الذي سيطهره و يشعره بالإرتياح[4] ، فقد كانت دوما تحذره من بنات باريس و شرهن، و

---

[1]– جورج طرابيشي، شرق و غرب، رجولة و أنوثة، المرجع السابق، ص 81.

[2]– سهيل إدريس، الحي اللاتيني، المصدر السابق، ص 71.

[3]– المصدر نفسه، ص 37، 38.

[4]– ينظر جورج أزوط، سهيل إدريس في قصصه و مواقفه، المرجع السابق، ص 98.

بكلامها إستعاد البطل ثقته بنفسه و برجولته و فحولته، " فتنقذه من عمليتي إخصاء تعرض لهما، واحدة جنسية مع "مارغريت"، و ثانية ثقافية مع ليليان"[1].

إن الرسالة التي تلقاها بطل الحي اللاتيني من أمه كانت سلاحه، سلاح الشرق الذي سيخوض حربا مع الغرب، و هنا سيظهر الحقد الدفين الذي يكنه البطل للغرب، فهو لن يشفي غليله إلا الإنتقام من الغرب شر إنتقام من خلال فتاته الشقراء التي سخرت منه و من شرقه،فسينتقم منها على طريقته الشرقية، أي إستهلاك الرجل للمرأة جنسيا ثم يلفظها[2]، يقول البطل " إن قصارى ما ينبغي له أن يفعل هو أن يأخذها بين يديه، فيعصرها و يعصرها و يمتص كل حلاوتها، ثم يلفظها كما تلفظ النواة، و سيرى بعد ذلك، و سيشعر شعورا لا تردد فيه بأنها هي المسكينة التي تستحق الشفقة و العطف"[3]، و هذا الكلام هو خير دليل على أن صاحبنا دخل في مشروع الإنتقام، لكن من ستكون المرأة التي سيصب فيها كل هذا الحقد و الكراهية؟.

أكيد ليست فتاة السينما لأنها كانت مجرد شبح لم يلمح فيه إلا يدها، فلقاؤه بها كان مجرد لقاء عابر، كما أنها ليست فتاة الرصيف فهي مجرد إمرأة ساقطة، ليست لها قيمة إجتماعية و لذلك فهي ليست جديرة بالإنتقام[4] و ليست كذلك "مارغريت" فهي تمقت الرجال لأنانيتهم، و سذاجة عقليتهم التي تصور لهم أن المرأة مجرد بضاعة للذة

---

[1]– المرجع نفسه، ص 98.

[2]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 90.

[3]– سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 38.

[4]– ينظر جورج أزوط، المرجع السابق، ص 145.

تستهلك ثم ترمى كالسيجارة[1]، كما أنها لن تكون "ليليان"، لأن ليليان لاعبة ماهرة، و على يدها ذاق الذل و الإستخفاف و الإستهزاء من رجولته و ثقافته، بالإضافة إلى السرقة أيضا[2].

إنها بالتأكيد "جانين مونترو"، فتاة الألزاس الجميلة، العاشقة المخلصة، التي لم تسلم نفسها للبطل في المرة الأولى، بل كانت متريثة و حريصة في تعاملها معه، و لعل هذا ما شد البطل إليها،فإزداد إعجابا و ولعا بها، فعزم على الفوز بها، مع أنها فريسة صعبة المنال، لكن بفضل التجارب الفاشلة السابقة التي مر بها إكتسب خبرة ساعدته على الفوز بهذه المرأة التي سيحقق من خلالها مشروع إنتقامه[3]، خاصة عندما كشفت له عن سرها مع خطيبها هنري، فعرف البطل كيف يلملم جرحها السابق، و يعيد ثقتها بالرجال حتى تحقق ضربته الهدف المرجو منها و ينجح مشروعه[4].

إن الثقة التي منحتها "جانين مونترو" للبطل لم تكن في محلها، خاصة أنها تعاملت معه بحب و وفاء و سلمته نفسها و سرها بدون مقابل، لكن هو قابلها بالندالة لأن هدفه ليس الحب بل الإنتقام، فبعدما رهنت مصيرها بين يديه خذلها و "تمثلها في تلك اللحظة صخرة كبيرة تتدحرج في منحدر الأرض،لا يقودها غير خط الإنحدار حتى

[1]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 91.

[2]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 91.

[3]– ينظر مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 153.

[4]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 93.

تبلغ قعر الوادي"[1]، وهذا بالضبط ما كان يسعى إليه البطل، فقد حقق هدفه المنشود و هو السقوط و الإنحدار، و به تصبح الفتاة مجرد ساقطة وضيعة[2]، و هاهي "جانين مونترو" تقول بعظمة لسانها " أي فتاة ضائعة سأكون"[3]، و الفتاة الضائعة "fille perdue" تعني بالفرنسية مومس[4]، و بالطبع بطلنا لا يبالي لمصيرها، بل يواصل مشروعه بكل برودة و شغف يقول البطل:" إنتهى الأمر و انفقأت الدملة"[5]، فقد وقعت الفريسة في المصيدة و البطل لن يرأف لحالها و لن يتراجع، فقد خطط و إنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر أسابيع طويلة، " ففي هذا الإنفقاء دلالة على إنقضاء فترة زمنية لتعتمل فيها الدملة و يختمرقيحها، و بديهي إنها ما كانت تعتمل في ذهن جانين و إنما في ذهنه، فهو من كان ينتظر منذأسابيع لحظة إنفقائها، في حين أن "جانين" فوجئت بحديث السفر مفاجأة تامة"[6].

لم تتقبل "جانين" فكرة سفره و بعده عنها، لذلك كانت تعزي نفسها بالرسائل المتتالية التي كانت تبعثها إليه، تعبر فيها به عن حبها و شوقها، و كانت الأمور تسير على ما يرام إلى أن أتته منها رسالة غيرت كل شيء جميل كان بينهما ، و فيها تخبره " جانين" بأنها حامل منه، و تسأله عن ينبغي عليها فعله ، و هنا سيدفع بها إلى

---

[1]– سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 172.

[2]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 94.

[3]– سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 174.

[4]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 94.

[5]– سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 174.

[6]– جورج أزوط، المرجع السابق، ص 147.

الهاوية، و المنحدر التي كانت على وشك أن تسقط فيه، و ذلك من خلال رده الجارح القاسي الذي دل على نذالته و أنانيته و حقده[1]، يقول البطل الشرقي في رسالته: "صديقتي جانين تلقيت رسالتك التي تبلغيني فيها أنك تنتظرين مولودا.... و قد دهشت حقا حين فهمت أنك لم تعلني هذا النبأ السعيد لجميع أصدقائك، و هم ليسوا قليلين، هؤلاء الأصدقاء الذين أعرف أنه كان لك مع بعضهم علاقات غير طاهرة"[2]، لذلك فهو يرفض بكل بساطة الإعتراف بأبوته لهذا الجنين الذي تحمله جانين في أحشائها لأنها لم تكن عذراء يوم عرفها، و هذا أمر لا يرضى به الرجل الشرقي[3].

فالمرأة الغربية تسقط " أمام أسطورة الشرف الجنسي و هالة غشاء البكارة و بصورة أدق تسقط أمام عقلية تكونت بصورة شبه نهائية في مجتمع شرقي أبوي، يضع الشرف الجنسي في رأس قيمه، و يربط هذا الشرف، رباط لا فكاك له بغشاء البكارة لدى المرأة"[4]، كما أن ظروفها الصعبة إضطرتها للعمل في مخزن، و هذا أمر مرفوض في المجتمع الشرقي، بالإضافة إلى أنها مسيحية و هذا لا يوافق دينه[5]، كما أنها أجنبية و ليس هذا فحسب بل فرنسية أيضا، و الفرنسيات وضيعات العالم[6].

---

[1]- ينظر مصطفى فاسي، المرجع السابق، ص 153-154.

[2]- سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 216-217.

[3]- ينظر جورج أزوط، المرجع السابق، ص 110.

[4]- المرجع نفسه، ص 109.

[5]- ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 98.

[6]- ينظر المرجع نفسه، ص 99.

إن كل هذه التساؤلات التي راودت البطل بخصوص "جانين" توحي و تدل على أن نية البطل و هدفه منذ البداية ليس الزواج من فتاة أجنبية، فآخر همه هو ذلك، فالفتاة الأجنبية عنده هي مجرد جسد وجد للمتعة و إرواء الظمأ و إذا ما إرتوى منها يتركها و يمضي في طريقه لأنها مجرد نزوة عابرة،أما الزواج فهو مشروع يستحق التفكير و التأمل فيه مليا، و المرأة الغربية لا ترقى إلى مستوى الزواج (فالزواج شرف) لذلك نجد الرجل الشرقي في الأخير يقف طائعا لتقاليده[1]، و كدليل آخر كذلك حول رأي الرجل الشرقي في الزواج من إمرأة غربية، رأي فؤاد صديق البطل عندما سئل عن إمكانية زواجه من فرنسواز فرد قائلا:" فكرت طويلا و لكنني إنتهيت إلى إلغاء هذه الفكرة، إننا مدعوون في المستقبل يا عزيزي إلى مواجهة كثير من قضايا القومية التي لا تعني أحدا سوانا، و أنا لا أعتقد أن زوجة أجنبية تستطيع أن تعين زوجها في معاناة مثل هذه القضايا، إنني أريد أن تكون زوجتي رفيقة حياتي فقط .... و لئن أنا تزوجت يوما، فلن أتزوج إلا فتاة عربية...."[2].

جانين مونترو فهمت رد البطل و تقبلته و واجهته بكل شجاعة "شكرا سأواجه مصيري بشجاعة– جانين"[3] ، فهي لم تطلب منه غير الحب و " مستعدة لأن تقدم على جميع التضحيات ، و تواجه جميع المخاطر و لكنها كانت تنتظر منه الإشارة

[1]– ينظر جمعة طيبي، صورة المرأة الغربية في الرواية الجزائرية، المرجع السابق، ص 47.

[2]– سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 145.

[3]– المصدر نفسه، ص 223.

فحسب"[1]،لذلك قررت في النهاية الإجهاض و شق طريقها وحدها لتستقر في الأخير في أحد كهوف "سان جرمان" بعدما أصبحت فتاة رصيف، و ظلت متشبثة بموقفها هذا حتى عندما أفاق ضمير البطل و أراد أن يصحح و يكفر عن خطئه، و طلب منها الزواج، رفضت ذلك و تركته قائلة له في رسالة:" لا، لن أذهب معك، إن بوسعي الآن أن أتمثل نفسي إذا رافقتك ....سأعيق طموحك، سأكون أنا في السفح، و تكون أنت في القمة، فإمض قدما يا حبيبي، و لا تلتفت إلى ما وراءك، أما أنا فسأستمد دائما من حبي لك ...."[2].

فهي على الرغم من المعاملة القاسية التي عاملها بها، إلا أنها ظلت وفية لحبه و صادقة بعواطفها معه و مخلصة له، و هذا دليل على حسن نيتها و نزاهتها و كرامتها.

إن الحالة المزرية التي آلت إليها "جانين مونترو" في النهاية دليل على نجاح مشروع الإنتقام الذي يسعى إليه البطل، و هذا النجاح لا يمثله وحده كبطل في الرواية فقط، بل هو رمز لنجاح الشرق الذي يستيقظ، و أضحت جانين مونترو رمزا للغرب الذي يأفل[3]، فكأن البطل هنا رد الإعتبار لذاته و شرقه من خلال إستهلاك فتاة أوروبا الشقراء التي إختارها عمدا لتصوير طبيعة اللقاء بين الحضارتين الشرقية و الغربية، و الصراع الناشب بينهما ، فهو على الرغم من أنه قصد باريس التحرر من قيود تقاليد

[1]– المصدر نفسه، ص 221.

[2]– المصدر نفسه، ص 262.

[3]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 109.

شرقه، لكنه في النهاية يقف أمام هذه التقاليد التي تمنع زواجه من "جانين مونترو" لأنها ليست شريفة و جديرة بالزواج به أمام مجتمعه الشرقي المحافظ[1].

لا يختلف الطيب صالح عن سهيل إدريس في طريقة الإنتقام بالحب أو (الجنس)، لكن الطيب صالح أو البطل الشرقي "مصطفى سعيد" كان أشد قسوة من سهيل إدريس، فمصطفى سعيد أراد أن يكون أسدا شرسا لحظة وصوله الى الغرب، فهمه الوحيد هو الهجوم على الغرب و الإنتقام منه شر إنتقام ، لأنه ضاق ذرعا من سيطرة الإنجليز و تجبره ، ففي اليوم الذي ولد فيه "مصطفى س" بدأت القوات الإنجليزية بقيادة كتشنر غزوها للسودان[2] ، فإنقلبت الأوضاع رأسا على عقب ، و صار الكل يرضخ لسيطرة و رحمة اللورد كتشنر:" حين جيء لكتشنربمحمود ود أحمد و هو يرسف في الأغلال بعد أن هزمه في موقعه أبترا ، قال له: لماذا جئت بلدي تخرب و تنهب؟ الدخيل الأجنبي هو الذي قال ذلك لمالك الأرض، و صاحب الأرض طأطأ رأسه و لم يقل شيئا"[3] ، و من هنا بالذات أقسم مصطفى سعيد على الإنتقام " إلى أن يرث المستضعفون الأرض و تسرح الجيوش ، و يرعى الحمل آمنا بجوار الذئب ،

---

[1]– ينظر د. إبراهيم السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام 1870، 1967م، دار المناهل، بيروت، ط 2، 1987م، ص 446.

[2]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 144.

[3]– الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، المصدر السابق، ص100.

و يلعب الصبي كرة الماء مع التمساح في النهر إلى أن يأتي زمان السعادة و الحب هذا، سأظل أنا أعبر عن نفسي بهذه الطريقة الملتوية"[1].

لقد كان سلاح " مصطفى س" في البداية هو العلم لأنه أدرك "أن الخلاص من الإستعمار لا يكون بتمثل الحضارة التي منحت الرجل الأبيض تفوقه"[2]، فقد كان في قمة الذكاء و الدهاء، و ذكاؤه هذا هو الذي أوصله إلى القاهرة الواحة الثانية بعد السودان، ليواصل تعليمه الثانوي، و فيها إلتقى بأول إمرأة أجنبية و هي "مسيز روبنسون"[3].

و من القاهرة إلى المحطة الثالثة و الأخيرة لندن، و هنا سيبدأ بتنفيذ مشروعه الإنتقامي فيهتف بقوة، "إنني جئتكم غازيا، في نسائكم"[4]، مستعملا في ذلك سلاحين، السلاح الأول فحولته "الجنس"، فهو يرى أن الجنس هو " رمز للذكورة و القوة في الشرق"[5]،و ما عليه إلا أن يوظف هذه القوة الآن في تصفية حسابه مع الغرب عن طريق الجنس، أو عن طريق فتاته الإنجليزية التي تتحول هي و جسدها إلى فريسة[6] ، تتمنى الخلاص و النفاذ من بين يدي الغازي المنتقم ، و هاهو يقول: " أنا الراكب الحقيقي و أنا كنت المركوب : أي أنني مستعمر لكم على طريقتي التي هي جنسية

---

[1]- المصدر نفسه، ص 60.

[2]- جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 149.

[3]- ينظر جورج طرابيشي، المرجع نفسه، ص 150.

[4]- المرجع نفسه، ص 153.

[5]- حفناوي رشيد بعلي، الطيب صالح و الإبداع الكتابي، دار اليازوري، عمان، ط 1، 2015م، ص 62.

[6]- ينظر المرجع نفسه، ص 61.

مثلما أنتم مستعمرون لي على طريقتكم التي هي سياسية"[1]، فهمه الوحيد هو إدخال المرأة إلى فراشه و غرس وتده، فهذا هو قمة الإنتصار عنده "كلما تسلق جبلا غرس في قمته وتده و ركز رايته"[2].

إعتقد "مصطفى س" إذن أن المرأة الغربية هي وسيلته في الإنتقام و النيل من الغرب، لذلك حضر صنارته الفتاكة لصيد الفتاة الشقراء و القضاء عليها، فتحول فراشه الى ساحة معركة عنيفة و هو ما يطلق عليها إسم "الحرب الحضارية" بين الشرق الذي يمثل الرجولة، و الغرب الذي يمثل الأنوثة المجروحة، أي " تحول فعل الحب إلى فعل إنتقام، و بدلا من أن يكون الليبيدو طاقة للحب كما عند فرويد، أو طاقة للحياة كما عند يونغ، تكشف عن أنه طاقة للكره و الموت و التدمير: فهو مبعوث تاناتوس (Thanatos)* و ليس رسول إيروس (EROS)*"[3].

لم يكن " مصطفى سعيد" فائق الذكاء في دراسته فقط، بل كان ذكيا في طريقة تعامله مع النساء، فسلاحه الثاني في الإنتقام هو "توظيف سحر الشرق" كطعم لصيد نساء لندن، "فقد إقتنع مصطفى بأن سحر الشرق هو الذي أغوى المستعمر باغتصابه،

---

[1] – المرجع نفسه، ص 104–105.

[2] –جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 154.

*–**تاناتوس:** في الأساطير اليونانية هو إبن إلهة الليل نيكس، كان عبارة عن إله يمثل بروح لها أجنحة يجسد الموت.

*–**إيروس:** في الميتولوجيا اليونانية هو إله الحب و الرغبة و الجنس و عند أفلاطون هو قوة عظمى تحرك النفس إلى الخير.

[3]– نجيب بوطالب، صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2008م، ص 799.

فوظف هذا السلاح "سحر الشرق" ليغوي به النساء الأوروبيات"[1]، لذلك أقام غرفة شرقية في لندن أثثها و بناها من:" الصندل و الند، و ريش النعام و تماثيل العاج.... و الرسوم لغابات النخيل على شطآن النيل.... و شموس تغرب على جبال البحر الأحمر، و قوافل الجمال ....على كثبان الرمال.... و فتيات عاريات...."[2]، ثم يتحول هو بعد ذلك الى أمير شرقي يرتدي عباءة و عقالا، فخور بذكورته[3]، و بغرفته الشرقية المزيفة التي هي وكر لأكاذيبه، و مصيدة لأعدائه، كما أنها حلبة للصراع بين الشرق (الغازي المنتقم)، و الغرب (الضحية الضعيفة)، و تأثيثها تأثيثا شرقيا كان عمدا، حتى يحس " مصطفى سعيد" بسيطرة الشرق على الغرب في هذه الغرفة.

لقد كانت الغرفة الشرقية سجنا للغربيات اللواتي سقطن ضحية على أيدي الجلاد الشرقي، يقول "مصطفى س" عن هذه الغرفة:"كانت مقبرة تطل على حديقة، ستائرها وردية، منتقاة بعناية، بها سجاد سندسي دافئ و السرير رحب، مخداته من ريش النعام و أضواء كهربائية صغيرة حمراء، زرقاء، بنفسجية، موضوعة في زاوية معينة، و على الجدران مرايا كثيرة،.... و عقاقير كيمياوية و دهون ... و حبوب ، غرفة نومي تمثل غرفة العمليات في مستشفى"[4]، فكل هذا الديكور الشرقي المزيف ما هو إلا خدعة لجلب الفتاة الشقراء إليه، ثم قهرها و الأخذ بالثأر منها ، يقول " مصطفى س":" و في

---

[1]– مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2011م، ص129.

[2]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 137.

[3]– ينظر حفناوي رشيد بعلي، المرجع السابق، ص 79.

[4]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 52– 53 .

لندن أدخلتها بيتي، وكر الأكاذيب الفادحة، التي بنيتها عن عمد أكذوبة أكذوبة"[1]، و بهذا الكلام يقدم لنا "مصطفى س" إعترافا صريحا بأن هذه الغرفة هي مصيدة للفتيات الغربيات، وفيها سقطت "شيلا غرينود"، "آن همند"، و "إزابيلا سيمور"، لأن أحشائهن تسممت بحقده الدفين للغرب، فلم يحتملن هذا العنف فقررن الإنتحار، إلا المرأة الأخيرة فكانت القوية بينهن و عرفت كيف تواجهه.

لم تكن "جين مورس" ضحية مثل الضحايا السابقات، فقد إنعكست و إنقلبت الأدوار معها، فبعدما كان مصطفى صيادا ماهرا لا تستعصي عليه أي فريسة، إنقلب إلى فريسة سهلة راضخة لأوامر " جين مورس" التي أوقعته في شباكها[2]، فجين مورس "إمرأة من معدن آخر .... جريئة .... وقحة تمرست بالواقع الأوروبي حتى تشربت بضراوته، فهي روحه العنيفة الشاردة التي لا تعرف رومانسية في العواطف و لا الخيالات"[3]، فهم لم يستطع أن يغريها و يدوخها برائحة الصندل، و يخدرها بسحر الشرق، بل هي التي دوخته و ألهثته بمقاومتها له، و إمتناعها عنه، لذلك ظل يطاردها ثلاثة أعوام "لبثت أطاردها ثلاثة اعوام، قوافلي ظمأى .... و ذات يوم قالت لي: أنت

---

[1]- المصدر نفسه، ص 137 .

[2]- ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 162.

[3]- الطيب صالح، المصدر السابق، ص19.

ثور متوحش لا يفتر من الطراد ....تزوجني"[1]، تزوجها و كان أول رجل عربي يتزوج من انجليزية[2]، بعدما جرعته من مهاناتها القاسية.

لم تتغير معاملتها المهينة له بعد الزواج، فقد كانت تمتنع عنه أيضا، و عندما أرادت أن تسلم نفسها له كان لها مقابل و ثمن يقول: ظلت واقفة أمامي كشيطان رجيم .... خلعت ثيابها و وقفت أمامي عارية، نيران الجحيم كلها تأججت في صدري، كان لابد من إطفاء النار .... تقدمت إليها مرتعش الأوصال، فأشارت إلى زهرية ثمينة .... قالت: تعطيني هذه و تأخذني .... أخذت الزهرية .... و أخذت تدوس الشظايا.... أشارت إلى مخطوط عربي نادر .... قالت تعطيني هذا أخذت المخطوط و مزقته، مشيت إليها و وضعت ذراعي حول خصرها.... فجأة أحسست بركلة عنيفة بركبتها بين فخذي...."[3].

إن الثمن الذي تريده "جين مورس" مقابلا لها هو ثمن القيم الحضارية الشرقية " الزهرية الثمينة، المخطوط العربي النادر..." التي داست و أرادت أن تحطمها، فجين مورس هي رمز لأروبا الطاغية التي تأخذ كل شيء و لا تعطي أي شيء إلا "الركلة بالقدم"، فالحضارة الغربية "لا تسلم نفسها لطالبها الآتي من الشرق إلا إذا خلعته من تاريخه و قطعته عن ماضيه، و جردته من تراثه"[4]، و هذا ما لاحظناه مع مصطفى

---

[1]- المصدر نفسه، ص 146.

[2]- ينظر المصدر نفسه، ص 70.

[3]- المصدر نفسه، ص 145.

[4]- جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 164.

سعيد الذي مثل الشرقي المتخلي عن قيمه مقابل الحصول على اللذة و الشهوة، و كانت نتيجة هذا التنازل هو ضياع التراث و القيم و الفوز بالركلة فقط[1]، و لعل هذا ما دفع بمصطفى سعيد في الأخير إلى قتلها، خاصة أنها كانت مجرد مومس خائنة "وضعت الخنجر بين نهديها .... و ضغطت الخنجر بصدري حتى غاب كله في صدرها..."[2].

إن المتتبع لأحداث هذه الرواية " موسم الهجرة إلى الشمال" يقف بالضبط عند هذه الفقرة التي توحي بأن مصطفى سعيد و جين مورس سيد خلان في علاقة حميمية جنسية. و أن الصراع بينهما سينتهي، يقول:" ..... وجدتها مستلقية على السرير،... إبتسامتها مفعمة و على وجهها شيء مثل الحزن، في حالة تأهب عظيم للأخذ و العطاء، حن قلبي إليها أول ما رأيتها، و أحسست بالدفء الشيطاني..."[3]، لكن سرعان ما يتفاجأ القارئ بالنهاية المأساوية (القتل) التي تدل على أن كلا منهما يعاني من أزمة و عقد نفسية:" فهو مصاب "بالسادية" يعذبها و يستلذ عذابها، في حين أن جين مورس هي الأخرى مصابة " بالمازوشية " تستلذ بتعذيب نفسها، تحبه في أعماقها و تمتنع أن تستسلم له . وعيها يدفعها إلى الإقبال عليه وتتجاوب معه و لا وعيها يذكرها بأنه إفريقي أسود لا يمكن أن يرضي غرورها فتشعر نحوه بالإحتقار و تتحداه فترفض

[1]- ينظر حفناوي رشيد بعلي، المرجع السابق، ص 358.

[2]- الطيب صالح، المصدر السابق،ص 150، 152.

[3]- المصدر نفسه، ص 149.

الدخول معه في علاقة جنسية إنسانية"[1]، فمصطفى يريد أن يضرب عصفورين بحجر واحد، الأول هو أنه يريد مضاجعة جين مورس، و الثاني هو أنه يريد قتلها، فهو في صراع مع نفسه بين إرتكابه الجريمة (القتل) أو إمتلاك جين مورس[2].

يحلل "يوسف اليوسف" هذه الثنائية (القتل و الإمتلاك) فيقول:" إن ثنائية الميول بادية للعيان في برهة القتال، فهو يريد أن يقتلها و يضاجعها في آن معا– بل هو يدعم القتل بالجماع لأنه لا يستطيع في الحقيقة أن يتصرف تجاهها إلا تصرفا جنسيا – و حتى القتل نفسه يغدو عملية جنسية من حيث كونه يروي سادية – و لقد أفلح الكاتب حين عمد إلى الخنجر كوسيلة للقتل و لم يعمد إلى المسدس... أهذا إقتراف جريمة أم إقتراف عشق؟ إن الخنجر لا يخدم وظيفة أداة الإجرام فحسب بل وظيفة إطفاء الغلمة أيضا – إنه خنجر و عضو ذكورة في آن معا ...."[3].

و بقتلها تخلص مصطفى سعيد من داء العنف لأنه أخذ بثأره القديم في عقر دار المستعمر[4]، و يقول في ذلك "شيرلي ماكاروم"shirlyMaakaroum عن مصطفى سعيد:" كان يعتبر سيطرته على النساء بمثابة نوع من السيطرة على أوروبا نفسها،و ما

[1]– فوزية الصفار، أزمة الأجيال العربية، دراسة في موسم الهجرة إلى الشمال، المرجع السابق، ص 128.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص 128.

[3]– يوسف اليوسف، مجلة المعرفة، مجلة ثقافية شهرية سورية، العدد 150، نقلا عن فوزية الصفار، المرجع نفسه، ص 128.

[4]– ينظر حفناوي رشيد بعلي، المرجع السابق، ص 75.

يعبر عن جانبه المظلم هو عدم إحساسه بالندم تجاه إنتحارهن...."[1]، فالمهم عند مصطفى سعيد هو الثأر و الإنتقام من الحضارة الغربية، و ما جين مورس و صديقاتها إلا وجه لأروبا الطاغية البشعة التي لا تكن إلا الكراهية للشرق العربي، و لا تنوي له إلا الدمار و الهلاك، فمصطفى مازال يتألم من جرح الماضي لوحده،و لم يتقاسمه معه أحد، لذلك فهو لن يكترث و لن يتألم لألم هذه الفتاة الشقراء[2].

لقد تهيأ "لمصطفى س" أنه أمسك بزمام الأمور عندما "حول العلاقات التاريخية من علاقات سياسية ظاهرة إلى علاقات فحولة قاهرة و أنوثة مقهورة"[3]، ليكتشف في النهاية أنه مثل دور الممتلك، لكنه لم يمتلك أي إمرأة غربية، فإيزابيلا سيمور التي ظن أنه إمتلكها و كان سببا في إنتحارها يبرئه زوجها في المحكمة، لأن سبب إنتحارها هو إكتئابها من مرض السرطان، أما والد "آن همند" فيخبرهم أن إبنته تعاني من مشاكل نفسية و هوسها هو الذي أدى بها إلى الإنتحار[4]، و ليس " مصطفى سعيد" الذي ظن أنه كان سببا في هلاكهن، فهو لم يكن غازيا بل مثل الدور فقط، و لم يكن حقيقة بل مجرد أكذوبة و وهم[5]، كان مآلها السجن لمدة سبع سنوات.

---

[1]– شيرلي ماكاروم journey of lights and darkness نقلا عن مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، المرجع السابق، ص 133.

[2]– ينظر حسن عليان، العرب و الغرب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 240.

[3]– مديحة عتيق، المرجع السابق، ص 135.

[4]– ينظر المرجع نفسه، ص 130.

[5]– ينظر جورج طرابيشي، شرق و غرب رجولة و أنوثة، المرجع السابق، ص 170.

إذن كل ما خطط له "مصطفى س" و هدف إلى تحقيقه باء بالفشل، فهو لم ينل في الأخير إلا السجن، مستسلما و راضيا بعقوبة و حكم الغرب له، أي أنه وقع أسيرا في يد الغرب مرة ثانية، فهو لم يتحرر من قيود الإستعمار، بل ذهب إليهم هذه المرة برجليه ليسجن و يقهر مرة ثانية و هو منهار مهزوم من طرف الرجل الأبيض الذي جرعه الذل و الهوان في بلده السودان، و تجرع منه مرة أخرى في لندن، لأن قوته و سلاحه غير كافيان لمواجهة الغرب الجائر، و مع العلم أن حياته كانت ممتلئة بالنساء الغربيات إلا أنها بلا طعم، فهي مجرد روتين وهمي ممل ظن صاحبنا الشرقي "مصطفى سعيد" أنه يحقق من خلالها مشروعه في الإنتقام لكنه أخطأ، ليعود في النهاية إلى بلده السودان مهزوما، حاملا حزنه و قهره معه في قلبه[1].

و يبدأ حياته في السودان من الصفر لأنه كان مجرد أكذوبة و وهم، و يبقى مجرد وهم ضائع، يبحث عن ذاته و يظهر ذلك من خلال الغرفة الإنجليزية التي أعدها في السودان و التي كانت مخالفة و مغايرة للغرف الأخرى و لعلها "العلامة الفارقة الأولى و الوحيدة التي يلاحظها الراوي في محاولته معرفة حقيقة أمر مصطفى سعيد"[2] ، و حتى أثاثها كان مختلفا " تصوروا ، مدفأة إنجليزية بكامل هيئتها و عدتها ، فوقها مظلة من النحاس و أمامها مربع مبلط بالرخام الأخضر و رف المدفأة من رخام أزرق ، و على جانبي المدفأة كرسيان فكتوريان مكسوان بقماش من الحرير

[1]– ينظر السعيد الورقي، إتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الأزارطية، د.ط، 1998م، ص 293.
[2]– سامي سويدان، أبحاث في النص الروائي العربي، دار الآداب، بيروت، ط1، 2000م، ص 153.

المشجر..."[1]، فهو أثاث لندني و ربما أعدها مصطفى هكذا على الطريقة الإنجليزية ليتذكر لندن.

لقد أصبح مصطفى مسلوب الذات، و خير دليل على هذا " هو إنهزام الغرفة الشرقية في مقابل إنتصار الغرفة الإنجليزية أو الغربية، ففي الوقت الذي كان فيه مصطفى سعيد يسعى لغزو لندن عن طريق نقل الحضارة الشرقية من خلال هذه الغرفة إلى قلب لندن، إذا به يفعل العكس فيغزو هذه القرية السودانية النائية، بإنشاء غرفة إنجليزية في قلبها"[2]، و لعل هذا التصرف يوحي بأن مصطفى س مهووس بحب لندن، و هو لم يدرك ذلك إلا عندما غادرها، فعقله و قلبه مازالا متعلقان بها، لذلك أنشأ هذه الغرفة الإنجليزية حتى لا يشعر بأنه إبتعد عن لندن و فارقها.

[1]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 130.

[2]– مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية المرجع السابق، ص 96.

**المطلب الثاني: بين عطيل و مصطفى سعيد**

لقد أعجب أدباؤنا العرب كثيرا بمسرحية شكسبير (عطيل) و تأثروا بها تأثرا كبيرا، و قد إتضح هذا التأثر من خلال نسجهم لروايات على منوال مسرحية عطيل، و من بين هذه الروايات التي إستحضرت هذه المسرحية رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للكاتب السوداني الطيب صالح و الذي رمى من خلالها إلى تصوير الصراع العنيف بين الحضارتين الشرقية و الغربية من خلال البطل الإفريقي الذي سعى جاهدا لإثبات ذاته المهملة التي داست عليها الحضارة الأروبية، و قد إعترف و صرح الطيب صالح بذلك قائلا:« أنا لا أزعم أنني كتبت الرواية فقط لهذا الغرض، و لكن من ناحية الشكل كانت مثل أن يعارض شوقي إبن زيدون أو يعارض البوصيري أو البحتري، فأنا قلت: أكتب على نسق "عطيل" و عطيل مسرحية طبعا لشكسبير، و لكن أعطي بطل الرواية أساس أكثر حقيقة ( أي إقناعا) من الأسباب التي ذكرها شكسبير في مسرحيته العظيمة "عطيل" »[1] .

و لعل الدلائل في الرواية كثيرة على ذلك، من بينها تصريح مصطفى سعيد في المحكمة البريطانية قائلا:" أنا لست عطيلا، أنا أكذوبة"[2]، و هذا دليل آخر على أن الطيب صالح قد إطلع على المسرحية.

---

[1]– الطيب صالح، الحياة الثقافية، مجلة ثقافية تصدر عن وزارة الثقافة التونسية، عدد 1، جانفي 1979م، (لقاء مع الطيب صالح) نقلا عن بوجمعة الوالي، المؤثرات العربية و الأجنبية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2002/2001م، ص 112.

[2]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 54 .

لقد جمعت "ديدمونة" (فتاة البندقية) و عطيل (الرجل المغربي) علاقة حب كبيرة صدمت الجميع، و تحدت ديدمونة بحبها عوائق مجتمعها و أهلها الذين حاولوا منع زواجهما، فقد سلمته نفسها بكل رضى و ثقة و طمأنينة لأنها لم تشك إطلاقا في إخلاصه لها[1]، على عكس العلاقة التي جمعت بين مصطفى سعيد وجين مورس، فكلها توتر و حقد و إستغلال فلم ينسجما إطلاقا و أبدا[2]، لأن الحضارة الأروبية حضارة شرسة لا تحمل في قلبها و لا ذرة حب و عطف للشرق، و جين مورس هي إبنة لهذه الحضارة العنيفة، لذلك صدت و واجهت مصطفى سعيد بكل قوة و حقد في كل لقاء لهما، يقول " مصطفى سعيد":« كنت أجدها في كل حفل أذهب إليه، كأنها تتعمد أن تكون حيث اكون لتهينني، أردت أن أراقصها فقالت لي، لا أرقص معك و لو كنت الوحيد في العالم، صفعتها على خدها فركلتني بساقها و عضتني بأسنان كأسنان لبؤة »[3] .

إن هذا التصرف خير دليل على رفض الحضارة الغربية لهذا الدخيل الشرقي[4]، الذي إتخذ من الكذب وسيلة لإمتلاك المرأة الغربية و طعن الرجل الأبيض، لكنه ينصدم عندما يرى أن خصمه (جين مورس) ليست خصما سهلا ، فقد ذاق المر على

[1]– ينظر بوجمعة الوالي، المؤثرات العربية و الأجنبية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، المرجع السابق، ص 146.

[2]– ينظر مصطفى فاسي، المرجع السابق، ص 93.

[3]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص144 .

[4]– ينظر بوجمعة الوالي، المؤثرات العربية و الأجنبية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، المرجع السابق، ص 147.

يديها لتمنعها عنه، فهي "العنقاء التي إفترست الغول"[1]، و أهانت رجولته و كبريائه لذلك لم يجد حلا إلا أن يتخلص منها و يقتلها، خاصة أن سبب مجيئة للغرب هو الإنتقام و الثأر، يوضح الكاتب أسباب الجريمة قائلا: "....مصطفى سعيد قتل لأسباب واضحة منذ البداية لأنه يحس بغربة في هذا المجتمع، و هو رافض لهذا المجتمع رغم أنه أحرز فيه قدرا كبيرا من النجاح، و كانت الغيرة هنا لأسباب إجتماعية قومية و ليست مجرد إحساس زوج بالشك تجاه زوجته"[2].

إذا كان مصطفى سعيد قد قتل "جين مورس" بسبب غيرته على المجتمع السوداني، فإن عطيل قد قتل ديدمونة زوجته الطاهرة المخلصة بسبب غيرة الزوج على الزوجة و شكه في إخلاصها، فهو لم يتحمل رؤيتها مع رجل آخر و هذا لحبه الشديد لها، على عكس الطيب صالح الذي جاء إلى الغرب في مهمة رسمية (الإنتقام)، لذلك كانت علاقته بحين مورس اللبؤة الشرسة علاقة مبنية على الكره و الدمار، و يظهر ذلك من خلال قوله:" و صرخت فيها: أنا أكرهك، أقسم أنني سأقتلك يوما ما....تألقت عيناها و نظرت إلي نظرة غريبة ....ثم قالت بصوت فيه مناغاة مصطنعة: أنا أيضا أكرهك حتى الموت"[3].

---

[1]- الطيب صالح، المصدر السابق، ص144 .

[2]- الطيب صالح نقلا عن بوجمعة الوالي، المؤثرات الغربية و الأجنبية في رواية موسم الهجرة، المرجع السابق، ص 117.

[3]- الطيب صالح، المصدر السابق، ص147 .

و بهذا القول يكون مصطفى سعيد قد صرح لجين مورس عن نيته و هدفه في القتل، فكلا البطلان قتلا زوجتيهما لكن دافع القتل إختلف "فمصطفى سعيد "قتل بدافع الحقد و الكراهية و الرغبة في الإنتقام، لكن عطيل، كان قتله لـ "ديد مونة" بدافع الحب و بغرض تكريمه و تطهيره"[1].

إذا إختلف هدف و دافع القتل عند عطيل و مصطفى سعيد فإن طريقة القتل عندهما متشابهة، فكلاهما وظف وسيلة واحدة في قتل زوجتهما، فصورة جين مورس و هي على سرير النوم تنتظر الجلاد القادم لقتلها، هي "صورة مكررة لـ ديدمونة قبيل قرار تنفيذ "عطيل" حكمه بقتلها، قبلها –و هي نائمة– و غمر وجهها بالقبل، قبل الوداع، كان يرغب في أن تكون تلك القبل على جسد ينبض بالحياة"[2]، فمصطفى سعيد أعاد هذا المشهد بحذافره و قبل زوجته العدوة قبل قتلها يقول:" لبثت تنظر إلى حد الخنجر بخليط من الدهشة و الخوف و الشبق ثم أمسكت الخنجر و قبلته بلهفة. و فجأة أغمضت عينيها و تمطت في السرير وضعت .... ملت عليها و قبلتها، وضعت حد الخنجر بين نهديها...."[3]، و ينبغي أن نشير هنا إلى أن جين مورس اللعوب كانت تعلم بأنها ستقتل و أن مآلها هو الموت لهذا تهيأت لذلك و إنتظرت مصطفى سعيد، أما "ديدمونة" الطاهرة الصادقة فلا تدري ما هي خطة و نوايا "عطيل"

[1]– بوجمعة الوالي، المؤثرات الغربية و الأجنبية في رواية موسم الهجرة، المرجع السابق، ص 122.

[2]– المرجع نفسه، ص 152.

[3]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 150 .

إتجاهها، و ما هو مصيرها معه لأنها تعلم أنها لم تذنب، لذلك فهي لا تستحق هذه النهاية المأساوية.

و بعدما إكتشف "عطيل" حقيقة زوجته "ديد مونة" أنها بريئة من التهم و الإشاعات التي نسبوها إليها، فضل الإنتحار ليطهر ذنبه و ليثبت لحبيبته ديدمونة المغدور بها أنه لا يقل عنها وفاء و إخلاصا[1]،فقلبه و ضميره لا يسمحان له بالعيش من بعدها ، لأنه لم ير منها إلا كل خير من صفاء القلب و طيبته.

[1]– ينظر مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 93.

**المطلب الثالث: الحب الخيالي و الإنتقام عند توفيق الحكيم**

لم تكن المرأة التي إختارها "محسن" إمرأة عادية، بل كانت إمرأة خاصة لأن محسن كان رجلا خاصا، فمفهوم الرجولة عند محسن له معنى سام، فهو من أولائك الرجال "الذين لا تطيب لهم السكنى إلا داخل أنفسهم"[1]، و حتى يصل إلى قمة الرجولة لابد له من "أن يحيا دائما وحده في الحياة"[2]، و هذا تمثلا بمقولة إبسن " أن الرجل القوي هو الرجل الوحيد"[3]، فقد إعتمد الحكيم على هذه المقولة، فكانت منطلقه في الحياة، يقول عنها:" كان إيماني شديدا بهذه الكلمة و ما برحت أرى فيها دستوري الذي لا ينبغي أن أحيد عنه، فأنا كلما إنطويت على نفسي و إعتصمت ببرجها، أعطتني كل ما أريد من قوة و منعة"[4]، لذلك فحبيبته إمرأة عليا مثله هو، لا وجود لها إلا في خياله الذي توجها ملكة و أسكنها قصرا من قصوره الراقية " فإذا بها أكثر من إمرأة، بل قل ملكة، و بالفعل إنها لملكة، و ملكة من عوالم ألف ليلة و ليلة"[5].

إن الذي يسمعه يتحدث عنها قائلا:" أراها في شباكها تشرف على الناس بعينين من فيروز، و هم يمرون أمامها الواحد تلو الآخر، من كل جنس و من كل طبقة..."[6] يتخيل أنها ملكة أو أميرة تطل من الشباك، لكن سيندهش بعد ذلك عندما يعلم أن

---

[1]– توفيق الحكيم، البرج العاجي، المجلد الاول، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1994 م، ص 799 .

[2]– المرجع نفسه، ص 799 .

[3]– المرجع نفسه، ص 799 .

[4]– المرجع نفسه، ص 799 .

[5]– جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 22 .

[6]– توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، المصدر السابق، ص 42.

الشباك الذي يتحدث هو شباك قطع التذاكر في مسرح باريس، و أن هذه الملكة ليست إلا بائعة تذاكر.

يتضح لنا إذن أن "محسن" يتعامل مع حلم سوزي ديبون، هذا الحلم الذي نسجه له خياله الواسع، فهو لا يعرف لا اسمها و لا أي شيء عنها[1]، يقول:" كان ينفق أيامه في قهوة يحلم، و حبيبته على بعد خطوتين"[2]، ينتظر دخولها أو خروجها من باب الفردوس، و لعل هذا التعامل الخاص له تفسير واحد هو أن محسن يريد أن يميز حبيبته عن كل النساء، حتى عندما قرر التعامل معها على حقيقتها في الواقع و قدم لها هدية، كانت الهدية غريبة و مختلفة، لأنه شخص مختلف و هذا ما إعترف به محسن في رسالته لأندريه، يقول محسن:" ثم هناك شيء آخر أخالك لم تلتفت إليه، و هو طبيعتي التي تميل إلى عدم الأخذ بما يأخذ به الناس جميعا من أوضاع هربا من الوقوع في الإبتذال، و شغفا جنونيا بالتميز و الإغراب، ففي لبسي لا أرتدي كما يرتدي الآخرون و لا أدخن لأن التدخين عادة عامة .... لا أهدي إلى حبيبتي الأزهار الجميلة، و العطور اللطيفة، بل أهدي إليها ببغاء في قفص ...."[3]، لكن سرعان ما تنكسر الصورة التي رسمها محسن لفاتنته، و يصطدم بحقيقتها و شخصيتها المزيفة الكاذبة، فتبدأ الشتائم و يظهر محسن عدائيته المألوفة لها و لكل النساء معها.

---

[1]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 22.

[2]– توفيق الحكيم، المصدر السابق، ص 51.

[3]– توفيق الحكيم، زهرة العمر، دار الشروق، مصر، ط2، 2008م، ص 29.

إن سبب رفع "محسن" لسوزي إلى مستوى الملكة من غير أن يعرف عنها شيئا ثم النزول بها إلى الأرض عندما يكشف حقيقتها بأنها مخادعة و خائنة يرجع إلى فكرة "الإنتقام من المرأة التي يعاديها توفيق الحكيم"[1]، فقد رفعها "إلى العلو الشاهق ليأتي سقوطها أعظم دويا و الهزيمة أشد إنكارا"[2]، و يمكن أن نقول إن الحكيم أو محسن يعشق المرأة الصنمية التمثالية الموجودة في عالم الخيال فقط، لكنها عندما تتحول إلى مخلوق من لحم و دم يكرهها و يصبح عدوا لها، و هذا يعني أن هناك صورتين متناقضتين للمرأة في أدب الحكيم[3].

كل شيء له وقت، و وقت الملكة سوزي إنتهى، لأن محسن أراد لهذا الحلم و هذا الخيال أن ينتهيا و يواجه الواقع المؤلم أحيانا، فقد مل من التحليق في السماء، فإنقلب فجأة إلى إنسان واقعي يعالج مشاكل الأرض[4]، يقول محسن:" إن سر تعاستنا هو أننا نعيش في هذه الحجرات المغلقة ....إننا نجهل الواقع و طرائقه المباشرة.... لا شيء يكتسب بالخيال في هذه الحياة؟..."[5]، فالخيال هو وسيلة لجأ إليها محسن للإنتقام و السخرية من المرأة الغربية لأنها عدوته اللدود.

---

[1]– مصطفى فاسي، المرجع السابق، ص 205.

[2]– جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 23.

[3]– ينظر مصطفى فاسي، المرجع السابق، ص 206.

[4]– ينظر جورج طرابيشي، لعبة الحلم و الواقع، دراسة في أدب توفيق الحكيم، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1972م، ص 42.

[5]– توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، المصدر السابق، ص 88.

لقد عرف الحكيم بعداوته للمرأة في الواقع و قد جسد هذا في روايته "عصفور من الشرق"، مع العلم أنه بدأها بالحب و الرومانسية، لكن هذا الحب كان في الخيال فقط و كان له غاية و هو إسقاطها من أعالي السماء إلى أسفل الأرض، لذلك فالسؤال الذي يراود الكثيرين هو ما سر عدواته للمرأة في الحقيقة؟.

في حوار له ( توفيق الحكيم) مع الكاتبة لوسي يعقوب حول أفكاره و آثاره، سئل الحكيم عن سر عداوته للمرأة فأجاب قائلا:" كل المسألة .... أنني وجدت أن المرأة مخلوق .... يريد أن يستأثر بكل شيء في حياتنا.... لذا فإن عداوتي لهذا المخلوق لن تنقطع ما دمت أخشاه... إن عداوتي ليست إلا دفاعا عن نفسي...."[1]، و يقول أيضا:" .... و لكن عقيدتي في المرأة مازالت كما هي .... لم تتغير أحبها و أخشاها .... و أتمنى البعد عنها .... يعني .... البعد عنها غنيمة ..... فهي دائما شر .... و أعيش بالمثل الذي يقول:" إبعد عن الشر .... و غن له"[2].

إن اللافت للإنتباه في هذه الرواية "عصفور من الشرق" هو أن البطل "محسن" أثناء زيارته باريس في أيامه الأولى كان منبهرا بالمدينة الأوروبية و بفنونها الراقية، لكن سرعان ما تبددت هذه الصورة التي كونها محسن عن أوروبا بعدما إكتشف أن كل

[1]– توفيق الحكيم نقلا عن لوسي يعقوب، عصفور الشرق، توفيق الحكيم، دار المصرية اللبنانية، القاهرة ط1، 1994م، ص 88.

[2]– المرجع نفسه، ص 107.

شيء مزيف فيها[1]،فهاهو إيفان يقول عنها:" إن مدينتها الخلابة ليست إلا بهرجا، و إن علمها الحديث كله .... ليس من حيث القيمة العملية غير لعب .... قدمت للناس بعض الراحة .... و لكنها أخرت البشرية و سلبتها طبيعتها الحقيقية و شاعريتها و صفاء روحها"[2]، كما أنها مومس عاهرة[3]، " لقد فهم الشرق أن فتاته ليست إلا غانية خليعة، لا قلب لها و لا ضمير، و ليست لها أي قيمة روحية و لا خلقية، و أن مآلها السقوط، ممزقة الجسد"[4].

و لعل جريمة أوروبا الكبرى، هي تلك التي إقترفتها بحق الشرق "بعلها" "فتاها"، عندما نقلت إليه عدوى أنوثتها المادية، فسممت بذلك منبع الرجولة و الروحية عنده[5]، و لذلك لم يعد هناك شرق بل شرق متقرد " نعم اليوم لا يوجد شرق ....! إنما هي غابة على أشجارها قردة، تلبس زي الغرب...."[6].

و حتى يحافظ "محسن" على رجولته خاصة أن لها معنى خاصا عنده قرر قطع علاقته "بسوزي ديبون" حتى لا يتلوث بها و تبقى رجولته طاهرة و نقية، فكانت علاقته خفيفة بسوزي "الغرب"، لم تتجاوز الأسبوعين و هذا هو حال العصفور على كل حال،

---

[1]– ينظر باديس فوغالي، دراسة في القصة و الرواية، عالم الكتب و الحديث للنشر، الأردن، ط1، 2010م، ص 154.

[2]– توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، المصدر السابق، ص 155 .

[3]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 41.

[4]– توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، المصدر السابق، ص 162 .

[5]– ينظر جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 43.

[6]–المصدر نفسه، ص 174.

فهو دائما خفيف الظل يبحث عن الترحال[1]، و الأمان لكي يبني عشه في هناء و طمأنينة، لذلك نجد محسن يعود في الأخير ليعيش في الشرق بين أهله و أصحابه.

[1]– ينظر جورج طرابيشي، شرق و غرب،رجولة و أنوثة، المرجع السابق، ص 45.

**المطلب الرابع: غياب الإنتقام في الرواية المغاربية**

لم يكترث البشير لما يجري في وطنه و لأبناء وطنه من قمع و نهب و تنكيل، بل كان كل همه هو البحث عن لذاته و الإستمتاع بهذه الحياة الجديدة السعيدة قدر الإمكان، في حين كان أبناء وطنه يتجرعون كل أنواع الذل و التعذيب، فقاوموا المحتل الغازي بكل قوة و بسالة، و فكروا في الوسيلة التي تخلصهم من ذلك المستعمر إلى الأبد[1]، و صمدوا في وجهه لأن المهم عندهم هو إسترجاع السيادة الوطنية و المحافظة على معالمها، على عكسه هو تماما فقد باع وطنه مقابل حياة مزيفة زائلة، فهو لا يحمل أي ذرة للغيرة على وطنه، و لا تهمه إلا مصلحته، كيف لا! و قد تنكر لإبنه و لم يكترث لموت والده.

إن الظروف المزرية الصعبة التي عانى منها أبناء الوطن (الجزائر)و الأخبار السيئة التي كان يسمعها عنهم كانت تستدعي من البشير أن يتحرك و يبادر في المساعدة حتى و لو من بعيد و يتخذ موقفا من عدوه و ينتقم منه، و هنا كان سيتشكل الصراع بين الحضارتين، حضارة جزائرية تدافع عن معالمها و هويتها و أصالتها و حضارة غربية تريد إغراء و قمع الآخر، إلا أننا للأسف الشديد لم نجد أي شيء يدل

[1]– ينظر د. محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الإلتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983م، ص 287.

على وجود الصراع و روح الإنتقام عند البطل[1]، بل فضل أن يبقى طرفا حياديا ساذجا.

إذا كان البطل (البشير) لا يحمل أي ضغينة لفرنسا و لا يفكر في الإنتقام منها، ففرنسوازكانت تسعى للإنتقام من الجزائر و أبنائها، لذلك جمعت كل المعلومات التي تخص البطل و كشفت سره، تقول له فرنسواز " لكن .... لا تحسب نفسك في نجاة مني .... أنا أعرف أنك لا تدعى جاك و إنما تدعى البشير، و أنك لست فرنسيا و إنما جزائري، هل إعتقدت أن هذا سيخفى علي؟ إنك أبله إذا كنت تعتقد هذا..."[2]، فقد تحرت فرنسواز عن البشير جيدا حتى تعرف نقاط ضعفه و تضرب ضربتها فهي لم تنسى موت زوجها الفرنسي في الجزائر فقد " هجرها زوجها متناسيا كل ما فعلت لأجله و جاء هنا إلى الجزائر بعد أن تطوع في جيش المستعمر .... فقد سقط قتيلا بعد أن ألقى المجاهدون عليه القبض .... و عندما سمعت زوجته تأثرت كثيرا لهذا المصاب .... و الإخوة لا يعلمون ماذا تدبر هذه السيدة ضد البشير و ضد الجزائريين بصفة عامة، فهي و لا شك تود الإنتقام لزوجها، و ستفعل كل شيء للوصول إلى هذه البغية و تحقيق هذا الهدف"[3].

لقد حبكت فرنسواز حبالها و نسجت خطتها بكل دقة و براعة، و هي لن تهدأ و ترتاح حتى تنتقم من عدوها، و مادامت الفرصة تسمح بالإنتقام فهي لن تتراجع، فهي

---

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص 303.

[2]- عرعار محمد العالي، ما لاتذروه الرياح، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 2، 1982م، ص 205.

[3]- المصدر نفسه، ص 154-155.

لم تكتشف إسمه و أصله فقط، بل إكتشفت حتى مرضه من أول مرة رأته فيها و لم تخبره بذلك حتى تتلذذ بتعذيبه و هنا سيكون إنتقامها حتى تراه يعاني على فراش الموت تعترف فرنسواز للبطل قائلة:" .... إني أعرف كل شيء، إذا كنت تظن أن وجودك في هذا البيت يخفى علي، فأعلمك أنك مخطئ .... بل لقد عرفت أنك ستأتي إلى هذا المكان قبل أن تفكر أنت، أو تحاول المجيء .... نعم لقد كنت أنتظر مجيئك إلى هذا المكان مدة طويلة .... لقد كنت أعرف أنك مريض بداء السل .... كنت أريد أن أجرب كيف يعمى العاشق و يتيه في حب عشيقته، و هو لا يعرف أن هذه الأخيرة تستلذ عذابه و تعيش على آلامه .... إذا كان هو يذبل و يضمحل فهي تنتعش و تقوى ....لقد تركتك تتعذب كثيرا إلى أن وصلت إلى حافة القبر ..."[1].

إن العلاقة التي جمعت بين فرنسواز (السادية) و البشير علاقة نفسية مرضية جسدت بذكاء العلاقة السادية التي تجمع الغازي المستعمر (فرنسا)، بالمستعمر (الجزائر)، حيث تلذذت فرنسا بتعذيب الجزائر سنين طويلة و هي لن تقصر إن وجدت الفرصة مناسبة الآن، ففرنسواز هي إمرأة ماكرة داهية إبنة لفرنسا المتجبرة ، إستطاعت أن تلعب دور الحبيبة على البشير و تنتقم منه دون أن يشعر بخداعها و مكرها ، حتى إعترفت له هي بذلك لأنها حققت غايتها و هدفها (الإنتقام) ، و لسذاجته و غبائه

[1]– المصدر نفسه، ص 202.

إكتشف لعبتها متأخرا يقول:" أنا لم أكتشف إلى حد الآن فرنسواز الحقيقية، كنت أعرف إمرأة أخرى، و الآن لقد فهمت كل شيء"[1].

إن فهم البطل لشخصية فرنسواز الحقيقية هو إن دل على شيء فهو يدل على فهم البطل لحقيقة و طبيعة الحضارة الفرنسية المزيفة المغرية، لذلك رفض رفضا تاما عرض فرنسواز بأن يتزوجا و هذا دليل على فشل مشروع الحوار بين الطرفين، "و إنفصال البشير عن فرسواز مرادف تماما لإنفصال الجزائر نهائيا عن فرنسا"[2].

إن مرض البشير إذا كان فرصة و سببا في استيقاظه من غفلته و سذاجته فهو " لم يدخل إلى المستشفى إلا لينفصل عن فرنسواز التي كانت تشكل بالنسبة إليه جدارا سميكا يمنعه من رؤية الحقيقة"[3]، و بفضل هذا الإنفصال إنكشفت كل الحقائق أمامه و كان مرضه هذا بداية لتحوله و بداية لتأسيس مشروع جديد، مشروع يكون البطل "البشير" شخص جديد و يحاول أن يصحح كل أخطائه و يصلح كل علاقاته مع أبناء وطنه فهو نادم على كل ما قام به و يتمنى الرجوع إلى وطنه في أقرب وقت، ففرنسا التي كان منبهرا بها لم تعد تعنيه، فهي سبب هلاكه و ضياعه و ما عليه الآن إلا أن يبتعد عنها، يقول محدثا نفسه " ماذا ستفعل يا البشير لتنال العفو، و تعود كما كنت؟ .... من سيعينك و يساعدك ليجعلك تعود الى بلادك و أهلك و تطلب منهم العفو و

[1]– المصدر نفسه، ص 193.

[2]– د. محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الإلتزام، المرجع السابق، ص 297.

[3]– المرجع نفسه، ص 300.

الرحمة ..... من سيساعدك في هذه البلاد العاهرة التي أغوتك برهة من الزمنو خلقت في ذهنك صورا خاطئة .... أوصلتك إلى الهلاك؟ إنك منبوذ من أهاليك...."[1].

ما إن إستعاد البشير قليلا من عافيته حتى عاد إلى وطنه، و قلبه يخفق من الخوف للقاء أبناء وطنه و رد فعلهم، و ما إن وصل و التقى بأخيه العباسي حتى تنكر له العباسي و ترك البيت، و لم يكن العباسي الوحيد الذي عامله هذه المعاملة القاسية بل كل أبناء بلدته عاتبوه و قاطعوه، يقول أحد الفلاحين: (يا لهذا الفتى الغريب، إنه على حافة القبر، إن الداء ينخره و العذاب يهلكه و لكنه يستحق ذلك، لأنه هو السبب في كل شيء..... إنه هو الرجل الذي ترك أخاه، ..... و باع بلاده دون خزي، و إرتد عن دينه دون خشية،.... لقد عاقبه الله على فعلته ..."[2]، لكن البشير صمم على أن يعود بأخيه إلى البيت و يستسمحه على فعلته تلك، فأمضى الأيام و الليالي يبحث عنه و المرض ينخر جسمه، لكنه لم يبالي المهم عنده أن يجد أخاه، و بالفعل هذا ما حصل إلتقى الأخوان و عاد البشير برفقة أخيه إلى البيت و الفرحة لا تسعه، لأنه حن لرؤية عائلته و أبناء وطنه التي فرقت بينهم فرنسا و مغرياتها، وبإلتئام شمل العائلة عادت المياه إلى مجاريها، و تحسنت صحة البشير و أمضى كل وقته في فلاحة الأرض.

[1]- محمد العالي عرعار،المصدر السابق، ص 198.

[2]- المصدر نفسه، ص 241.

يبدو إذا أن فكرة الإنتقام لم تكن واردة إطلاقا في ذهن الرجل المغربي، فكل همه هو التمتع بحريته و البحث عن لقمة عيشه، و قد تجلى ذلك بوضوح أكثر في رواية "المرأة و الوردة"، حيث لاحظنا أن البطل لم يتردد و لو للحظة في الهروب من مجتمعه المغربي الجائر الذي لا ينظر إليه إلا بنظرة فوقية، فإستبدله بمجتمع آخر (غربي) يحقق له رغباته و طموحاته، لأن المهم عند البطل "محمد" هو أن يحيا بإحترام و يشعر بذاته، فكيف له أن يحيا بإحترام و جيبه فارغ في المغرب، يعيش فقيرا مهموما، فالحل إذن هو الغرب، الغرب هو الذي سيكون مصدر رزقه و سعادته فللمادة (المال) دور كبير في حياة الانسان، فهي التي ترفعك في أعين الناس و تجعلك تعيش هنيئا مرتاحا، و هي التي تسقطك و تجعلك تعيش ذليلا مهموما، فالمال هو مصدر الكرامة و الإحترام يقول البطل:" الجيب هو الذي يقرر مصيري، و إذا لم أبالغ الجيب هو الكرامة و هو الإحترام، هو الوضعية و هو المعنوية .... عندما فتشت جيبي لم أجد أنه يستطيع أن يعطيني كرامة أكثر، كرامتي إذن محدودة"[1].

لقد ظن البطل "محمد" أنه سيتخلص نهائيا من حياة الفقر و الطبقية التي عاشها في المغرب، و سيعيش عيشة الرخاء و الرفاهية في الغرب، لكن ظنه هذا لم يكن في محله، فالفقر لم يفارقه في اسبانيا أيضا بل ظل يتبعه يقول البطل بعد أن أحس بالجوع و لم يجد المال الكافي الذي يشبع جوعه: " الشيء الأساسي و الضروري حتى في

[1]– محمد زفزاف، المرأة و الوردة، الشركة الوطنية للناشرين المتحدين الرباط، د.ط، د ت، ص 34.

أدنى مراحل الإنسان الحيوانية هو أن آكل و أشرب .... لم آكل كبشا صحيح، لكني أكلت سردينا ..."[1].

إن هذا الوضع هو الذي دفع بالبطل إلى قبول عرض "تهريب المخدرات" مع صديقيه آلان و جورج، خاصة بعد أن أغرياه بحياة النعيم التي سيعيشها إذا نجحت العملية، فهو سيودع الفقر نهائيا إذا قبل بعرضهم، فلم يتردد البطل بالقبول لكنه فشل في أول موعد مع تاجر المخدرات، و هذا ما جعل "جورج" يوبخه على غبائه و سذاجته، و فشله هذا هو إن دل على شيء فهو يدل على أن البطل ليس له أي علاقة بعالم المخدرات، و لكن الفقر هو الذي أدى به إلى هذه التهلكة، فهو صاحب ضمير و مبادئ و يظهر ذلك من خلال المحكمة التي نصبها في خياله ليحاسب و يعاتب نفسه على الجريمة التي سيقترفها في حق الناس[2]، و ينتهي في الأخير إلى القول بأن الفقر هو السبب في فعلته تلك " أنا أكثر من جائع، من يعطيني قطعة خبز .... أين العمل ...."[3]، و هو بهذا الكلام يريد إدانة الواقع غير السوي الذي يجعل مثقفا يضطر الى ممارسة التهريب – و أي تهريب – لكي تعيش"[4].

إن الطبقية و العنصرية ليست موجودة في الوطن العربي فحسب، بل حتى في المجتمعات الغربية، فكل مجتمع و له فساده و عيوبه الخفية التي لا يكتشفها الإنسان

---

[1]– المصدر نفسه، ص 79.

[2]– ينظر مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 395.

[3]– محمد زفزاف، المصدر السابق، ص 98.

[4]– مصطفى فاسي، المرجع السابق، ص 397.

إلا عندما يقترب منها و هذا ما لاحظناه مع البطل "محمد" في إسبانيا، فقد ذاق المر حتى يجمع المال بأي وسيلة، و لهذا فالرواية المغربية هنا تعكس سوداوية الحياة الإجتماعية و صعوبة حصول الفرد على قوته في وقتنا الحالي[1].

[1]– ينظر سعيد علوش، الرواية و الإيديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط 1، 1981م، ص 103.

**المبحث الثاني: الحوار بين الشرق و الغرب**

نقصد بالحوار هنا " إجراء علاقة مباشرة بين طرفين أو أكثر يقوم على التعبير و التحليل و تبادل الأفكار و المعلومات و الحجج و البراهين لغايات الإقناع و التأثير، و لعل المفهوم الأساسي للحوار هو التبادل السلمي للأفكار و الآراء و المعلومات ...."[1]، و في هذا المبحث بالتحديد نريد أن ندرس نسبة نجاح أو فشل الحوار بين الشرق و الغرب و أسباب كل منهما، و ذلك من خلال الدور الذي جسده أبطالنا العرب مع المرأة الغربية أولا، ثم إسقاط تلك النتائج على الواقع المعاش و مقارنتها.

**المطلب الأول: صورة الرجل الشرقي عند الغربيين**

لطالما إعتبر الغربيون الرجل الشرقي مجرد إنسان همجي متخلف، بعيد كل البعد عن المدينة و سلوكها المتحضر، فحياة البدو و الخيم و الجمال التي عاشها في الصحراء، أوحت للغربي بأنه رجل شرقي متوحش، جاهل و إنفعالي زيادة عن اللزوم، المهم عنده هو الصراع و العنف، لكن ذلك الغربي لم يتساءل عن سبب هذا الإنفعال، فإنفعاله لم يكن بلا سبب، بل له عدة مبررات جعلته يتوتر، من بينها ظلم و قهر الإستعمار الأوروبي له، و هذا أهم عامل عنف الرجل الشرقي و جعله إنسانا متوحشا، كما يصفونه هم، يحمل السيف و يهب إلى أراضي الغرب ليقتلهم بلا رحمة أو شفقة[2].

---

[1]– د. أحمد عارف أرحيل الكفارنة، معوقات الحوار بين الشرق و الغرب، مجلة دفاتر السياسة و القانون، العدد الثالث عشر، جوان 2015م، جامعة البلقاء التطبيقية، المملكة الأردنية الهاشمية، ص 288.

[2]– *ينظر* جورج ازوط سهيل ادريس في قصصه و مواقفه المرجع السابق ،ص119 .

كما وصف الغربي الإنسان الشرقي بأنه إنسان لامبالي، و هذا بسبب التصرفات المستهثرة التي يقوم بها بعض الشباب العرب في فرنسا، فهو يتجمعون في الأماكن العامة و يتكلمون كلاما تافها و غير لائق عن الفتيات بدون إحترام و مراعاة أحاسيس الناس هناك، و لعل هذا ما أدى إلى إبتعاد الغربيين عنهم و تحاشيهم، و حتى فؤاد إبن بلدهم ينفر من جلساتهم[1]، يقول:" كان هو في الحق، ينفر من لقاء هؤلاء المواطنين و يتجنبهم، و يعتقد أن من الخير أن يعيش في غير أجوائهم، فإن في أحاديثهم هذرا كثيرا، و في وقتهم ساعات مهدورة"[2]، و بسبب هؤلاء الشباب التافهين تكونت صورة خاطئة عن العرب جميعا، تقول فرنسواز لفؤاد بعدما سألها هل كانوا يسببون أي إزعاج بأصواتهم:

" لا ليس في ذلك إزعاج، كل ما سيقولونه إن هؤلاء العرب لا يتعلمون الكلام في مدارس الشرق، و إنما يتعلمون الصراخ و الزعاق!"[3]،و لهذا سمي العرب بالبربر أي الهمجيين، و هذه الهمجية جعلت كل الغربيين يتحاشونهم تفاديا للمشاكل معهم، "فالبشير" مثلا بطل رواية "ملا تذروه الرياح" كان نموذجا حيا للشاب المستهتر اللامبالي في فرنسا و هذا بسبب تصرفاته الطائشة ، فقد بلغت به الوقاحة أن يتحرش بفتاة تجلس مع صديقها دون أن يبدي أي إحترام له و للآخرين ، فلم تتمالك الفتاة

[1]– ينظر المرجع نفسه، ص 120.

[2]– سهيل إدريس، الحي اللاتيني، المصدر السابق، ص 81 .

[3]– المصدر نفسه، ص167 .

نفسها و شتمته قائلة:" يا لك من رجل وقح .... هل لا تستحي من فعلتك هذه"[1]،لكن البشير لم يبالي لكلامها بل إستمر في إزعاجه للآخرين " ثم رفع الزجاجة عاليا و هشمها على طرف الطاولة .... فتناثرت قطع الزجاج في كل جهة .... و تطايرت قطرات الخمر على ثياب الناس المجاورين .... فهب هؤلاء واقفين مبتعدين متصايحين ...."[2]، و بهذا التصرف السيء فقد و خسر البشير كل أصدقائه الفرنسيين لأنهم كرهوا صحبته لهم يقول أحدهم:" أعتقد يا جماعة أنه من الأفضل لنا أن نخرج، و لا ننتظر جاك (البشير)، فأنتم تعرفون أنه يسبب لنا المضايقات، و يخلق لنا المتاعب"[3].

يحتاط الإنسان الغربي في تعامله مع الرجل الشرقي، لأن هذا ما علمه إياه مجتمعه الأوروبي، الحيطة و الحذر من الشرقي المتوحش، تؤكد فرنسواز هذا الكلام بعدما سألها البطل، يقول:" قولي الحق يا فرنسواز: أصحيح أن الفتاة الفرنسية إجمالا تخشى من الشرقي؟ نعم صحيح! لست أتملقكما إذا قلت إن هذا أمر مؤسف حقا، على أن الخطأ ليس هو خطأ الفتاة الفرنسية، هكذا علموها في بعض مجتمعاتهم"[4]، و تستطرد فرنسواز قائلة:" لقد علموا الفتاة الفرنسية، في بعض مجتمعاتهم، أن تخشى هذا الشرقي الساكن في الصحراء، القائم في مجتمع متأخر، لابد أنه متوحش"[5].

---

[1]- عرعار محمد العالي، ما لاتذروه الرياح، المصدر السابق، ص 93.

[2]- المصدر نفسه، ص 93.

[3]- المصدر نفسه، ص 94.

[4]- سهيل إدريس، المصدر السابق، ص 156.

[5]- المصدر نفسه، ص 167.

إذا هو الحقد، و هي دونية و تعالي المجتمعات الغربية التي زرعت أفكارا سوداء وحشية في عقول أفرادها إتجاه الرجل الشرقي، فشوهت كل صورة العرب، هي مؤلفات المستشرقين التي لفقت هذه الأفكار و الصور الخاطئة عن الرجل الشرقي فنقلتها إلى ذهن القارئ الغربي الذي أصبح يتفادى الإحتكاك بالرجل الشرقي خوفا من همجيته و عنفه، فهدف المستشرق ليس تصوير الصحراء الشاسعة الجميلة، و إغراء القارئ الغربي بجمالها، بل تخويفه منها و من أفرادها:" فلوبير نفسه، هذا الذي حنت جانين إلى الشرق بتأثير ما كتبه، ألم يكن حريصا على تصوير نواحي التأخر و الحيوانية في حياة أهل الشرق؟"[1]، فحسب ظنهم أن الصحراء هي حياة التخلف و الحيوانية، لذلك لابد لهم الإحتراس من الرجل الشرقي ثعلب الصحراء.

هذه إذن كانت إستراتيجية الغرب في خلق التوتر بين المعسكرين الشرقي و الغربي، فالغرب أصبح يهاب الشرقي، و إذا قام أي شخص بسلوك غير متحضر و كان الفاعل رجلا أجنبيا يتهم به الرجل الشرقي و ينسب إليه هذا التصرف المتوحش، يحكي بطل الحي اللاتيني:" كان يوما مع فؤاد يحتسيان قهوتهما بهدوء، و إذا بضحكة مجلجلة تدوي بها القاعة، و تظل متتابعة لحظات ....، و إن هي إلا لحظة حتى تناهى إلى سمعنا صوت نسائي يقول بلهجة عصبية و بالفرنسية: أي متوحش هذا ! لابد أنه عربي!"[2].

[1]– المصدر نفسه، ص 96.

[2]– المصدر نفسه، ص 80.

حتى سوزي صديقة "محسن" تتساءل و تفكر مليا في سلوك محسن الغريب، فهو لم يشكرها عندما دفعت عنه الحساب، و هذا ما جعلها تقول:" أهو شرقي متوحش، لا يعرف الآداب و اللياقة؟!...."[1].

فالإنسان الغربي كون صورته عن الإنسان الشرقي و من الصعب أن نمحو هذه الصورة، فمعالمها مازالت ظاهرة و موجودة إلى يومنا هذا بدليل ما نسمعه و ما نراه من إتهامات لنا نحن المسلمين في أننا إرهابيين، و هذه الأفكار زرعها الغربيون في ذهن أفرادهم من جهة، و زرعها بعض المفسدين الذين يريدون تشويه صورة الإسلام، فما شاهدناه مؤخرا حول القنبلة التي وضعت في باريس، وضعتها إمرأة ترتدي حجابا و تحمل سلاحا، ثم في آخر لحظة رفعت النقاب و كشفت عن وجهها، و هي أصلا ليست محجبة، فلماذا قامت بهذا التصرف؟. أليس لتشويه صورة الإسلام و المسلمين، و تكريه الغرب في المسلمات المحجبات، فأصبح كل غربي يمر على إمرأة محجبة يمقتها و يعيرها، و بمجرد أن تقول اليوم من الإرهابي الذي قام بهذا الفعل (القتل أو التفجير)، آه، إنه مسلم من الجزائر .... لا لا، هو من سوريا ....الخ، فحسبنا الله و نعم الوكيل في الذين يحاولون تشويه صورة ديننا الحنيف "الإسلام".

نظرة إحتقار و إستعلاء ينظر بها الإنسان الغربي للرجل الشرقي و يواجهه بها، فالبروفسور "ماكسول فستركين" لم يخفي حقده و بغضه لمصطفى سعيد قائلا له:"أنت يا مستر سعيد خير مثال على أن مهمتنا في إفريقيا عديمة الجدوى ، فأنت بعد كل

[1]– توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، المصدر السابق، ص 82.

المجهودات التي بذلناها في تثقيفك كأنك تخرج من الغابة لأول مرة"[1]، و هذا ما قاله أحد القضاة في محكمة الأولدبيلي:" إنك يا مستر سعيد رغم تفوقك العلمي رجل غبي إن في تكوينك الروحي بقعة مظلمة، إنك قد بددت أنبل طاقة يمنحها الله للناس، طاقة الحب"[2]. فمع العلم أن مصطفى س كان رجلا متعلما مثقفا إلا أنه في نظر الغرب إنسان متخلف لا يريد أن يعترف لهذا (الأسود الوحشي) بتفوقه و تحضره فلابد لهم من نبذه و تحطيمه[3]،فإعترافهم له بتفوقه و تحضره هو إعتراف للحضارة الشرقية كلها، لأن مصطفى هو وجه الحضارة الشرقية، "فهو وجه حضاري قبل أن يكون شخصا واقعيا، و ليس لقاؤه مع إنكلترة لقاء بمجتمع، بل لقاء قارة بقارة و ثقافة بثقافة ..."[4].

حتى "شيلا غرينود" التي عشقت سحر الشرق و فتنت بلونه الأسود، تصارحه عن حقيقة مشاعرها و مشاعر والديها إتجاه الرجل الأسود تقول له:" أمي ستجن و أبي سيقتلني إذا علما أنني أحب رجلا أسود و لكنني لا أبالي"[5]، فهل عدم مبالاة شيلا غرينود برأي و موقف والديها من علاقتها بمصطفى يعني أنها ستنهي الخلاف الناشب بين الشرق و الغرب و عقدهما من بعضهما البعض؟، لا. لا تظن ذلك، "فشيلا غرينود" مثل أوروبا إستغلالية، لذلك ستستغل "شيلا" فحولة " مصطفى س" و تتخذها

---

[1]– الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، المصدر السابق، ص 99.

[2]– المصدر نفسه، ص70 .

[3]– ينظر فوزية الصفار، أزمة الأجيال العربية، المرجع السابق، ص 111.

[4]– الطيب صالح، المصدر السابق، ص 28.

[5]– المصدر نفسه، ص 132.

وسيلة لإشباع شبقها الجنسي و عندما تشبع منه ستعود و تحتقره مرة أخرى، " ستشعر إتجاهه بنوع من الإحتقار لمجرد أن الرجل الأبيض حكمه فترة من الزمن"[1].

يقول "فرانس وفانون" في كتابه بشرة سوداء و أقنعة بيضاء"، واصفا نظرة إحتقار الغربي للشرقي:" إن الزنجي بصرف النظر عن مستواه العلمي و الثقافي هو في نظر الفرنسي زنجي قبل كل شيء، و من ثم فهو في مرتبة أقل فيردد: عندما أتحدث إلى من يحبونني يقولون إنهم يحبونني على الرغم من لوني، و حينما أتحدث إلى من يكرهونني يعتذرون بأنهم لا يكرهونني بسبب لوني، و في كلتا الحالتين تجدوني حبيس الحلقة اللعينة إياها"[2]. فمهما فعل الأسود فهو لن يغير نظرة الغربي له، حتى و إن كان أحسن منه، فالغربي له مهمة نحو الشرقي هي تجريحه و تدميره، فجين مورس المتمردة لا تضع أي إعتبار لمشاعر "مصطفى س" و تعيره ببشاعته لتهين كرامته تقول:" أول ما لقيت مصطفى تحدته بالنظر من أعلى صلافتها الأوروبية، ثم لقيته ثانية فهجمت "أنت بشع لم أر في حياتي وجها بشعا كوجهك"، و اصابته في صميم كبريائه القومية...."[3]، و هذه أكبر إهانة للرجل الأسود و لقارته السوداء كلها، هو عنف و حقد التاريخ الذي يدفع الغربي لهذا الإحتقار و الإستعلاء ليضعفه و يبقى دائما تحت سلطته.

---

[1]- فوزية الصفار، المرجع السابق، ص 140.

[2]- المرجع نفسه، ص 109.

[3]- الطيب صالح، المصدر السابق، ص 19.

فالصورة التي كونها الإنسان الغربي عن الشرقي هي صورة بدائية للإنسان القديم و لا يريد أن يراه بغير هذه الصورة[1]:" الإنسانية في مرحلة الميلاد بلا وعي، و لا إرادة، و لا عقل. مجرد كائن عضوي، أشبه بالكائنات الطبيعية الجامدة أو الحية على أكثر تقدير. و ليس به فكر أو علم، إنسانية مجرد مثل الأحجار، و هو موطن السحر و الخرافات و الأوهام،....، و كل ما فيه تخلف في الملبس و المسكن و المأكل و المشرب، و نواحي العمران: كثافته السكانية إحدى مظاهر تخلفه نسل وفير، و كوارث طبيعية من الفيضانات تحصد الألوف، لا يعرف حرية الأفراد، بل دكتاتورية الحكام على ما هو معروف في الإستبداد الشرقي"[2]، هذه هي الصورة التي يريد أن يرانا عليها الغرب الأوروبي المستبد حتى نبقى تحت سيطرته و رحمته.

[1]– ينظر حسن عليان، العرب و الغرب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 251.

[2]– المرجع نفسه، ص 252.

**المطلب الثاني: بين الشرق و الغرب (الروحانية و المادية )**

عالج توفيق الحكيم صراع الشرق و الغرب من خلال ثنائية (المادة و الروح) و قد جسد هاتين الثنائيتين كل من "محسن" الشرقي الرومانسي الحالم، و "إيفان" الغربي الشيوعي، و قد كان هذا الأخير (إيفان) رافضا لقوانين و مبادئ الثورة البرولتيارية، لذلك حزم أمتعته و إنتقل إلى فرنسا، معتقدا أنه سيجد ما إفتقده في دولته، لكن سرعان ما خاب أمله و إنكسر لأن فرنسا لا تختلف عن بلده، فقرر أن يتوجه هذه المرة إلى الشرق (الروحاني) ليحصل على راحة نفسه[1].

حوار شيق دار بين محسن الشرقي و الغربي إيفان، في أول لقاء جمعهما ببعضهما البعض، حول أفكار كارل ماكس في كتابه (رأس المال)[2]، فدخل كل منهما في نقاش حاد و طويل حول مادية أوروبا (الغرب)، و روحانية الشرق، فلم يتمالك إيفان نفسه، و تهجم على أوروبا و علمها الحديث، و ما توصلت إليه من صناعة وترت الإنسان و جعلته يعيش قلقا، و ما أنتجه من أدب رديء لا يليق بمستوى القراءة الحديثة، و لعل سبب رداءة هذه النصوص راجع إلى كثرة الطلب حول القراءة التي أصبحت عادة كالسجائر أو الأفيون ، فالطلب كثر و المستوى قل ، على عكس ما كانت عليه القراءة قديما فجودتها كانت في قلتها[3]، ثم يضرب لنا "إيفان" مثال عن المثقفين الغربيين الذي يدعون الإيمان ، و ما إيمانهم إلا لعبة أدبية ملفقة ، و من بين

[1]– ينظر المرجع نفسه، ص 190.

[2]– ينظر مصطفى فاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 201.

[3]– ينظر توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، ص 158.

هؤلاء الأديب الفرنسي "جان كوكتو" الذي جرب الأفيون ثم عاد إلى الإيمان فأنكر "إيفان" إيمانه لأنه ليس إيمانا صادقا يقول:" إن أوروبا كلها الآن ليست إلا رجلا مفكرا قلقا حائرا يتعاطى الأفيون، إن "جاك كوكتوا" هو كل أوروبا في أزمتها الحاضرة"[1].

ما يحمله "إيفان" من حقد و كراهية لأروبا يحملها محسن أيضا، لذلك "فإيفان" لم يتعب و لم يتوقف عن توجيه نقده لأروبا، بل واصل نقده اللاذع لأروبا و مساوئ ماديتها قائلا:" .... إن علمها الحديث كله، و هو وحده الذي تتيه به البشرية في مختلف تاريخها ....إن السكك الحديدية و الطيارات قد أعطتنا السرعة و توفير الوقت و لكن ما فائدة ذلك؟ و لماذا السرعة؟ .... كأنما قد هبطت علينا شياطين تلهب ظهورنا بالسياط .... من الذي إستفاد من هذه السرعة الملعونة غير قبضة من النهمين، جمعوا في أيديهم الثروات و سموا بالرأسماليين"[2]، ثم يضيف قائلا:" فكل شيء في هذه المدينة الحاضرة يتآمر على قتل الفضائل الإنسانية العليا .... مصيبة المدينة الأوروبية نزلت منذ إستقرار الصناعة الكبرى .... هذه الصناعة التي شطرت المجتمع الأوروبي إلى شطرين .... لم تبقى له حتى تلك اللذة الفنية القديمة .... و ما الفرق بينه و بين الآلة ...."[3]، فغاية الحكيم من هذه الإستشهادات الكثيرة التي ذكرها على

[1]- المصدر نفسه، ص 164.

[2]- المصدر نفسه، ص 155-156.

[3]- المصدر نفسه، ص 157-158.

لسان "إيفان" هو الكشف عن التعاسة و المأساة التي يعاني منها الإنسان الحديث في ظل المادية الغربية[1].

رد جورج طرابيشي على كلام و إستشهادات الحكيم بقوله:" إنه يقلب المعايير جميعا ويجعل من أعظم إنجاز و أروع فتح في تاريخ البشرية إطلاقا، أي الصناعة الحديثة، آفة الآفات و مصدر الشرور و الآثام جميعا، و الواقع أن الهجوم على الصناعة الكبرى قد لا يعدو أن يكون سذاجة صوفية إذا صدر عن قلم كاتب غربي و برسم قارئ غربي، أما على لسان كاتب شرقي و برسم قارئ و بتعبير أدق على لسان كاتب من مجتمع متخلف برسم قراء هذا المجتمع عينه،فإن الحديث حتى عن خيانة قومية و تضليل قومي يصبح جائزا، و في هذا الحال تنقلب السذاجة الصوفية .... إلى دعوة إمبريالية الإلهام و الواقع .... إلى تأييد تخلف العالم المتخلف إذا إن الحكيم في إنتقاده للمظاهر المذكورة آنفا إنما يدعو إلى شلل الحياة و العودة بها إلى الوراء للهيام في الصحراء القاحلة .... أما أنا و أنت و بقية الآدميين الوادعين فقد خسرنا تلك الرحلات الطويلة على ظهور الجياد أو الإبل ...."[2].

إن زيف الحضارة الغربية و أنانيتها جعل إيفان الشيوعي ينبذها و يمقتها هي و ماديتها، و ينتصر للشرق الروحاني الطاهر، فعندما أحس ببرودة الموت ، لم يتمنى إلا شيئا واحد هو الذهاب إلى الشرق حيث سيجد راحة نفسه و إطمئنانها ، يقول إيفان

[1]– ينظر سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 361.

[2]– المرجع نفسه، ص 362.

لمحسن عندما أحس بقرب أجله[1]:" دعني، أيها الشاب، سنذهب إلى الشرق، أريد أن أرى جبل الزيتون، و أن أشرب من ماء النيل، و ماء الفرات، و ما زمزم ...."[2]، فروح إيفان كلها معلقة بروح الشرق، لأنه لم يعلم أن كل شيء تغير في الشرق، و أن الشرق لم يبقى شرقا كما كان ، فلا شيء يبقى على حاله، إلى أن يوقظه محسن من أحلامه الشرقية فيقول:" مهلا مهلا أيضا الصديق!إن النبع الذي تريد أن تراه (الشرق) و تلك الأنهار التي تريد أن تشرب منها: قد تسممت كلها! إن الفتاة الشقراء (أوروبا) يوم حقنت فخذها بالمورفين السام لم تترك أبويها (آسيا و إفريقيا) سالمين، لقد قضي الأمر، و لم يعد هناك نبع صاف، فإن الزهد قد ذهب كذلك من الشرق، و رجال الدين أفسق من زملائهم في الغرب ...."[3].

و عن هذا الموضوع بالذات (روحانية الشرق) سئل توفيق الحكيم فرد قائلا: " الحكيم: فكرة الشرق شرق و الغرب غرب هذه ليست صحيحة، تصور البعض أن الشرق كان ومازال روحيا فقط، و أن الغرب كان و مازال ماديا فقط، تصور يتجاهل الحقيقة، و قد ذكرت هذه الحقيقة في كتابي من "البرج العاجي" حين قلت ما نصه: يذكرون أن كاتبا شرقيا راعه إفتقار بلاده إلى ما عند الغرب من أسباب القوة فقال:" أنا الشرق، عندي فلسفات فمن يبيعني بها طائرات ! هذه الكلمة خطأ كلها ، فليس عند الشرق اليوم فلسفات ، و أن الشرق يوم كانت موجودة في أرضه ، فكر في إختراع

[1]– ينظر باديس فوغالي، دراسات في القصة و الرواية، المرجع السابق، ص 152.

[2]– توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، المصدر السابق، ص 171 .

[3]– المصدر نفسه، ص 172 .

الطائرات عباس بن فرناس، بل إن الفلسفة يوم إنتقلت إلى الغرب، إنتقلت معها بذرة روح الإختراع التي أنبتت الطائرات"[1].

لا يمكن أن ننكر فضل و إيجابيات الحضارة الغربية علينا، و مدى إستفادتنا من وسائلها العلمية و مخترعاتها الحديثة، كما لا يمكن أن ننسى القهر الذي سببته لنا وسائلها الحربية، فأروبا سخرت تكنولوجيتها و وسائلها لقهر و إستعباد الشعوب الضعيفة[2]، يقول أرسلان في ذلك:" إن الحروب بين الدول قائمة متتابعة .... و الإختراعات التي تفتخر بها المدينة مصروفة إلى استئصال البشر ...."[3] ،و يشاطره الريحاني الرأي في مادية الغرب المدمرة فيقول:" هذه مدنية أوروبا اليوم، مدنية كهرباء و بخار، مدنية تجارة و إستغلال، مدينة حروب و إستئثار، ليس فيها للضمير و الذمة أثر من الأثار، مدنية جذورها حب الذات و الاستئثار و ثمارها اليأس و الإنتحار، لا تقولوا بالغت، فإن كلامي من الإختبار، لا من المجلات و الأسفار"[4].

فالغرب لا تهمه إلا مصلحته حتى و لو كانت على حساب مصلحة الآخر و هلاكه، و لا يهمه لا التمسك بالأخلاق و لا غيرها، المهم عنده هو تفوقه ، فشعاره المادة ثم المادة ، يقول "كرد علي"* : " لا يستغرب أحد ما يشاهد من غارات الدول

---

[1]- توفيق الحكيم البرج العاجي المرجع السابق ص 819 – 820 .

[2]- ينظر سالم المعوش، المرجع السابق، ص 362.

[3]- أرسلان، حاضر العالم الاسلامي، نقلا عن نازك سابا بارد، الرحالون العرب و حضارة الغرب، المرجع السابق، ص 372.

[4]- الريحاني، القوميات، نقلا عن نازك سابا يارد، المرجع نفسه، ص 375.

*- كرد عليمحمد ولد في دمشق 1876م، مفكر سوري و من رجال الفكر و الأدب، توفي 1953م.

المستعمرة مادمنا موقنين أن المدينة الحديثة هي إبنة المادة، و الإنصاف يقل في أهل المادة، و هم يحتقرون في سبيلها المثل العليا و الأخلاق الفاضلة، و تقبل أذهانهم كل وسيلة ما دامت الغاية جمع المال"[1]و أيده أرسلان في قوله هذا:" كل مدنية أوروبية تقريبا هي مستغرقة في خدمة الحواس، و لسان حالها ينادي المادة، المادة"[2].

[1]– كرد علي، الاسلام و الحضارة العربية نقلا عن نازك سابا يارد، المرجع نفسه، ص 373.

[2]– أرسلان، الإرتسامات اللطاف عن نازك سابا يارد، المرجع نفسه، ص 373.

**المطلب الثالث: فشل الحوار بين الشرق و الغرب (فشل الأبطال)**

إن ذهاب المثقف العربي أو البطل العربي إلى الغرب للإنتقام، لم يأت بأي نتيجة، فكل المشاريع الإنتقامية التي خطط لها الأبطال الشرقيون باءت بالفشل، و لعل سبب هذا الفشل الذريع هو تصورهم و فهمهم الخاطئ للغرب، فمصطفى سعيد و غيره من الأبطال العرب لم يهيئوا أنفسهم جيدا لمواجهة الغرب، فكان سلاحهم الوحيد هو فحولتهم، و هي وسيلة لا تميز حضارتهم الشرقية المحافظة، متخذين في ذلك المرأة وسيلة للإنتقام من الرجل الغربي، فقد ظن مصطفى سعيد مثلا أن تلك المغامرات و العلاقات الجنسية التي أقامها مع المرأة الغربية هي بداية الحرب مع الغرب، لكنه صدم في النهاية بالهزائم المتتالية التي تلقاها من قبلهن، فغزو الرجل الغربي في عقر داره لا يعني هزيمته، لأن المراة الغربية لا تملك أصلا شرفا تتأسف على فقدانه[1].

فهم " ليس عندهم شيء من النخوة و الغيرة، يمشي الرجل مع إمرأته و يلقاه آخر، فيأخذ المرأة و يعتزل بها، و يتحدث إليها، و الزوج واقف بعيدا ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طولت مع المتحدث تركها و مضى ...."[2].

عادة ما يستخدم الجنس ليفيد التناسل، لكن مصطفى لم يستخدمه لذلك بل لغرض آخر، فقد أصبح الجنس عنده "دافعا لإستمرار الحياة ، ليس بمعنى التناسل و

[1]– ينظر الى حفناوي رشيد بعلي، الطيب صالح و الابداع الكتابي، المرجع السابق ص 139– 140.

[2]– د. غسان السيد، صورة الغرب في الأدب العربي، رواية فياض نموذجا لخيري الذهبي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد الثالث+ الرابع، 2008م، ص 100.

إنما بمعنى إستمرار الصراع الذي يدفع بالحياة إلى الأمام ...."[1]، فكل حقد " مصطفى س" و نقمته على الغرب أخرجه من خلال الجنس ظنا منه أنه يثأر من الغربي و يتفوق عليه، لكن سرعان ما يقف في منتصف الطريق مكسورا مهزوما، لأن السلاح الذي وظفه (الفحولة) لم يكن السلاح السليم المناسب للغزو " فنكسة مصطفى سعيد مردها إلى خرافة سيادة "الفحولة" التي يتوهمها المجتمع العربي، انها الوسيلة المتكافئة التي تمنح له القدرة لا على المواجهة فحسب، بل على الإنتصار على الخصم"[2]،و البطل الشرقي في رواية " موسم الهجرة إلى الشمال" بطل ثائر متلهف الثأر، " أراد أن يغزو الغرب جنسيا كما غزاه الغرب ثقافيا"[3]، لكن محاولته هذه فشلت فإنكسرت رجولته أمام المرأة الغربية التي ظن أنها صيد سهل.

إن لجوء الأدباء العرب إلى عمليتي " تأنيث الغرب و تذكير الشرق" ما هي إلا لعبة وهمية إتخذها الروائي وسيلة لتعزيز ثقته بنفسه و دعمها، على أنه الذكر الأقوى الذي يسيطر على الأنثى الغربية (الغرب)، لكن الوهم شيء و الواقع شيء، فسرعان ما ينصدم بهذه الأنثى الغربية التي كشرت عهن أنيابها و مخالبها و إفترسته، لأنها دائما مستعدة للمواجهة و القتل، فلم يكن له حل في النهاية إلا الخضوع و الإستسلام لأوامرها[4]، منهزما، مطأطأ الرأس، و لعل سبب هذا الإنهزام راجع إلى سذاجة خطته و

---

[1]– بوجمعة الوالي، الصراع الحضاري في الرواية العربية، المصدر السابق، ص 76.

[2]– المرجع نفسه، ص 110.

[3]– المرجع نفسه، ص 110.

[4]– ينظر المرجع نفسه، ص 95.

سلاحه، فالأدباء توهموا أن "إتصالهم بالأنثى الأوروبية و توحدها معهم – جنسيا– كافيا لكسر حاجز المفارقة الحضارية فيما بين الحضارتين، العربية و الأوروبية و إعادة التوازن النفسي إلى شخصيتهم، إلا أن التجربة بينت إرتداء "لبوس الفحولة" و إتخاذ الجنس لغة بين الذات و الآخر، يؤدي إلى طريق مسدود"[1].

نتيجة هذه المواجهة مع الغرب هي نتيجة سلبية، لم يجن منها البطل الشرقي إلا الذل و الإنكسار و الخيبة (مصطفى س)، أو العزلة و التقوقع (محسن عصفور من الشرق)[2]، فشدوا رحالهم عائدين إلى أوطانهم لأنهم لم يتحملوا هزيمتهم و خيبتهم، هكذا عاد مصطفى سعيد إلى بلده متعبا و محطما، فبدأ حياته من الصفر، فهو "ليس من اهل البلد، لكنه غريب جاء منذ خمسة أعوام، إشترى مزرعة و بنى بيتا و تزوج بنت محمود، رجلا في حاله لا يعلمون عنه الكثير"[3]، و على الرغم من انه إنسان مثقف و يحمل شهادات عالية، إلا أنه تنكر لها في بلده السودان و لم يظهرها إطلاقا، فالمهم عنده هو راحة باله و طمأنينتها، لذلك إختار مهنة أخرى بسيطة هي الفلاحة و هذا حتى لا يجهد تشغيل فكره في أمور أخرى ذاق المر منها.

لقد أمضى "مصطفى س" كل وقته بين البيت و الفلاحة و المسجد " يحضر صلاة الجمعة في المسجد بإنتظام ، و يسارع بذراعه و قدحه في الأفراح و

[1]– المرجع نفسه، ص 96، 97.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص 95.

[3]– الطيب صالح، موسم الهجرة الى الشمال، المصدر السابق، ص 30 .

الأقراح...."[1]، إلى أن يأتي اليوم الذي يقرر فيه الإنتحار غرقا في النهر، بعد أن يترك وصية للراوي يوصيه فيها بولديه و زوجته " إنني أترك زوجتي و ولدي و كل مالي من متاع الدنيا في ذمتك .... لا أدري متى أذهب يا صديقي، و لكني أحس أن ساعة الرحيل قد أزفت فوداعا"[2]، و هذه الرسالة هي خير دليل على أن "مصطفى سعيد" قد هيأ نفسه للرحيل و الموت لأنه يئس من الحياة أو هو خائف منها و مما سيراه منها مرة أخرى، فهو لن يتحمل إنكسار وخيبة أخرى.

إذن هذه الروايات أثبتت و بينت لنا أنه من الصعب إقامة حوار و صلة بين الشرق و الغرب، و هذا الأمر أكده أيضا " فيلمراستيورتكاكونورثروب" في كتابه "نقد نوثرورب" للحضارة الغربية و موقفه من إلتقاء الغرب و الشرق"، و قد رد أسباب فشل الحوار و التفاهم بينهما إلى:

*أن الحضارة الغربية حضارة متقدمة و إيمانها بتفوقها هو الذي جعلها تفرض سيطرتها وجباروتها على الحضار الضعيفة[3]، أي أن الحضارة الغربية حضارة مغرورة طاغية ظالمة، تنظر نظرة إستعلاء إلى غيرها، فبمجرد أنها إمتلكت القوة أرادت أن تدوس على الضعيف، ولم تجد إلا الشرق لتمارس عليه هذه القوة و السلطة، و على كل حال هذا الأمر نعيشه حاليا مع أمريكا و سياستها القمعية التي تسعى إلى " سلب

---

[1]– المصدر نفسه، ص33 .

[2]– المصدر نفسه، ص 78 – 79 .

[3]– ينظر فيلمرستيورتكاكونورثروب نقلا عن وفاء عبد الحليم محمود، نقد نوثروب للحضارة الغربية، المرجع السابق، ص 43.

هوية الشرق و تحطيم قيمه الأخلاقية و الدينية، و التأكيد على التبعية و سلب كل الخيرات و الثروات و جعل الشرق مجرد تابع"[1].

*الموروث و الذاكرة التاريخية: يرجع سر فشل الحوار بين الحضارتين الشرقية و الغربية إلى تلك الحروب التي جمعت بين الطرفين سابقا و بقيت إلى اليوم راسخة في الذاكرة البشرية التي هي دائما متخوفة من الآخر و حاقدة عليه[2].

*إن سبب الإختلاف بين الحضارتين هو المنهجية العلمية المعتمدة، فكل منهما له منهجية خاصة به، فالفكر الشرقي مثلا يقوم و يعتمد على التأمل، أما الفكر الغربي فأساس منهجيته هو التجربة.

*إفتقاد كل من الحضارتين الشرقية و الغربية إلى لغة تسهل عليهم الحوار و التفاهم[3].

*لقد كان لأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2002م في الولايات المتحدة الأمريكية دور كبير في تفجير صراع جديد بين الشرق و الغرب، مما أدى أيضا إلى تكوين صورة سلبية مشوهة عن المسلمين بصفة عامة[4]. فمنذ ذلك الهجوم على الولايات المتحدة و الضربات العسكرية ضد أفغانستان تحول مشهد الرعب لتصادم الحضارات واقعا و حقيقة . ومهما كانت الحقيقة التي نكتشفها وراء ذلك الهجوم فأي

---

[1]– المرجع نفسه، ص 82.

[2] – ينظر د. أحمد عارف أرحيل الكفارنة، معوقات الحوار بين الشرق و الغرب، المرجع السابق، ص 294.

[3]– ينظر فيلمرستيورتكاكونورثروب نقلا عن وفاء عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 82.

[4]– ينظر د. أحمد عارف أرحيل الكفارنة، المرجع السابق، ص 296.

دوامة جديدة للعنف تؤدي إلى انهيار الانسانية في عهد جديد من الظلام و العتمة. ومن الضروري أيضا أكثر من أي وقت مضى في هذه الحالة أن نحدد من جديد أسس العقل و المبادئ العلمية التي تجعل من " حوار الثقافات " ممكنا إلى أعلى مستوى.[1]

*إن دعوة الغرب إلى العناية بحقوق الإنسان و في نفس الوقت أمروا بالظلم و التجبر و التعدي على حقوق الناس، سبب خللا في عملية التواصل و التفاهم بين الشرق و الغرب.

*إن الربط بين الشرق و الغرب و تمكينهما من الحوار مع بعضهما البعض، هو حلم مستحيل،" فالتمزقات التي يمر بها عالمنا المعاصر الآن و مخزون الأسلحة البيولوجية و النووية، يجعل الإنسان في حالة فزع و خوف، بل و يجعل الشرق ينظر إلى الغرب بعين الإشمئزاز"[2]، فإلى متى تبقى هاتان الحضارتان متصارعتان، لابد من إيجاد حلول لخلق الحوار و التفاهم بين الشرق و الغرب، فإلى ماذا يحتاج الحوار كي يتم بطريقة إيجابية سلمية بين الطرفين؟.

لطالما كان الحوار رمزا و شعارا للتواصل بين الأمم، فبالحوار تطرح الأفكار و الآراء للنقاش و المعالجة، ومن ثم إيجاد الحلول لكلا الطرفين المتجادلين أو المتصارعين، لأن هدف الحوار هو التخفيف من حدة الصراع و الدعوة إلى التسامح و

[1] . Helga zep, appel a participer à une correspondance international pour un « dialogue des cultures » la rouche , présidente de l'institut schiller le 15 Octobre 2001, www.solidarité et progresse. Org / jaque-cheminade-contre-choc-désivilisations. HTM → 11 :42, page 3.

[2]– فيلمر ستيورت كاكو نورثروب ، المرجع السابق، ص 83.

التصالح بين الشعوب و الأمم بشرط أن يكون للطرفين قابلية للتسامح و التفاهم، و كذا التخلي عن الإستعلاء، و يمكن هنا أن ندرج بعض الحلول والتي تمكن من خلق حوار إيجابي بين الحضارتين:

*حتى يتم هذا الحوار مع الطرف الآخر الغربي لابد لنا من المعرفة الجيدة له، من عادات و قيم و دين و كل ما يتعلق بإقليمه[1] ، و إنصاف و إعطاء كل ذي حق حقه، و هذا الإنصاف ما نراه مع أشقائنا الفلسطنيين، فالغرب الأمريكي مثلا إلى الآن مازال يغض النظر عن جرائم المعسكر الصهيوني في فلسطين المقهورة، فأين هو التفاهم و الإلمام بظروف هذه الأقاليم المظلومة[2]، و لعل هذا بالضبط ما تفطن له نورثروب فدعا إلى :" فحص المشكلات الأوسع نطاقا مع الإلمام بالتفاصيل المحلية، التي يسمح الوقت بإكتسابها، لذلك فإن العلاج كما يقدمه نورثروب يتضمن الجمع بين خبرة المتخصص المحلي و المتخصص العالمي، الذي يواجه الإنتباه إلى الصراعات و العلاقات المتبادلة، و قبل أن يتحقق ذلك لابد من توافر الخبرة و تطويرها و إذا تحقق ذلك فإننا نتجه إلى الإيديولوجيات الغربية للتعرف عليها ...."[3].

* لوسائل الإعلام دور كبير في خلق حوار فعال سلمي بين الحضارتين ، لذلك لابد على الإعلام من ان يخفف من تضخيم الأحداث و زرع الحقد و الخوف بين

[1]– ينظر فيلمرستيورتكاكونورثروب نقلا عن وفاء عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 83.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص 52.

[3]– المرجع نفسه، ص 53.

الطرفين[1]،لأن الإعلام المعاصر أصبح يخدم المصالح الشخصية لكل دولة، فبه يثور الشعب و به يهدأ، و مادام الإعلام له كل هذه القدرة العجيبة في السيطرة على الشعب لابد من أن يوظف ليكون واسطة للصلح بين الشعوب.

*لكي يسود التفاهم بين الحضارتين و يتم الحوار بينهما لابد للغرب أن يتنازل قليلا و يتواضع لفهم الشرق فهما صحيحا و يترك على جنب تلك النوازع القومية و الدينية و يتعامل معه بطريقة موضوعية، نبني من خلالها مستقبل حضاري زاهر، آمن، فنرتاح من الحروب و أهوالها[2].

*يجب على كل حضارة أن تحترم خصوصية الحضارة الأخرى، و أن تتخلص الحضارة الغربية من فكرة التحكم في الآخر و إبقائه تابعا لها[3].

هذا هو حال الإنسان أو البشرية جمعاء، دائما في صراع مع نفسها أو مع الآخر، فالعملاق (الغرب) يدوس على الشرق، و القوي يأكل الضعيف من أجل الحصول على الثروات و الخيرات التي تفنى و تزول، فأساس الصراع هو طمع و جشع الغرب و غروره بتفوقه، لذلك فهوه لا يعطي أي فرصة للشرق كي يتحاور معه لأنه هو الأقوى، فمكانته لا تسمح له كي يتجادل مع الشرق، و لعل هذا ما لاحظناه في الروايات العربية مع الأبطال العرب، الذين عادوا خائبين إلى أوطانهم، فأوروبا داست على كرامتهم و لم تمنحهم حتى شرف الإنتقام ( مصطفى سعيد ) لأنها مستعدة للمواجهة في أي لحظة حتى و لو كانت المواجهة و الهجوم على غفلة فهي دائما

[1]– ينظر .أحمد عارف أرحيل الكفارنة، المرجع السابق، ص 305.

[2]– ينظر فيلمرستيورتكاكونورثروب نقلا عن وفاء عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 84.

[3]– ينظر د. أحمد عارف أرحيل الكفارنة، المرجع السابق، ص 305.

مهيأة لذلك، حتى الحوار لم تقبله منهم، فبطل "الحي اللاتيني" مثلا عندما أراد أن يصحح خطأه بالزواج من جانين مونثرو و الإعتراف بجنينه منها، و هو يعني بهذا (تزاوج الحضارتين الشرقية و الغربية) لم تقبل عرضه بالزواج، و هذا يعني رفض الحضارة الغربية تزاوجها و إتصالها بالحضارة الشرقية.

إن هذه المرأة الغربية التي ظن الأبطال العرب أنها ستكون سبيلهم و وسيلتهم في الإنتقام من الغرب، خيبت أملهم و طعنتهم في ظهرهم، فالخنجر دائما معها لتطعن عدوها، فلا تترك له اي فرصة للفوز و الإنتقام على الغرب، و هذه الطعنة هي التي ردت البطل مكسورا إلى وطنه، لكنه على الرغم من ذلك ظل يحن إلى جو الغرب (مصطفى س و الغرفة اللندنية)، أي أن المثقف العربي لعب دورين، الشخصية الأولى، هي شخصية الشرقي المنتقم لحضارته، و الشخصية الثانية هي شخصية الرجل الباحث و المتهلف لحرية و حياة الغرب، ففي هذه الروايات إذن:" تجسيدا واعيا لموقف التردد بين الحضارتين، فالشرق في وجدانه غائر حتى الجذور التي تمد قلبه بشرايين الحياة و الغرب في ذهنه ماثل حتى النخاع، فهو الذي يمد عقله بأسباب الوجود"[1].

[1]– باديس فوغالي، دراسات في القصة و الرواية، المرجع السابق، ص 156–157.

# خاتمة

لكل بداية نهاية، و رحلتنا البحثية مع النصوص الروائية تنتهي هنا لتكلل بأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال الفصول الثلاثة المدروسة، و هي كما يلي:

* يعد علم الصورة أو الصورائية، من أحدث المجالات في الأدب المقارن" imagologie " و أكثرها إهتماما بالعلاقات بين الشعوب و تواصلها الثقافي، كونها تسعى إلى دراسة صورة البلد الأجنبي و تجلياتها في الأعمال الأدبية، مما يساعد على توضيح و كشف الغموض عن تلك الصور الخاطئة التي تقدمها الأمم لغيرها نتيجة سوء الفهم و قلة الإطلاع، أو أحيانا بغية تشويه الآخر عمدا لزرع الفتن و توليد العداء بين الشعوب، وهنا يأتي دور علم الصورة في إجلاء ذلك الغموض الذي ولده ربما حقد دفين اعطى و رسم صورة مشوهة عن الآخر.

* إن الصورة التي يرسمها الأديب لمجتمع أجنبي لا تعبر عن هموم ذلك المجتمع و مشكلاته فالأديب هنا يكون آخر همه هو مشكلات شعب آخر و إنما تعبر أولا عن مشكلات الأديب نفسه و مشكلات قومه في مواجهة الآخر، لذلك فالصورة ما هي الا وسيلة يرى من خلالها المجتمع مرآة أعماقه فيها من قبح و جمال، تخلف و تقدم، فتحاول الذات بفضلها أن تتدارك الوضع و تحسن من مستواها لتنافس الآخر و تواكبه.

* تستند الذات في تشكيلها لصورة الآخر و بلورته إلى عنصرين أساسيين هما "المخيال الجماعي" الذي هو عبارة عن كل ما علق بذهن الشعوب خلال فترة أو مرحلة زمنية معينة ثم تطور مع التاريخ، ثم الى عنصر "الوعي" اي وعي الذات للآخر و حسن إدراكه.

* إن اللقاء بين الشرق و الغرب أخذ مسارين مختلفين عبر التاريخ، الأول كان لقاء صدامي عنيف دام لفترات طويلة و قد ظهر ذلك من خلال الحروب الصليبية، أما الثاني فقد كان لقاء ثقافي سلمي له غايات خفية تخدم المشاريع الغربية.

* إن الموقع الإستراتيجي و الثروات التي يتمتع بهما الشرق جعلاه محط أنظار الغربيين، لذلك إن أول ما حرك الحروب الصليبية هو أطماع مادية و معنوية سعى الغرب لتحقيقها في الشرق.

* بعد مائتي عام من الصراع عاد الصليبيون أدراجهم منهزمين، مستفيدين من تلك الهزيمة على عكس الشرق الذي لم يستفد و لم يجن شيئا من إنتصاره.

* إن الأوضاع المزرية التي كانت تعاني منها أروبا أنذاك حتمت على المرأة الأوروبية المشاركة أيضا في الحروب الصليبية و قد قامت بعدة أدوار منها المرأة المحاربة، المتزوجة الحاكمة، و قد تميزت بالقوة و الشجاعة و الحنكة كما تميزت بالغنج.

* إتضح لي بأن الإستشراق الذي إعتبره البعض جسرا للإتصال و التبادل الفكري بين الشرق و الغرب ما هو إلا إستراتيجية سياسية خططت لها القوى الأوروبية لتحقيق مصالحها السياسية قبل الثقافية في الشرق، و بالتالي فإن العداء و الخلاف بين الشرق والغرب لم ينته بل إتخذ الصراع بينهما لونا آخر.

* ما لوحظ في هذا الإستشراق أنه قدم و أنتج صورا نمطية مشوهة عن العرب فقد أظهر الشرقيون و العرب سذجا، غافلين محرومين من الحيوية و القدرة على المبادرة ،و لعل هذا ما يخلق و يولد حقدا و صراعا جديدا بين الطرفين فيما بعد.

* لقد كان للحملة الفرنسية على مصر فضل في تنوير عقول المصريين، ففتحت أمامهم آفاق جديدة كلها حلم بالتطور و التغيير، و هذا بفضل الوسائل التكنولوجية الجديدة التي

جلبتها معها، لأن الآخر الفرنسي المتمثل في العتاد العسكري و العلمي، و في المصاحبات الثقافية و الاجتماعية و السياسية للحملة الفرنسية كان بمنزلة المرأة التي رأى بواسطتها الوعي القومي حقيقة ما وصل إليه عالمه، و أدرك على نحو صادم أوضاع هذا العالم في علاقات تراتبه الجامد، و إنغلاقه الخامل فوعى تخلفه مصدوما، مقابل إدراكه تقدم الآخر الذي هزمه بما لا طاقة له به من علم، و مخترعات و عتاد و علماء و أوضاع و علاقات لا تعرف التقليد المتحجر و الإنغلاق الجاهل.

* إن حملة نابليون بونابرت لم تكن نعمة بقدر ما كانت نقمة، فالمحتل الغازي لا تهمه ثقافتنا و تطورنا بقدر ما يهمه إلغاء هويتنا و تدميرنا و تشتيتنا، لذلك إعتبرها الكثير فترة مظلمة و مؤلمة هدفها نهب خيرات مصر و الإستيلاء عليها.

* إن سبب سقوط و فشل النهضة العربية هو تدخل الأيادي الخارجية (الإستعمار) لقطع طريق التقدم امامنا .

* تحقيق النهضة العربية مرتبط بشروط ثلاثة هي: سقوط الغرب، التحرر من تقديس التراث، و حضور "الأنا" حضورا واعيا.

* تحقيق النهضة العربية يكون بتحقيق الوحدة العربية، لذلك علينا أن نتحد جميعا لنبني معا حضارتنا و مستقبلنا.

* بين البحث أن النهضة الأوروبية هي التي منحت المرأة الأوروبية الحرية الكاملة، فقد أوجدت النهضة عصرا للمرأة، و هيأت لها مجالا جديدا و أهمية جديدة تلائم قدراتها.

* إن الظلم و الإستبداد و الحرمان الموجود بالشرق جعل الرجل الشرقي يحزم أمتعته و يقصد أوروبا بحثا عن الحرية و المتعة، لأن الغرب هو فضاء مفتوح متحرر لا مكان فيه للقمع و الكبت، فهناك سيجد راحته و استقلاليته و هنا يمكن أن نقول إن الغرب صار البيئة

البديلة لكل شاب عربي.

* إن المرأة الغربية أو الفتاة الشقراء كانت هاجس كل رجل عربي يقصد الغرب، و قد رد أحمد زكي سبب السفر إلى بلاد الغرب و الغاية منه هي أن نمتع النواظر برؤية الوجوه النواظر، و اللحاظ الفواتر، و الثغور البواسم، و الخدود النواعم، و القدود المياسة، و الخصور النحيلة، و كأن باريس أو الغرب كله هو عاصمة أو مركزا للأنثى الشقراء المتحررة.

* عبر الروائيين العرب عن صورة المرأة الغربية بصفات سلبية كثيرة تتراوح بين التعجرف، و التسلط، و الأنانية، و الخداع و المكر، و الإستغلال، لكن هذا لا يعني أننا سنسقط كل هذه الصفات السلبية على كل النساء الغربيات، لأن هناك فئة من النساء الغربيات يتميزن بصفات إيجابية حسنة كالوفاء و الإخلاص، العمل و الثقافة، عزة النفس و النزاهة.

* تطرح الرواية العربية الصراع القائم بين الشرق و الغرب، و الحقد الدفين الذي ولده الإستعمار في وقت مضى، فآن الآوان للرجل الشرقي أن ينتقم و يأخذ بثأره من الرجل الغربي في عقر داره.

* أوضح البحث أن الرجل( البطل الشرقي) وظف فحولته سلاحا في إنتقامه من الغرب من خلال فتاته الشقراء التي كانت صيدا سهل المنال بالنسبة له مستخدما في ذلك سحر الشرق كطعم لصيدها.

* المرأة الغربية هي رمز ووجه لأروبا الطاغية التي تريد أن تلغي قيمنا و هويتنا الشرقيةو قد ظهر ذلك مع جين مورس التي طلبت ثمن القيم الشرقية الحضارية مقابلا لها فداست عليها و أرادت أن تحطمها.

* إن وقوف الذات الروائية أمام الغرب الحضاري أول مرة جعلها تشعر بالإنبهار و الإندهاش لعظمة هذه الحضارة الراقية، لكن سرعان ما تتبدد هذه الصورة التي كونها الروائي

عندما يكتشف البطل الشرقي( محسن) أن كل شيء مزيف فيها و أن ماديتها أفسدت البشرية.

* إذا غاب الإنتقام عند البطل المغاربي فإن المرأة الغربية لم تفوت فرصة الإنتقام عليها، و هذا ما لاحظناه مع فرنسواز و البشير في رواية ما (لا تذروه الرياح) فقد جمعتهماالعلاقة السادية التي تجمع الغازي المستعمر (فرنسا) بالمستعمر (الجزائر).

* بين البحث أن الغرب ينظر إلى الرجل الشرقي نظرة إحتقار و إستعلاء، فهو في نظره مجرد رجل همجي متخلف، و متوحش، لا يستحق إلا الضرب و الإهانة فمصطفى سعيد مثلا مع أنه رجل فائق الذكاء و متعلم إلا أن الغرب لم يعترف بتفوقه بل نبذوه و حطموه لأن إعترافهم له بتفوقه و تحضره هو إعتراف للحضارة الشرقية كلها.

* إن المشاريع الإنتقامية التي خطط لها الأبطال الشرقيون باءت بالفشل، لأن هذه المواجهة

كان لابد لها من تحضير مسبق و أسلحة ووسائل تساعد و تدعم هذه المواجهة، و هذا ماإفتقده البطل الشرقي، فهو لم يجد سلاح إلا فحولته التي عززت ثقته بنفسه على أنه الذكر الأقوى الذي يسيطر و يهزم الأنثى الغربية (الغرب) لكنه ينصدم بها عندما تكشر عن أنيابها و مخالبها و تواجهه بكل قوة فلا يجد حلا في النهاية إلا أن يعود الى وطنه منهزما مطأطأ الرأس .

لا يسعني في الأخير إلا أن أقول أن صورة المرأة الغربية في الرواية العربية لم تعرف الثبات و كانت في تغير دائم و ربما يكون هذا راجع لطبيعة الآخر، ووجهة نظر الكاتب الخاصة به، و الظروف المحيطة بها، فكل هذه الأمور لها دور كبير في رسم صورة عن المرأة الغربية، كما ينبغي أن نشير إلى أن هذا التصادم و هذا الإنهزام أمام الآخر ما هو إلا بداية جديدة ناجحة للأنا في المستقبل، لأنها رأت نقاط ضعفها في مرآة الآخر فسعت و

عزمت على مجاراة حداثته، كما ستسعى لخلق حوار إيجابي أساسه التبادل و الفهم الصحيح بينهما.

و في الختام آمل أن هذه الدراسة قد أجابت على الأسئلة التي كانت تشغلنا منذ البداية و هي أسئلة متشعبة أساسها اللقاء بين الشرق و الغرب قديما و حديثا و موقع المرأة الغربية في هذا الصراع.

# قائمة المصادر

# و المراجع

# قائمة المصادر و المراجع

## أولا- المصادر

1-إدريس (سهيل).الحي اللاتيني، دار الآداب، بيروت، ط 15، 2007 م.

2-الحكيم (توفيق). عصفور من الشرق، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، د.ط، د.ت.

3-زفزاف (محمد). المرأة و الوردة، الشركة الوطنية للناشرين المتحدين، الرباط، دط دت.

4-صالح (الطيب). موسم الهجرة إلى الشمال، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، 2004 م.

5-عرعار(محمد العالي)، ما لاتذروه الرياح ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1982 م .

## ثانيا: المراجع العربية

6-أزوط (جورج). سهيل إدريس في قصصه و مواقفه، دار الآداب، بيروت ط1 1982 م

7- إبراهيم (عبد الله). المطابقة و الإختلاف بحث في نقد المركزيات الثقافية، دار الفارس للتوزيع و النشر، الأردن، ط1، 2004 م.

8- بلحاج( زهرة). الغرب في فكر هشام شرابي، دار الفارابي، بيروت، ط1 ، 2004 م .

9- بوطالب (محمد نجيب). صورة الآخر ناظرا و منظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2008

10- جبري (عبد المنعم عبد الله). المرأة عبر التاريخ البشري، دار الصفحات للطباعة و النشر، دمشق، دط، دت .

11-الجبوري (عادل). الإسلام و الغرب قراءات معاصرة، دار النهضة للطباعة و النشر، ط1، 2003 م .

12- الجابري (محمد عابد). الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 1994 م .

13- الجابري (محمد عابد) إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 2005 م.

14-الجابري (محمد عابد). المشروع النهضوي العربي، مراجعة نقدية مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط1، 1996م .

15- الحكيم (توفيق). تحت شمس الفكر، دار مصر للطباعة، دط، دت.

16- الحكيم (توفيق). البرج العاجي، المؤلفات الكاملة المجلد الأول، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1994 م .

17- الحكيم (توفيق). زهرة العمر، دار الشروق، مصر، ط2، 2008 م .

18- الحنفي (حسن). مقدمة في علم الإستغراب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2006 م.

19 – لحمداني (حميد). في التنظير و الممارسة، دراسات في الرواية المغربية، دار قرطبة للطباعة و النشر، الدار البيضاء، ط1، 1986 م .

20- حراز السيد (رجب). عصر النهضة، دراسة في الحضارة الأوروبية الحديثة، دار النهضة العربية، القاهرة، دط، دت .

21- حفناوي بعلي( رشيد). الطيب صالح و الإبداع الكتابي، دار اليازوري، عمان، ط1، 2015 م .

22- حجازي( سمير). ثقافة العرب و ثقافة الغرب في قراءة العصر، مؤسسة طيبة للنشر، القاهرة ،ط1، 2005 م.

23- الحسن (عيسى). موسوعة الحضارات( تاريخ، لغات، أعلام، قيم حضارية عادات و تقاليد، الأهلية للنشرو التوزيع، بيروت، ط2، 2009 م.

24- حنون (عبد المجيد). صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.

25-حمود (ماجدة). مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2000 م.

26- درويش( أحمد). نظرية الأدب المقارن و تجلياتها في الأدب العربي، دار غريب للطباعة، القاهرة، دط، 2002 م .

27- دراقي( زوبير). محاضرات في الأدب المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت .

28- رجب (محمد). فلسفة المرآة، دار المعارف، مصر، ط1، 1994 م .

29- الزيدي (مفيد). تاريخ الحروب الصليبية، دار أسامة للنشر، الأردن، عمان، دط، 2011 م.

30 - السعافين( ابراهيم)، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام 1870-1967 م، دار المناهل، بيروت، ط2، 1987 م.

31- الساموك (سعدون محمود). الوجيز في علم الإستشراق، دار المناهج، عمان، الأردن، ط1، 2003 م .

32- سمير( أمين). التمركز الأوروبي( نظرية الثقافة)، موفم للنشر، دط، 1992 م .

33 - سويدان( سامي). أبحاث في النص الروائي العربي، دار الآداب، بيروت، ط1، 2008 م.

34- سابا يارد( نازك). الرحالون العرب و حضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، مؤسسة نوفل للنشر، بيروت، ط1، 1979 م .

35 – شكري (غالي).أزمة الجنس في القصة العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، دط، 1971 م.

36- شكري (محمد فؤاد). الحملة الفرنسية و خروج الفرنسيين من مصر، دار الفكر العربي، دط، دت.

37- الصلابي (علي محمد محمد). الجذور التاريخية للحروب الصليبية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008م .

38- الصفار( فوزية). أزمة الأجيال العربية دراسة في" موسم الهجرة الى الشمال" للطيب صالح، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر، دط، 1980 م.

39- طرابيشي (جورج). شرق و غرب، رجولة و أنوثة، دار الطليعة، بيروت، د.ط ،د.ت.

40- طرابيشي (جورج). لعبة الحلم و الواقع، دراسة في أدب توفيق الحكيم، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1972 م.

41- العريف بياتريكس( أسماء). الآخر في المخيال مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، دط ،دت.

42- عطية (حسين محمد). دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، دط، 2002 م.

43- عبد الوهاب (حسن حسن). مقالات و بحوث في التاريخ الإجتماعي للحروب الصليبية، دار المعرفة، الازاريطة، دط، 1979 م.

44- عليان( حسن). العرب و الغرب في الرواية العربية، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ط1، 2004م.

45 – عبد الفتاح عاشور (سعيد). الحركة الصليبية، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط1، 1963 م.

46- علوش (سعيد). الرواية و الإيديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط1، 1981 م.

47- عبده قاسم (عبده). ماهية الحروب الصليبية، دار روتا برنيت للطباعة، دط، 1993 م.

48- عتيق (مديحة). فصول في الأدب المقارن، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2011 م.

49- عبد الحليم محمود (وفاء). نقد نورثروب للحضارة العربية و موقفه من التقاء الشرق و الغرب، دار الآفاق لدنيا الطباعة، الإسكندرية، دط، دت.

50-غنيمي هلال (محمد). الأدب المقارن، نهضة مصر، ط3، 2003م.

51- الفتح (أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد). في الفتح القدسي، دار المنار، دط، دت .

52- فوغالي( باديس). دراسة في القصة و الرواية، عالم الكتب و الحديث للنشر، الأردن، ط1، 2010 م.

53- فاسي( مصطفى). البطل المغترب في الرواية العربية، موفم للنشر، الجزائر، دط،2008 م .

54- القادري بوتشيش (إبراهيم). بين أخلاقيات العرب و ذهنيات الغرب، رؤية للنشر و الطباعة، القاهرة، ط1، 2005 م .

55- المعوش (سالم). صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 1998 م.

56- المسيري (عبد الوهاب). دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2006 م.

57- موسى (فاطمة). في الرواية العربية المعاصرة ،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دط، دت .

58- ميخائيل (إبراهيم أسعد). شخصيتي كيف أعرفها؟، دار الآفاق الجديدة، لبنان، ط3، 1987 م.

59- المبارك (محمد)، بين الثقافتين الغربية و الإسلامية، دار الفكر، دط، 1980 م .

60- مصايف (محمد). الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقع و الإلتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر، دط، 1983 م.

61- نسيم يوسف (جورج). دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية للنشر، دط، 1983 م.

62- الورقي (السعيد). إتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، دط، 1998 م.

63- يعقوب (لوسي). عصفور الشرق توفيق الحكيم، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1949 م.

## ثالثا: المراجع الأجنبية المترجمة

64-إدوارد (سعيد). ترجمة محمد عناني، الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006 م.

65-بن نبي (مالك). ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين، شروط النهضة، دار الفكر، ط3، 1996 م.

66-باركر (أرنست). ترجمة السيد الباز العريني، الحروب الصليبية، دار النهضة، بيروت، ط2، دت.

67-فوك( يوهان). ترجمة عمر لطفي، العالم تاريخ حركة الإستشراق، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2001 م.

68-هنري باجو (دانييل). ترجمة غسان السيد، الأدب العام المقارن، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1997 م .

69-ياروسلاف( سيزار) و جوزيف، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب، د ط، دت.

## رابعا: الأطروحات الجامعية

70-بوعبد الله (جميلة). القيم و الإيديولوجيا في "رواية الحي اللاتيني" من البنية العميقة إلى البنية السطحية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000 -2001 م.

71-سوفلان (أمينة)، صورة الجزائر في الأدب الفرنسي، دي موباسان و ألبير كامو نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008 -2009 م .

72-شتوح (قنية) تأثير سارتر في أدب سهيل إدريس، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1984- 1985م.

73-طيبي (جمعة). صورة المرأة الغربية في الرواية الجزائرية، دكتوراه العلوم، الجزائر، 2015، 2016 م.

74-عطاشى (عيسى)، صورة الجزائر في أدب الرحلات الفرنسي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005 م .

75-مباركي (جمال). الغرب في الرواية العربية الحديثة، رسالة دكتوراه العلوم، باتنة، 2008، 2009 م.

76–مبخوتة (رعاش). صورة الجزائر في روايات "ألبير كامو"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2007– 2008 م.

77–مزوني (زهرة صورة). اليهودي في الشعر العربي، رسالة ماجستير، الجزائر، 2000– 2001 م.

78–الوالي (بوجمعة). الصراع الحضاري في الرواية العربية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993 م.

79–الوالي (بوجمعة)، المؤثرات العربية و الأجنبية في "رواية موسم الهجرة الى الشمال"أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2001، 2002 م.

## خامسا: المجلات و الدوريات

80– أرحيل الكفارنة (أحمد عارف)، معوقات الحوار بين الشرق و الغرب، مجلة دفاتر السياسة و القانون، جامعة البلقاء التطبيقية، المملكة الأردنية الهاشمية ،العدد الثالث عشر، 2015 م .

81–حويلي (نبيل). حكايات ألف ليلة و ليلة بعيون غربية، دراسة نقدية اناسية، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب ،منشورات المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، العدد الثاني، 2013 م.

82–السيد (غسان). صورة الغرب في الأدب العربي، رواية فياض نموذجا لخيري الذهبي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24 العدد الثالث + الرابع 2008 م.

83–سيف الدين( أحمد) صورة المرأة الأوروبية في روايات شكيب الجابري، مجلة دمشق، المجلد 18 العدد الأول، 2002 م.

84–طاهر (بهاء). تقابل الحضارات بين الأنا و الآخر في رواية "واحة الغروب"، مجلة إضاءات نقدية، جامعة طهران، إيران، العدد الثالث و العشرون، 2016 م.

85–قحطان زعير (عدنان). المخيال الإجتماعي و تمثلاته في مهارات التمثيل المسرحي، مجلة لارك للفلسفة و اللسانيات و العلوم الإجتماعية، كلية الفنون الجميلة، جامعة واسط، العراق، العدد الخامس و العشرين، 2017 م.

86–قاسمي (ليلا). صورة الذات و الآخر في رواية "سوشون" مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، إيران، العدد التاسع عشر، 2014 م .

87–مكاكي (محمد). صور من عناية الإستشراق المعاصر بالأدب العربي، الأدب النسوي انموذجا، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب، منشورات المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، العدد الثاني، 2013 م .

## سادسا: المجلات الأجنبية

88-El hanafy ahmed mohamed limage de lautre a travers la lampe a huile egyptien a paris de yehia hakki etude analytique et compare universite dalazhar –le caire-egypte –nor sud –juin 2017 .n09 .

89-Namvar bahman les stereotypes a travers le prisme de limagologie recherche en langue et littérature francaise revue de la faculte des lettres a nnee n07 .

## سابعا: المواقع الالكترونية

90-www.solidarite et progres .org jaque –cheminade –contre –choc-des civilisations .htm 11 42.

## ثامنا: المعاجم و القواميس

91– البستاني (بطرس). قطر المحيط قاموس لغوي ميسر، أطلس البلاد العربية و القارات، مكتبة ناشرون، ط2، 1995 م .

# فهرس الموضوعات

# فهرس الموضوعات


| | | |
|---|---|---|
| مقدمة | | |
| مدخل | علم الصورة مفهومها أنواعها و أهدافها | **14** |
| الفصل الأول | الصراع بين الشرق والغرب و العلاقة بينهما | |
| المبحث الأول | إرتباط وتفاعل عدائي بين الشرق و الغرب | |
| المطلب الأول | مفهوم الشرق و الغرب و العلاقة بينهما | **34** |
| المطلب الثاني | الحروب الصليبية | **42** |
| المطلب الثالث | المرأة الأوروبية في المجتمع الصليبي | **55** |
| المبحث الثاني | إرتباط و تفاعل ثقافي بين الشرق و الغرب | |
| المطلب الأول | الإستشراق | **60** |
| المطلب الثاني | الحملة الفرنسية و دورها في النهضة العربية | **72** |
| الفصل الثاني | صورة المرأة الغربية في الرواية العربية | |
| المبحث الأول | الغرب مركز للحرية و الجنس | |
| المطلب الأول | تعارض القيم بين الشرق و الغرب إزاء الجنس | **91** |
| المطلب الثاني | تعطش الرجل الشرقي و المغربي للحرية و الجنس | **98** |
| المبحث الثاني | صورة المرأة الغربية | |
| المطلب الأول | المرأة و حرية ممارسة الجنس | **117** |
| المطلب الثاني | المرأة الغربية الإستغلالية الخائنة | **127** |
| المطلب الثالث | المرأة الغربية و سحر الشرق | **136** |
| المطلب الرابع | نشاط المرأة الغربية العمل | **142** |
| المطلب الخامس | المرأة المثقفة | **147** |
| المطلب السادس | بين المرأة الشرقية و المرأة الغربية | **154** |

| | | |
|---|---|---|
| الفصل الثالث | مشروع الإنتقام | |
| المبحث الأول | مشروع الإنتقام و أسلحته | |
| المطلب الأول | الإنتقام بالحب الحي اللاتيني موسم الهجرة إلى الشمال | **163** |
| المطلب الثاني | بين عطيل و مصطفى سعيد | **182** |
| المطلب الثالث | الحب الخيالي و الإنتقام عند توفيق الحكيم | **187** |
| المطلب الرابع | غياب الإنتقام في الرواية المغاربية | **193** |
| المبحث الثاني | الحوار بين الشرق و الغرب | |
| المطلب الأول | صورة الرجل الشرقي عند الغربيين | **201** |
| المطلب الثاني | بين الشرق و الغرب المادية و الروحية | **209** |
| المطلب الثالث | فشل الحوار بين الشرق و الغرب فشل الأبطال | **215** |
| خاتمة | | **225** |
| قائمة المصادر و المراجع | | **232** |
| فهرس الموضوعات | | **242** |

**Résumé:**

la confrontation delautre exige de le connaitre  cette connaissance n'est pas faite de loin mais par le contacte directe, c'est pour quoi le romancier arabe a preconise de s'embarquer  dans l'aventure et de s'appreter a partir pour l'occident pour que la discription de la relation entre nous et autrui soit proche de la realite et non pas une simple image emanant de l'imaginaire seulement. La presente recherche ouvre a talonner la nature de la presence de la femme occidental  dans le roman arabe, cette femme blonde qui était  l'image de l'occident et symbole de la nature de la recontre civilisationnelle entre l'orient et l'occident , cette recontre a toujours été qualifiee d'hostile ; d'ici on verra comment les sentiments hostiles du romancier arabe tremblent , et comment il exploitera sa rancœur prpfonde envers l'occident qui la colonise auparavant et il le colonise encore mais avec d'autre diverses et modernes methodes , alors il œuvre pour se venger de lui sur son propre terrain et la femme occidentale est son moyen de veneance ; le present objet a suscite des question entre autre:
*Comment se manifeste l'image de la femme occidentale dans le recit du romancier arabe? A partir de cette question substantielle il emane un ensemble de question, voire :
*pourquoi le livre a utilise la femme a titre de symbole pour s'exprimer en matiere de l'occident ? est – ce que car c'est la femme occiedental qui est capable de representer toutes les valeurs de la societe occidental ? ou elle a été utilisee comme outil de vengeance de l'occident ?
*quel est le secret de lemigration de la majorite des auteurs a l'occident, est – ce que cela est due a l'emerveillement de l'occident et de sa civilisation ou a la vengeance a son encontre ?

*Comment l'arabe concoit l'occident ? et quelles sont les conditions du contacte de l'orient avec l'occident ? nous nous sommes parvenus a répondre a ces questions modeles et choisies a savoir: le quartier latin de souheil idriss , saison de l'immigration au nord de tayeb salah , l'oiseux de l'orient de toufik el hakim , ce que le vent ne peut emporter de arar mohamed el ali , la femme et la rose de mohamed zefaf , en sus nous avons repartir la recherche en trois chapitres : en commencant par le preambule et en achevant par la conclusion , et parmi les plus importants resultats on est parvenu a :

Le contact entre l'orient et l'occident a pris deux trajectoires diverses dans l'histoire , la premiere consistait au contact conflictuel violent ayant dure pendant longtemps , ce la se manifeste par les croisades , quant a la deuxieme elle consistait au contact culturel pacifique ayant des objectifs occultes en faveur des projets occidentaux .

*l'injustice , le despotisme , la privation , en orient on poussé l'homme de l'orient de faire ses bagages et s'orienter vers l'europe en quete de la liberté et de la plaisance , car l'occident est un espace ouvert et émancipé ou la répression , le refoulement n'existent pas , la il trouvera son quiétude rt son indépendance (liberté) a ce stade , on peut dire que l'occident est devenu l'environement alternatif pour le jeune arabe.

* les romanciers arabes ont tracé l'image de la femme occidentale par maintes adjectifs négatifs variant entre l'arrogance , l'autoritarisme , l'égoisme , la duperie , la tromperie et l'exploitation , en revanche , ce l ne signifie point que les qualités négatives se projettent a toutes les femmes occidentales , car il y a une catigorie d'elles qui se caractérisent par des qualités positives comme la loyauté  et la fidélité , le travil , la culture , l'amour –propre et la probité.

*Le roman arabe démontre le conflit entre l'orient et l'occident , la rancœur profonde que la colonisations a fait naitre dans le temps , il est grand temps que l'homme oriental se venge de l' homme occidental dans son propre terrain.
*la recherche précise que l'homme (héro oriental) a utilisé sa vérilité comme arme pour se venger de l'occident a travers sa jeune blonde qui était facilement accessible pour lui , en utilisant , pour ce faire , l'enchantement oriental comme appat pour l'avoir.
*les projets de vengeance que les héros de l'orient ont envisagés ont voué a l'echec car cette confrontation devait etre impérativement préparée au préalable , avec des armes et des moyens qui l'assistent et la consolident , chose que le héro de l'orient n'avait pas , il n'a pas trouvé d'arme que sa virilité qui a consolidé sa confiance en sois meme d'etre le male le plus fort , qui domine et vainc la femelle occidentale (l'occident) , cependant , il sera choqué lorsqu'elle l'affronte de toutes ses forces et il ne trouvera pas une solution a la fin que de retourner a son pays battu et infructueux .
Enfin , l'image de la femme occidentale dans le roman arabe a connu l'inaltération , la variation constante , peut etre que ce la est du a la nature de l'autre , au point de vue de l'auteur , aux conditions qui les prévalent , tous ces éléments jouent un role important pour tracer l'image de la femme occidentale.